# راى برادبورى

# القصص القصيرة

## المجلد الأول (١)

ترجمة وتقديم: رءوف وصفى

المركز القومي للترجمة

عابث
3abbeth.blogspot.com
FB@3abeth

# راى برادبورى

# القصص القصيرة

(المجلد الأول)

(١)

ترجمة وتقديم : رءوف وصفى

2014

FB@3abeth

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

برادبورى، راى (١٩٢٠-٢٠١٢)
راى برادبورى (القصص القصيرة) المجلد الأول (١)
ترجمة وتقديم: رءوف وصفى؛
ط ١، القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٤
٣٤٠ ص، ٢٠ سم
١- القصص الأمريكية
( أ ) وصفى، رءوف (مترجم ومقدم)
( ب) العنوان ٨٢٣

رقم الإيداع ٢٠١٢/١٩٨٣٦
الترقيم الدولى (I.S.B.N. 978-977-718-114-3)
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

FB@3abeth

# المحتـويات


تقديم: راى برادبورى.. أيقونة الخيال العلمى والفانتازيا ........ 7

مقدمة: السكير الذى يمتلك دراجة ........ 43

١- الليل ........ 67

٢- العودة إلى المنزل ........ 83

٣- العم (أينار) ........ 109

٤- المسافرة ........ 124

٥- البحيرة ........ 152

٦- النعش ........ 164

٧- الزحام ........ 181

٨- المنجل ........ 200

٩- وكانت هناك امرأة عجوز ........ 231




FB@3abeth

١٠- سوف تسقط أمطار خفيفة ........................................ 257
١١- الجنة فوق المريخ ........................................ 274
١٢- المدن الصامتة ........................................ 314



FB@3abeth

# تقـــديم

## راى برادبـــورى..
## أيقونة الخيال العلمى والفانتازيا

تخرج (برادبورى) - الذى ولد فى عام ١٩٢٠، بمدينة (ووكيجان) بولاية (الينوى) الأمريكية - فى المدرسة الثانوية فى عام ١٩٤١ بتقدير عالٍ، وبدأ على الفور فى بيع الصحف. لم يكن حدد طريقه المهنى بعد فى الكتابة أم التمثيل، بيد أنه حضر دورة دراسية صيفية فى كتابة القصة القصيرة.. وسرعان ما تلقى النصح والمساعدة من بعض الكتاب المحليين الذين لحق بهم بعد ذلك - كاتب الخيال العلمى المعروف (روبرت هينلين).

وفى عام ١٩٤١، باع (برادبورى) أولى قصصه القصيرة إلى دار نشر اسمها "قصص رائعة فى الخيال العلمى" وعندئذ هجر التمثيل وتفرغ تمامًا للكتابة. ومن بين اثنتين وخمسين قصة كتبها فى ذلك العام لم يبع سوى ثلاث منها، لكنها كانت مجرد بداية على أية حال. وانتقل مع والديه إلى (كاليفورنيا)، وقبل نهاية عام ١٩٤٢، كان بمقدوره المعيشة بالكاد من دخله بصفته كاتبًا وتخلى عن بيع الجرائد.



FB@3abeth

لم يتمكن من الانخراط فى سلك الجندية أثناء الحرب (التى دخلتها الولايات المتحدة فى ديسمبر ١٩٤٢) لكنه كتب مقالات إذاعية لهيئة الصليب الأحمر ووزارة الدفاع بـ (لوس أنجلوس). وبدأ نجمه يلمع تدريجياً فى الأسواق الأدبية الراقية.. وبالفعل تمكن من القيام برحلة إلى المكسيك فى عام ١٩٤٥، زودته بكثير من المعلومات والخبرات المفيدة والمدهشة.

وفى عام ١٩٤٦، قابل (مارجريت مكلير) التى تعمل بإحدى مكتبات (لوس أنجلوس). وفى نفس العام طبع قصته الأولى التى سرعان ما أصبحت "نزهة خلوية لمدة مليون عام" فى إطار "أحداث متتابعة على المريخ" "The martian chronicles"، وكانت هذه سنة مهمة جداً لـ(برادبورى). وفى عام ١٩٤٧ التالى، تزوج (مارجريت) وطبع أول مجموعة قصصية له فى كتاب مستقل تحت اسم "الكرنفال الرهيب". ومنذ ذلك الوقت بدأت بعض كتبه تحصد جوائز.

فى عام ١٩٤٨، طُلب منه كتابة كتاب لمؤسسة (دوبل داى) فى موضوع واحد، وبسرعة تمسك بفكرة (أحداث متتابعة على المريخ) وضمنه بعض القصص التى كُتبت بالفعل مع ملء الفراغات بينها بقصص جديدة من نتاجه الحاضر وتم نشر الكتاب فى عام ١٩٥٠، غير أنه فى البداية لم يلق اهتمامًا واسعًا. وبعد ذلك قابل (برادبورى) الشاعر (كريستوفر إيشروود) فى إحدى المكتبات واشترى بنفسه نسخة من الكتاب وأهداها إلى (إيشروود) الذى راجعها من الوجهة الأدبية باعتباره الناقد الأول لمؤسسة (الغد: Tomorrow).



FB@3abeth

وفى عـام ١٩٥١، الذى ولدت فـيـه ثانى بناته الأربع، تم نشـر (أحـداث متتـابعة على المريخ) فى إنجلتـرا بعنوان "الجـراد الفضـى"، وهو عنوان أقل إعلاماً ولكنه أكثر إثارة للفكر، وفيه أيضاً ظهرت قصة "الرجل المزيَّن بالعبور" فى أمريكا.

الآن انطلق (برادبورى) فى سلكه المهنى بنجاح، حـيث أخذ ينشر قصـصه فى مجـلات راقية وفى كتب خـاصة به. وفى عام ١٩٥٣، زار أيرلندا فى مـهـمـة كُلف فـيـهـا بكتـابة نص فـيلم (موبى ديك) وهـى رحلة أخرى أكسبته معلومات وخلفيات جديدة.. وأصبح قادراً على أخذ زوجه وابنتيه - وقتئذ - معه فى الرحلة.

ظهرت قصة (٤٥١° فهرنهايت) فى مجلة (بلاى بوى) كمسلسل من ثلاثة أجـزاء فى عـام ١٩٥٤، بينمـا نشـرت قـصـة (بلد أكتـوبر) فى عـام ١٩٥٥. وسـرعـان مـا بدأ يكتب للراديو والتلفـاز. وفى عـام ١٩٥٧، تم عرض قصة (نبيذ الهندباء البرية) المستقاة من طفولته بولاية (إلينوى).

وقصته منذ ذلك الوقت هـى نفسـهـا.. ففى عام ١٩٥٨، ولدت ابنته الرابعـة. وفى عـام ١٩٦٢، ظهـر أول مـجلد مـسـرحـيـات له بعنـوان (عداءو الأناشيد والترانيم) وفى عام ١٩٦٥، دخل عالم الموسيقى بقصته (جناح الجيلاتى المهيب).

وفى عام ١٩٦٨، وقعت حادثة مهمة جداً فى حياة هذا الكاتب الذى يألف تمامـاً النجوم البـعيدة عنا.. إذ ترك (برادبورى) الأرض لأول مرة فى طائرة صغيرة تراقب الحيتان بعيداً عن (كاليفورنيا). وفى ذلك الوقت



FB@3abeth

كان قد تلقى الوسام الأكبر (أو ربما الضربة القاضية) حيث تم اختياره مؤلفًا يصلح للقراءة فى المدارس والكليات. إنه أصبح واحداً من الكتاب الذين جعلوا الخيال العلمى مجالاً محترماً فى أمريكا مثلما كان الحال قبل ذلك فى إنجلترا. وبدأ يقبل ترتيبات إلقاء محاضرات فى موضوعات مثل "الإبداع فى عصر الفضاء".. وفى عام ١٩٧٢، أصبح "كاتباً مقيماً" لفصل دراسى بجامعة ولاية كاليفورنيا.

وفى عام ١٩٧٣، طبع كتاباً عن نصوص نثرية مجمعة بعنوان (عندما تعيش الأفيال فى الفناء المزهر). وشجعه على كتابة الشعر كل من (ألدوس هكسلى) وصديقه (جيرارد هيرد). وهناك رجل آخر ذو فطنة وحس أدبى راق أعجبته مؤلفات (برادبورى) هو الناقد الشهير (برنارد برنيسون). والواقع أنه فى عام ١٩٥٣، كتب (بيرنسون) - وهو فى التاسعة والثمانين من العمر - إلى (برادبورى) أول خطاب - كمعجب - كتبه فى حياته.. وفيما بعد زار (برادبورى) وزوجه (بيرنسون) بمنزله فى إيطاليا وأصبح صديقًا مقربًا له. وفى العام ذاته حضر مقابلة تاريخية مع الفيلسوف (براتراند راسل).

والحقيقة أن إحدى الصفات البارزة فى (برادبورى) هى موهبته فى معرفة الناس واكتساب صداقتهم. وصفة أخرى هى حماسه فى اتجاهات كثيرة مختلفة مادامت ذات حد أدنى من الأهمية، وكان يوليها كلها اهتمامه ومتابعته بشكل مستمر، وهو يزعم أنه "كتب كل يوم من حياته لمدة أربعين عاماً".. لكن مهما كان ما يفعله، فإنه يجب أن يفعله بشكل جيد وبأقصى قدر ممكن من الاهتمام.



FB@3abeth

وهو دائمًا ما يشكر أولئك الذين ساعدوه علانية.. وأحدهم كانت الكاتبة (ليبه براكيت) التى شجعت ووجهت موهبته الناشئة.. وهو يعترف بأن الستمائة كلمة الأولى من واحدة من أفضل قصصه (المِنجل) كلماتها هى شخصيًا. وبدوره قام بمساعدتها بإنهاء قصة قصيرة لها مقلدًا أسلوبها ببراعة منقطعة النظير.

وحيث إننا نتحدث عن الخيال العلمى، فلا شك أن حماس (برادبورى) له يغزو عالم المستقبل ذاته.. فهو يشعر بأنه مطالب بتحذير الناس من أية كوارث محتملة وبث الرغبة فى تحقيق المجد والفخر مادام ذلك فى الإمكان.. فهو يقول مثلاً: "إننى سوف أكتب قصصًا تلقى ظلالاً على الجدران التى أمامنا لكى نراها ونختار أيها نشاء. فمثلاً نقول إن هذا الطريق مهلك وذاك الطريق - إذا رغبنا - تتواصل فيه الحياة إلى الأبد".

## مقدمة عامة

تتميز أعمال وقصص (برادبورى) بالتنوع الكبير.. وعمومًا فهو يكتب قصصًا قصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح أو الخيال - قصص الغموض والأسرار التى تنطوى على توجيه أخلاقى أو شرح موضوعات غيبية أو خارقة.



FB@3abeth

تتضمن رواياته الطويلة واحدة عن الطفولة فى بلدة ريفية (نبيذ الهندباء البرية) ورواية خيال علمي تتضمن تحذيرات اجتماعية (٤٥١° فهرنهايت) وقصة عن السحر والرعب فى بيئة مألوفة لنا (شيء ما من الشر يأتى من هذا الطريق) وقصة عن الأطفال الصغار والعادات التى تحيط بالموت (شجرة عيد جميع القديسين). كذلك هناك بعض مسرحيات من فصل واحد مُعدة عن بعض قصصه، كما أن أعماله تشمل بضع قصائد.. وقد طُبعت مؤخراً مجموعة منها.

وقصته (فن الحكاية) رائعة.. إذ إنه موهوب فى خلق حبكة ذكية وممتعة تدور ببراعة حول نقطة واحدة مثلما تتطلب أية قصة قصيرة، أو تمتد وتتطور بأحداث طويلة ومعقدة (مثلما الحال فى ٤٥١° فهرنهايت) وخصوصًا فى رواية (شيء ما عن الشر يأتى من هذا الطريق). وهو أستاذ لا يُضارع فى فن بناء الإثارة والتشويق والرعب حتى ذروة مروعة، وأيضاً فى فن تحليل الأفكار والخواطر، وهى تدور فى ذهن البشر سواء أثناء ظهورها أو تهدمها. وبعض قصصه مبنية على إحساس قوى بالسخرية والتهكم أو بتوقع الموت.. بيد أنها تتضمن قدراً لا بأس به من العاطفة. كما أن تصويره لشخصيات قصصه مقنع إلى حد كبير، حتى فى قصصه القصيرة جداً، لأن اهتمامه وفهمه للطبيعة البشرية وخصوصاً طبيعة الأطفال يمكنه من سبر غور أفكارهم وأحاسيسهم ودوافعهم.

وأسلوب (برادبورى) يماثل أسلوب الشعر، فهو دائماً واضح ومبدع.. كما أنه دقيق للغاية فى اختيار أسلوبه وصوره.. وهو أسلوب يزخر



FB@3abeth

بالكثير من الأحداث المثيرة ويتسم بالبلاغة والتنميق وبنمط قصصى وأفكار متفردة خاصة به فقط. وعلى الرغم من أن هذا الأسلوب يخطىء أحيانًا ويصبح متكلفًا وكثير التفاصيل بشكل مضجر، فإنه يُكسب قصصه طابعًا مميزًا للغاية.. ومثل كل الكتابات الجيدة فإن ذلك يساعدنا على رؤية الأشياء من منظور جديد. وهو يكتب حوارًا نابضًا بالحياة ومختلفًا تمامًا عادة عن كلام الوصف والسرد القصصى.. وهذا الحوار يكون بالكلام الطبيعى والدارج بين الناس.

وأحيانًا نرى إحدى الشخصيات تتحدث طويلاً جداً، وذلك لتوضيح الأفكار المثارة وقتئذ.. وبعدها نرى الأسلوب يصبح شاعريًا أو ربما وعظيًا أو حتى متحفظًا أو رجعيًا.. وبمقدور (برادبورى) أن يكون مملاً وأن يُعبر عن أفكاره مرارًا وتكرارًا.. ولعل ذلك يرجع إلى ذهنه الخصب النشط الذى يريد أن يعبر عما يريده بطرق كثيرة فى الوقت الذى يرى فيه صعوبة اختيار إحداها وإلغاء الأخريات! وعمومًا فإن قصص (برادبورى) ممتعة وسهلة القراءة.. ونجده فى بعض الأحيان يلجأ إلى الاقتباس أو الاستشهاد لتوضيح مراده أو للتعبير عن اسم أو عنوان... إلـخ.

ومن بين الكم الضخم من مؤلفات (برادبورى) هناك موضوعات مختلفة تتكرر باستمرار.. وأكثر تلك الموضوعات هى (الطفولة) ويتضح ذلك من مشاهد الحنين إلى الماضى أو الوطن التى نراها فى قصة (البلدة النابضة بالحياة).. أو البلدان الأمريكية الصغيرة الأخرى التى



FB@3abeth

تشبه البلدة التى قضى فيها (برادبورى) صباه وشبابه.. و(رحلات القضاء) التى نراها جليا كهدف حقيقى لهجرة البشر من الأرض أو كرمز للطموح الروحى. وبالإضافة إلى ما سبق هناك مجموعة من الموضوعات المرتبطة بالغموض والأسرار والأشياء التى لا يعرفها الناس، مثل الساحرات ومصاصى الدماء والسيطرة على أرواح الناس والموتى الأحياء والعادات المتبعة فى عشية عيد جميع القديسين. وكذلك نرى (العلاقات الأسرية) وخصوصًا الحب المتبادل بين الأب والابن كثيراً ما يوليها (برادبورى) اهتمامه، علاوة على ذلك فإن (التخاطر عن بُعد) وبأشكال مختلفة يشكل الإطار الذى يدور فيه الكثير من قصصه.

وغير ما سبق نجد هناك موضوعات أقل فى الأهمية يثيرها (برادبورى) من وقت إلى آخر.. أو تصبح مهمة - مؤقتًا - فى قصة معينة.. مثل (المكسيك) ومومياوات الموتى بها.. و(دبلن) والعاطلين بها والكرنفالات والنزوات والتصرفات الغريبة المرتبطة بهم.. ووحوش ما قبل التاريخ وحياة المدينة والوحدة، وأخيراً الألعاب النارية والمفرقعات!

و(برادبورى) من ضمن المفكرين الأخلاقيين المتمسكين بمبادئ الفضيلة والأخلاق، سواء فى حياته الخاصة أو الاجتماعية، وهو مهتم كثيراً بتطور المجتمع ويخشى من قدوم وقت تؤدى فيه زيادة أعداد الناس وزيادة الإنتاج بالآلات إلى تفشى الديكتاتورية.. وهو بهذا الصدد يحذو حذو (ألدوس هكسلى) الذى يعجب به للغاية.. وهو يرتاب فى مادية وتزمت الجماهير وحقدهم الذى يظهرونه ضد كل متفوق فى المجالات



FB@3abeth

الفكرية والثقافية والفنية والجمالية.. وكثيراً ما يعارض الاعتماد المتزايد على البضائع المادية والآلات، سواء كان فيها مصلحة أم لا.

ويتناول (برادبورى) بقوة الصراعات العرقية فى عصرنا، كما يكتب عن الخير والشر فى روح الإنسان.. ونراه فى قصة (شىء ما من الشر يأتى من هذا الطريق) يُظهر بشكل خاص إيمانه بقدرة الخير فى القضاء على الشر.. وذلك بقبول الحياة ببهجة وسعادة والسخرية من الموت والبؤس إذا كانا سيضران بحياة ووجود الناس. وهو يطرح فكرة ضرورة مقاومة الشر أحيانًا بالعنف. والحقيقة أن اهتمامه بالديانة المسيحية ودرايته بها يتضحان فى الكثير من قصصه.. والواضح أنها دراية حقيقية بالمسيحية من مصادرها وفهم حقيقى لرسالة المسيحية والإطار الذى تعمل من خلاله.. وبالنسبة إلى (برادبورى) فإن الإنجيل موجود فى كل المكان والزمان مثلما هو موجود فى عقول البشر المؤمنين به.

وبوسعنا أن نرى بعض مواقفه الأساسية من مواطنيه فى كتاباته وقصصه.. إلا أننا نجد أن قصصه تفتقر بالفعل إلى الأبطال الذين يُعجب الناس بهم، وحتى رواد الفضاء فى قصصه نجدهم بعيدين جداً عن صورة الرجال الخارقين الذين نراهم فى روايات الخيال العلمى.. بينما ينتهى الحال بـ (شارلى هالواى) فى قصة (شىء ما من الشر يأتى من هذا الطريق) كبطل، فإن هذا يأتى بعد عناء طويل كما أنه مثال بسيط أو صغير.



FB@3abeth

وإذا ما جئنا إلى النساء فى قصص (برادبورى) فإننا نجدهن شخصيات منزلية دائمًا، فإما أنهن ربات بيوت أو أمهات وخصوصًا جدات.. وهن لا يعملن أبدًا فى عالم الرجال.. كما أننا لم نرهن قط فى أية رحلات فضائية.. وحتى عندما يذهبن إلى المريخ فإن ذلك لا يحدث إلا بعد ذهاب الرواد من الرجال إلى هناك.. ومع ذلك فإن هذه الصورة التقليدية للنساء تُرسم بكل احترام وتقدير لهن، حيث يتمسكن دائمًا بأهداب الفضيلة والقيم. ويبدو لنا أن الوضع المثالى الذى يراه (برادبورى) أن النساء هن العمود الرئيسى فى الحياة الأسرية الهادئة الهانئة الدافئة.. ولم نرهن قط رموزًا للجنس والإغراء.. بل إن (برادبورى) نادرًا ما يطرح علينا قصص الحب الشهوانى أو الجنسى.. والعلاقات الغرامية فى قصصه تكون دائمًا صبيانية أو غير ناضجة أو تصور الحب العادى بين المتزوجين.. رغم أننا نرى بوضوح من وقت إلى آخر، الغيرة وهى تعبر عن نفسها.

أما بالنسبة إلى الأطفال فإن (برادبورى) يطرح اتجاهين متناقضين إلى حد ما.. فهو يُشعرنا بالحنين إلى الماضى والمسرات والمتع البريئة التى نجدها فى فترة الطفولة، وفى نفس الوقت يلفت انتباهنا إلى سهولة تعرض الأطفال للأذى أو الفساد وإلى نفورهم الطبيعى من سيطرة الكبار عليهم مما يؤدى بهم أحيانًا إلى العنف.

وفى قصص (برادبورى) لا نرى إلا القليل من المفكرين والمثقفين.. بيد أننا نراه يهتم كثيرًا بالفنون والروايات والقصائد والرسم الزيتى،



FB@3abeth

ولكن ليس الموسيقى!.. كذلك فإن العلم يطلق طاقات التصور والخيال.. لكننا لا نرى اهتمامًا بالدراسات الدقيقة.. ونرى أحيانًا فى قصصه بعض الخلفيات التاريخية، ولكن مثلما الحال مع الفضاء فإنه يستخدم التاريخ فقط لعزل مشكلة أو موقف إنسانى ثابت أو جامد لا يتغير أبداً مع الوقت أو الظروف.

والواقع أن قصص الخيال العلمى، والقصص الخيالية عموماً، تروق لبعض الناس فقط دون غيرهم.. إلا أن كل القراء الذين يحبون قراءة قصص ممتعة سوف يقدرون (برادبورى) كثيراً.. ذلك أن قصصه تتسم بمواقف زاهية وخيالية بارعة وأسلوب نثرى مُبهر وفهم عميق للحالات النفسية لشخصيات قصصه وتمسك ثابت بالقيم الأخلاقية والدينية.

## الخيال العلمى

على الرغم من أن قصص (راى برادبورى) لا تُصنف باعتبارها خيالاً علميًا، فإن أفضل وصف له أنه كاتب لقصص الخيال العلمى!.. فالخيال العلمي في ذاته نوعية واسعة جداً من القصص الأدبية، بعضها يتبنى على معرفة تفصيلية دقيقة بالعلم وتقنياته، وبعضها يستخدم "العلم" كبديل صحيح "للسحر". ويمكن أن تبدأ قصص الخيال العلمى من رحلات الزمن إلى رحلات الفضاء، ومن الأجناس الخفية إلى المجتمعات المستقبلية الغريبة، ومن الكوارث المعاصرة المحتملة إلى مستقبل بعيد



FB@3abeth

جداً يتطور الإنسان خلاله إلى حد كبير.. ويمكن أن تتوقف أفكار تلك القصص عند الهروب من الواقع إلى عالم من الرجال الخارقين أو الوحوش جاحظة الأعين ومسدسات أشعة الليزر أو تستعرض بجدية المشاكل الاجتماعية والسياسية والأزمات البيئية والجوانب النفسية الخفية وحتى الغيبيات وأمور ما وراء الطبيعة.

## قصص عن البشر العاديين

ونرى بوضوح فى كثير من قصص (برادبورى) الجيدة أنه لا يعتمد على الأشياء العجيبة أو المرعبة أو غير مألوفة فى إثارة الانتباه البهيج ورد الفعل الخيالى لدى قرائه.. فهو بمقدوره الكتابة بنفس الجودة عن أناس عاديين يعيشون فى ظروف بشرية عادية. وهو أحيانًا يرسم لنا خلفية مستقبلية أو عالمًا بعيداً عنا، إلا أنه يلجأ إلى ذلك الأسلوب ببساطة العزل أو التركيز على آخر أو رد فعل نفسى معين يكون فى حقيقته سرمديًا فى الطبيعة البشرية.. كما نراه فى أوقات أخرى يصور أماكن عايش فيها بعض خبراته الحياتية (مثل المكسيك أو أيرلندا) وذلك لإكساب قصته نكهة محلية. ومعظم قصصه فى غاية الطرافة فى مواقفها ومعالجاتها.

ويكمن الاهتمام الحقيقى فى القصص التى تستخدم أجواء "الخيال العلمى" فى ردود الفعل البشرية الطبيعية لشخصياتها، حيث نجد فى قصة "العُطلة"، أسرة صغيرة تتكون من أم وأب وابن يركبون فى عربة



FB@3abeth

قطار يشق طريقه وسط منطقة ريفية جميلة وخالية كلية من الناس على شاطئ البحر.. وببساطة نعلم أن بقية البشر اختفوا تماماً طيلة هذه الليلة، وترى الأب - الذى كان يتصور من قبل مدى روعة الحياة فى عالم يخلو تماماً من البشر - وهو يفعل ذلك.. لكنه يتعلم الدرس متأخراً جداً.. والصبى الصغير يكتب أمنية له ويضعها فى زجاجة ويقذف بها فى البحر.. وتتساءل أمه عن الرغبة التى تمناها.. هل تمنى - مثلهم - أن يعود الناس إلى الحياة معهم، أم هل تمنى أن يختفى والداه أيضاً حتى يبقى بمفرده تماماً؟.. لكننا لا نصل إلى حقيقة ذلك أبداً، وتواصل الأسرة قضاء عطلتها التى لا تنتهى.. وتتركنا وليس أمامنا ما نراه سوى خط السكة الحديدية الصدئ والزهور والبحر الذى يسد الأفق!

وقصتا "التطريز" و"الليلة الأخيرة" تسبران غور أحاسيس الناس العاديين عندما يعرفون أن العالم الذى يعيشون فيه يوشك أن يهلك ويختفى من الوجود.. ففى القصة الأولى "التطريز" نعرف أن النهاية قادمة إثر انفجار أحدث دوياً هائلاً للغاية والذى لا يعرف أحد نتائجه إلا أن الجميع يتيقنون من حدوث كارثة رهيبة غير مسبوقة.. وتجلس النسوة يطرزن الملابس بالإبر منتظرات الانفجار الهائل فى صمت وهدوء وتسأل بعضهن بعضاً "هل هناك داع لتقشير البازلاء لإعداد وجبة العشاء أم يفكرن فى كل أعمال الحياكة والتطريز التى قمن بها طوال حياتهن التى سوف يطويها النسيان إلى الأبد"!.. وتصبح وقتئذ كل الملابس المطرزة بزهورها وألوانها وأشكالها ونقشاتها رمزاً للحياة البشرية..



FB@3abeth

وتستمر النساء فى القيام بأعمال التطريز حتى الساعة الخامسة بالضبط والمقرر أن ينتهى عندها كل شيء.. حتى اللحظة التى يشاهدن فيها الانفجار الكارثى وهو يلتهم نتاج أيديهن وأيضًا أنفسهن.

أما قصة "الليلة الأخيرة" فنجدها أقل رمزية، ولكن هنا أيضًا نرى الأسرة التى تركزت عليها الأضواء وأصبحت مثار اهتمامنا وهى ببساطة - مثل الأسر الأخرى المجاورة لها - تقضى ليلتها بهدوء بنفس الروتين المعتاد، وهى على يقين بأن العالم سوف يهلك فى هذه الليلة.. وأن كل أفرادها سوف ينامون ولن يستيقظوا أبدًا بعد ذلك.. والعجيب أن هذه الأسرة ليست خائفة ولا حزينة ولكنها راضية بقضاء الله وشاكرة لكل نعمه عليهم طوال حياتهم.. ونجد أن الجزء الأكبر من القصة يتكون من الحديث المتبادل بين الزوج والزوجة.. ونرى لمحة رمزية واحدة عندما يتساءل الأب (عندما يُدخل أطفاله فى أسرتهم كالمعتاد) عما إذا كان سيغلق الباب عليهم تمامًا أو يتركه مواربًا قليلاً حيث يصل إليهم بصيص من الضوء".

كما تشكل رحلات الفضاء الخلفية العامة لقصة "الأرض المقفرة".. حيث نرى فتاتين وهما تجهزان حقائبهما للسفر للحاق بحبيبيهما اللذين سبقاهما لكى يستوطنا المريخ.. وهذه القصة نسخة حديثة من كل الرحلات والهجرات العظيمة للجنس البشرى، وهى تذكرنا إلى حد كبير بالمهاجرين الذين تركوا نفس مدينة "الاستقلال" بولاية ميسورى قديمًا



FB@3abeth

فى عـام ١٨٤٩. ونجد الفـتـاتين - مثل كل الأجيال التى سبـقـتـهـمـا - مترددتين وخائفتين وتكرهان مـغادرة منزلهما وكل الجوار المألوف لهما.. والواقع أن تصوير (برادبورى) لأحوال البلدة الصـغيرة فى ليلة صيف رائعة أثناء تجول الفتاتين فى أرجائها حتى آخر لحظة ممكنة ينجح فى إقناعنا بمدى إصـرار وقـوة إرادة الفـتـاتين، ويؤكد وجـود رابطة بين كل الأجيال من حيث سـعيهم الاجـتمـاعى والروحى الدؤوب وبحثهم عن كل جديد ومفيد. وتتساءل إحدى الفتاتين عما إذا كانت مشاعرهما تشبه مشـاعر النسـاء الرائدات فى العـصـور القـديمة.. وتبـدى اعـتـقـادها بأن نساء الأجيال القادمة سوف تشاركهما مشاعرهما هذه عندما يستكشف الرجال آفاقًا أوسع من كوننا فى المستقبل.

وربما يكون الأكـثـر إثارة من كل ذلك خلفـيـة الخـيـال العلمى فى قصته "طفل الغد".. إذ نرى عملية توليد تتم بشكل خـاطئ غير واضح لنا ويكون ثمـرتهـا ولادة طفل فى (البـعـد الرابـع) بحـيث يـراه كل البـشـر العـاديين فى شكل "هرم" أزرق صـغـيـر.. إلا أن القصـة تركز فى المقام الأول على محنة والديه وألمهما الدفين وقرارهما المتسم بتضحية هائلة ألا وهو اصطحـاب الطفل إلى البـعـد الرابع الجديد، حـيث يبدو لهـمـا هنالك مثلمـا يبـدو أى طفل طبـيـعـى لوالديه.. وذلك انتظارًا للزمن الذى يتـمكن فيه العلمـاء من إعادتهم جميعًا إلى حياتنا العادية ثلاثية الأبعاد. وهنا نرى أن الدور "العنتـرى" أو المنقـذ للعلم لا يُلغى الاهـتـمـام بالمشـاعـر والدوافـع الإنسـانية.



FB@3abeth

ومما سبق تتبين فهم (برادبورى) البارع للطبيعة البشرية فى كل صورها ومجالاتها وعمومياتها.. وجوانب الرثاء أو الدعابة فيها.. وذلك فى خلفيات أو ظروف متباينة تمامًا.. والآن لننظر فى جانب آخر من اهتماماته بالإنسان والإنسانية من خلال قصصه التى تركز على الشخصيات البشرية التى تعانى من حالات مرضية مروعة.

## القصص التى تتناول الشخصيات المريضة نفسياً

الحقيقة أن أحد المؤثرات الكبرى التى كان لها دور كبير على (برادبورى) بوصفه كاتبًا هو الكاتب والشاعر الأمريكى الشهير من القرن التاسع عشر (إدجار آلان بو) الذى اهتم كثيراً بالشخصيات المريضة نفسياً، واتسع اهتمامه هذا ليغطى الجوانب المروعة والرهيبة التى تقشعر منها الأبدان والخارقة للطبيعة. وحذا (برادبورى) حذوه بالضبط وبنفس الاهتمام ولكن بصورة تنبض بالحياة أكثر؛ لأن أسلوب (إدجار آلان بو) كان فيكتورى النكهة تماماً.

فمثلاً قصته "الرغبة المروعة" تصور لنا رياضيًا فى الثلاثين من عمره يبقى عقله وميوله ورغباته مثل تلك التى تعترى الأطفال.. ولذلك سرعان ما يبتعد عنه أصحابه ومحبوه ويتوقفون عن مشاركته فى أفراحه بينما هو لا يستطيع أن يفهمهم أو يعرف ما يحبونه هم.. ومع مرور الوقت يزداد تجهمًا وتبرمًا ويزداد هوس رغبته فى تحقيق القوة البدنية الخارقة.. وتراقبه أمه وهى وجلة.. وأخيراً يواصل طقطقة أداة



FB@3abeth

تقوية الذراعين (السانتو) حتى الساعات الأولى من الصباح بعد منتصف الليل ثم يأتى ويرقد بجوار أمه وهو مازال يطقطق.. وفجأة تدرك أمه الخطر الوشيك وترقد وهى متوترة بلا حراك وتدعو الله أن يستمر ابنها فى ضغط السانتو حتى يحل عليه الأمان والسكينة وقت الفجر. ونحن نرى أن جو هذه القصة يتضمن جوانب كثيرة متشابكة ببراعة ببعضها البعض: نمو الفتى، خيبة أمل الرياضى التى تثير شفقتنا عندما يعلم أن أصحابه "لا يريدون أن يلعبوا معه"، رغبة أمه القلقة فى فرض حماية زائدة عليه، خطر هاجس زيادة قوته الذى يخيم على كل شىء، ثم القدوم التدريجى للخطر الداهم عليه.

ونراه فى قصة "من الذى عليه الدور؟" يلجأ إلى استخدام الخلفية المكسيكية من مومياوات الموتى مرة أخرى، حيث يطارد زوجة مريضة لسائح أمريكى هاجس الخوف من الجثث غير المدفونة التى لا يستطيع ذووها إيجاد قبر لها.. ثم تموت المرأة أثناء مغادرة زوجها للمنزل.. وهنا يتركنا المؤلف لكى نستنتج أنها سرعان ما ستصبح هى نفسها واحدة من المومياوات الشريدة التى لا قبر لها.. والحقيقة أن محاولاتها المستمرة العنيدة لمغادرة البلدة فى الوقت الذى يمكنها فيه ذلك، ثم إحساسها بالنهاية الوشيكة لها هو الذى يزيد من إيقاع التوتر فى القصة بشكل رائع.

ويختار (برادبورى) خلفية الفضاء لقصته "الشكل ذو الألوان المتغيرة" (التى تحولت إلى مسرحية) وقصته "المطر المتواصل"،



FB@3abeth

حيث توفر لنا الخلفية العامة الوسيلة المناسبة لكي نتفحص في الأولى عقول مجموعة من الرجال المنعزلين تماماً عن رفاقهم وهم يتقدمون حثيثاً إلى الموت في الفضاء.. وفي الثانية تأثيرات الطبيعة غير المألوفة بالمرة لنا، ألا وهي الهطول المتواصل للأمطار على كوكب الزهرة.

ويُظهر (برادبوري) نفس مزاج (إدجار آلان بو) في قصصه "القطة السوداء" في بعض قصصه التي يصور لنا فيها شخصيات مريضة نفسيًا للغاية وتعبر تمامًا خط الرعب الأحمر.. وهنا ننصح بألا يقرأ هذه القصص من كانت أعصابه ضعيفة أو شعوره رقيقًا للغاية. ومرة أخرى قد نرى هنا أشياء غيبية أو خارقة للطبيعة مثل قصة "الهيكل العظمي" التي تصور لنا خطوة بخطوة تعاظم هاجس مسيطر على رجل ما بوجود خلل ما في عظام جسمه.. حتى يصل به الحال إلى الذهاب إلى طبيب نفسي دجال أو مشعوذ؛ يتضح لنا فيما بعد أنه مصاص لدماء العظام. ولعل نهاية القصة تفاجئنا بأمر عجيب هو أن زوجته تجد أن زوجها الذي تحول إلى شرائح من اللحم لم يكن مسليًا!

وقصة "الجرة" تصور لنا رجلاً ريفيًا فقيراً يحاول تحسين مركزه الاجتماعي وذلك بإدخال وحش مزيف في جرة أو برطمان.. وسرعان ما يعتبر جيرانه تلك الجرة تميمة يعبدونها لأنهم يرون فيها شيئًا من ماضيهم القديم.. وعندما ينفد صبر الرجل من مضايقة زوجه الخائنة له، نجده يستبدل الوحش الزائف برأسها المفصول عن جسدها،



FB@3abeth

ولا يلاحظ هذا التغيير سوى عشيقها.. وهذه القصة تعتبر دراسة للأفكار المزعجة التي تلازم بعض الأفراد والطريقة التي يمكن بها للأفكار المسبقة أن تغير إدراك المرء للحقيقة أو الواقع.. كما أنها عرض تقشعر منه الأبدان لقيام البطل الرئيسى فى القصة بالبحث عن شيء يعوض به نقطة ضعف لديه.

## قصص الإرادة الخالدة التى لا تموت

هناك مجموعة من القصص التى تنبثق من الحالات النفسية المرضية، حسبما اعتقد (إدجار آلان بو) وأيضًا (برادبورى) أن "وعى أو إدراك المرء يستمر حتى فى القبر وأن إرادته بمقدورها مقاومة الموت والفناء بحيث يحس الميت بالأشياء".

خذ مثلاً قصة "امرأة تصرخ فى الظلام"، حيث تروى لنا فتاة صغيرة كيف أنها سمعت صوت صراخ زوجة جارها صادر من تحت الأرض فى منطقة خالية.. وتزيد الصعوبات التى تواجهها عندما تحاول إقناع الناس بجدية كلامها، إلى أن تنجح أخيراً فى تحقيق هدفها، فى جو من الإثارة والتشويق والعاطفة فى القصة.

وأحيانًا نرى الإرادة وهى تعمل على أن تتجسد فى كيان مجرد أو روحى، ونرى ذلك بشكل بغيض أو مروع فى قصة "حلم محموم"، حيث يصاب صبى بحمى.. إلا أن فيروسات المرض سرعان ما تسيطر عليه



FB@3abeth

وتدفعه إلى نشر الموت فى كل مكان حوله، على الرغم من شفائه الكامل من المرض.. ويفزع الصبى من الهاجس الجاثم على نفسه، غير أنه يفشل فى إقناع طبيبه بحالته العجيبة.. وتنتهى القصة نهاية مفتوحة ولكن تقشعر منها الأبدان، إذ نراه يصافح طبيبه ويقارب بعض النملات الحمراء وهى تموت بعد أن لمسها.. ثم يُقبل والديه عدة مرات ويدلف إلى داخل المنزل ليلاطف عصفور الكنارى ثم "يقفل باب القفص ويتراجع إلى الخلف وينتظر فى هدوء!".

وأحيانًا نرى الإرادة الخالدة وهى تسكن أجسامًا مادية.. ففى قصة "المدينة" نرى مدينة مهجورة تمامًا على كوكب مفقود حدثت إبادة تامة لسكانه منذ مائتى قرن مضت بسبب مرض فتاك أحضره رواد الفضاء الأوائل معهم من الأرض.. ثم يحين الوقت الذى تنتقم فيه المدينة البائسة لنفسها!.. وهى تستخدم أساليب علمية ذات ثقافات متطورة جداً لاصطياد أجسام رواد الفضاء المعاصرين، ثم تعيدهم إلى الأرض فى سفنهم بعد ملء مخازنها بقنابل تنشر المرض الفتاك. وهذه القصة عرض أسطورى ولكن مثير للقدرة الهائلة لروح الانتقام، وهى قصة رمزية رائعة. ويعجب القارئ وهو يسمع صوت قائد الصاروخ الذى استحوذت عليه إرادة المدينة: "اسم هذه المدينة الانتقام.. وموقعها فى مكان ما على كوكب الظلام.. بالقرب من شاطئ بحر القرون.. على سفح جبال الموتى".



FB@3abeth

رأينا بالفعل كيف أن قصص الأمراض النفسية الرهيبة والإرادة الخالدة التي تبقى حتى بعد الموت تشبه إلى حد كبير قصص الرعب - و(برادبوري) - مثل (إدجار آلان بو) - قبل أن يستمتع بخوف الناس في المقابر، وأحيانًا إلى حد مبالغ فيه جدًا!.. وبعض قصصه المرعبة لا تنجح كثيرًا بسبب جنوحه إلى ذكر الكثير من التفاصيل التي لا تصبح في النهاية مقنعة لنا. مثلاً في قصة "الرجل الساكن بأعلى" تحدث تجربة عجيبة لـ (دوجلاس سبولدنج) عندما يتضح له أن الساكن الجديد بمنزل جديّه ليس سوى مصاص دماء!.. وعمومًا لا بأس في ذلك ما دمنا نظل في حالة من الشك والقلق.. لكن عندما يفتح دوجلاس جسم الرجل ويأخذ منه بعض الأشياء المعدنية بدلاً من الأمعاء والمصارين، فإن قدرتنا على الاقتناع تتهاوى وتصبح محملة بأكثر مما تطيق، وتفشل الدعوة الأخيرة لإثارة الخوف فينا.

قصة "الزحام" غريبة وذات سياق سلس.. وربما لا تكون مقززة مثل قصة "الرسول" في نهايتها، إلا أنها مخيفة بالفعل وتقشعر منها الأبدان.. وتبدأ القصة بحادث سيارة ونرى ردود أفعال الضحية وهو مصاب بأذى بينما نرى الزحام يتزايد من حوله كأنه يأتي من لا مكان، والناس يناقشون حالته.. بيد أن وجوههم تحفر في ذاكرته على نحو كريه لا يمحى.. وبينما يتعافى في المستشفى نراه يتعجب من السرعة الخارقة التي وصل بها هؤلاء الناس إليه.. وبعد خروجه من المستشفى



FB@3abeth

يواصل مشاهدة المزيد من حوادث السيارات وملاحظة أشياء معينة، وتحديداً كيف أن بعض المتزاحمين ينقلون جسم المصاب من مكان إلى آخر قبل وصول عربة الإسعاف.. وفى النهاية وبواسطة بعض قصاصات من صحف قديمة يدرك أن أول المتزاحمين هم دائمًا نفس الأفراد!.. إنهم ثلة من البشر يوجدون دائمًا مع الحوادث، وربما يتسببون فيها.. وذلك عامًا بعد عام ولعشرات السنين.. وعندما يذهب إلى الشرطة ومعه الدليل، تصدمه سيارة وتصبح النهاية واضحة لنا.. فهو يعرف جيداً "أنهم" لن يسمحوا له بالهرب مرة أخرى!

وفى قصة "مؤسسة الدُمى المتحركة" نرى استخدامًا عبقريًا للثقافات العلمية المستقبلية يبث الرعب فى قلوبنا.. إذ يمكن صنع روبوتات بشكل البشر تمامًا حيث يمكن خداع الأزواج والزوجات أنفسهم!.. ونحن نرى نتيجة مروعة لذلك عندما يقع الروبوت الشبيه بالزوج فى حب زوجته.. وتتركنا القصة لكى ندرك على نحو رهيب كيف أن الزوجة اتبعت طريقة خفية لخداع زوجها.. ورغم أن احتمال حدوث ذلك فى الحياة غير وارد، فإن القصة مثيرة وممتعة فعلاً.. وتزيد المكائد أو الفخاخ الذاتية التى يقع فيها الضحايا من المتعة الأخلاقية والفكرية للقارئ.

وإذا ما جئنا إلى قصة "القاتل الصغير" نجد أنها قصة مرعبة ورائعة، فهى تحمل الفكرة التى تكثر فى كتابات (برادبورى) ألا وهى الوحشية الكامنة فى الأطفال.. إلا أن هذه الفكرة تصل إلى أقصى نهاية لها، حيث نرى طفلاً صغيراً ولديه إدراك ووعى غير عاديين وقدرة فائقة



FB@3abeth

فى السيطرة على عضلاته. ثم يضع الصبى خطة لقتل والديه، ونكتشف أن الأم فقط تعرف من البداية ما الذى يهدف إليه، لكنها بالطبع لا تستطيع إقناع أحد بذلك.. وفقط بعد موت كل من الأم والأب يدرك طبيب الأسرة أخيراً ما الذى كان يحدث ويأخذ معه مشرطه عن قصد!

وفى بعض الحالات يمكننا الاعتقاد أن (برادبورى) يواصل السير فى خطر رعب المقابر إلى أكثر مما ينبغى.. فمثلاً قصة "الهيكل العظمى" التى استعرضناها بالفعل هى قصة لحالة نفسية مرضية غير محتملة الحدوث فى الحياة حيث تكاد تستحق السخرية.. والذى أنقذها فقط هو المتابعة الدقيقة للهاجس المسيطر على شخصيتها الرئيسية وتغيير وجهة النظر إلى الزوجة فى الذروة الأخيرة لتلك القصة.

## قصص عن الأطفال

رأينا من قبل كيف أن قصة "السفاح الصغير" توضح لنا العلاقة أو الارتباط بين الأطفال والرعب فى قصص (برادبورى).. ودافع الطفل هنا إلى تبنى برنامج القتل الرهيب هو امتعاضه لطرده من راحة وأمان الرحم إلى القسوة والإهمال اللذين عانى منهما فى العالم الخارجى!.. والحقيقة أن لدى (برادبورى) وجهة نظر ثنائية بالنسبة إلى الأطفال.. ففى بعض الأوقات نرى الكثير منهم يرفضون سيطرة الوالدين بشكل خطير وقاس.. وفى أوقات أخرى يبدون لنا مثالاً للبراءة والوداعة اللتين



FB@3abeth

تقعان تحت رحمة ظروف مؤلمة وغير مواتية.. كأنه يريد أن يقول لنا إن الطفولة ذاتها تبدو جزءًا من الحياة يتسم بالضعف والحساسية والقابلية للأذى والسرور المشكوك فيهما.

وهناك قوى خارجية وأطفال عدوانيون وشرسون يسببون الأذى والضرر للأطفال الآخرين.. ففى قصة "الملعب" نرى أبًا محبًا عطوفًا يتأمل برعب مشهد إيذاء الأطفال فى الملعب المجاور لهم الذى ترسل الأم ابنها الصغير إليه لتجهيزه للمدرسة.. والأب يعرف مدى قسوة الأطفال هناك.. ويزداد خوفه واهتمامه عندما يذهب ابنه لأول مرة إلى هذا الملعب.. إلا أن الأم تتماسك ولا تقلق كأنها قُدت من حجر. وفى النهاية يتبادل الأب والابن جسميهما لكى يتحمل الأب العذاب والأذى بدلاً من ابنه، مثلما فعل صديق له بالفعل مع ابنه. وباعتباره (جيم) الصغير يتسلل إلى الجانب السيئ للملعب الذى يوجد به الأطفال المتوحشون ويقول لنفسه: "هذا هو الجحيم.. هذا هو الجحيم!.. لا يوجد أحد فى هذا الزحام المهتاج المتعارك يعترض علىّ".. وتحملنا قوة الكتابة على تصديق هذه المبالغات، بل مراجعة كل أفكارنا التقليدية الجامدة عن مدى السعادة أو البهجة التى يعيش فيها الأطفال.. وإضافة إلى ذلك ترينا القصة كيف يؤدى حب الأب لابنه إلى التضحية من أجله، وهى فكرة رأيناها فى قصة ما وسوف تقابلنا فى قصة أخرى.

وتقابلنا فكرة رهيبة، ألا وهى بقاء الطفل طفلاً إلى الأبد فى القصة الخيالية "التحية والوداع".. وهى قصة رقيقة للطفل (بيتربان) الذى ينتقل



FB@3abeth

من أبوين بالتبنى إلى أبوين آخرين وهكذا.. غير أنه بمرور السنين لا يلاحظ الناس أنه يكبر أبدا.. ويستسلم الطفل لمصيره هذا ويلعب دور الطفل جيداً.. ويعتبر أن دوره فى الحياة هو إسعاد الأزواج والزوجات الذين لا ينجبون أطفالاً حتى ولو لبضع سنوات قليلة.

## قصص السحر والخيال الجامح

(برادبورى) - كما رأينا بالفعل - يلجأ دائمًا إلى أسلوب الخيال الواسع عندما يكتب قصصاً فى الخيال العلمى. وكثيراً ما اعتبر كتاب الخيال العلمى الزمن لعبة مفضلة لهم، وكذلك فإن (برادبورى) له قصص كثيرة جيدة فى نفس هذا الإطار.. إحداها قصة "صوت الرعد" وهى قصة تنتمى إلى مجموعة قصص "الكون البديل" التى تتخيل فيها أن حادثة حقيقية معينة قد وقعت بشكل مختلف فى زمن آخر وتستعرض القصة النتائج الحتمية لهذا الفرق من خلال رصد الحالة الجديدة للمجتمع.

وتعتمد هذه الفكرة على فلسفة الجبرية أو الحتمية (أى القضاء والقدر)، و(برادبورى) يستخدم هذه الفكرة بأسلوبه البارع والمبدع، ففى المستقبل تقوم "آلة الزمن" برحلة خارقة ومحفوفة بالمخاطر إلى الماضى لمطاردة حيوانات ما قبل التاريخ!.. بيد أن خللاً ما يحدث وينجم عنه حدوث تغير بسيط فى المجتمع القديم جداً فى حدود فراشة ميتة واحدة.. وعندما يعود المسافرون إلى زمنهم الحقيقى يفاجأون بأمر غامض ومحير،



FB@3abeth

إذ إن كل شىء قد تغير قليلاً بشكل غير مفهوم وإلى الأسوأ!.. ومرة أخرى تنجح هذه القصة غير محتملة الحدوث فى إقناعنا، وذلك بفضل الاهتمام البارع بالتفاصيل وزرع الإثارة والخوف فى كل مراحل القصة.. وقبل كل شىء الوصف المثير للعواطف والأفكار للبيئة التى سادت فيما قبل التاريخ وحيواناتها وجوها.. والوحش الذى تقتله البعثة يثير الأعصاب والخوف.. ثم نجد أن نهاية البعثة مروعة بعض الشىء.

وأكثر قصص (برادبورى) إمتاعًا هى مجموعة القصص التى كتبها عن الخفافيش الماصة للدماء.. وهى "المسافرة" و"الخال أينار" و"العودة إلى الوطن أو المنزل" وتشبهها فى الفكرة "ساحرة الربيع".. وفيها نرى أن كل فرد فى أسرة السحرة - التى تعيش فى قرية أمريكية صغيرة ولا تشك فيها أبدًا الأسر المجاورة - يتمتع ذكرًا كان أو أنثى بموهبة خاصة.. فمثلاً نرى (سيسى) يمكنها إرسال روحها لكى تعيش فى أجسام الناس أو المخلوقات الأخرى، وهى المسافرة التى تنتقم لأسرتها من خالها (جون) الشرير. ومن خلال أسفار (سيسى) لكى تتجسد فى شكل الآخرين، تنطلق طاقة (برادبورى) الشعرية من عقالها. ومع ذلك فإن الخيال الجامح له جانبه السيئ أو الكئيب.. فنرى عمين لـ (سيسى) يحضران إلى القرية ومعهما جزار وحانوتى، وهما وظيفتان نافعتان للتوفير السرى للدماء التى تتغذى بالطبع عليها الأسرة!.. ومن جهة أخرى فإن الخال (أينار) قريب وَوَدود جدًا لهم من أوربا وهو يمتلك جناحين يمنعانه من الحركة فى النهار..



FB@3abeth

ونعرف أن هذا الخال تعرض لحادثة اصطدام ببرج كهرباء ضغطها عال؛ فقد بسببها قدرته على الرؤية الليلية، ثم تزوج زوجة عذبة للغاية ولكنها عادية تماماً. ويتكيف الخال مع نمط حياته بيد أنه يفتقد الطيران.. وأخيراً تأتى الفرصة له عندما يقوم أطفاله عديمو الأجنحة بتطيير طائرة ورقية.. ويتنكر فى شكل طائرتهم حيث تتاح له مرة أخرى حرية الحركة فى السماء نهاراً!.. ومما يجدر ذكره أن "شخصية الخال (أينار) مبنية على شخصية خال (برادبورى) الحقيقى واسمه (أينار)"..

وتجتمع كل عائلة (إليوت) من كل البقاع والأعمار معًا فى اجتماع سنوى عام فى قصة "العودة إلى الوطن"، وهى قصة رائعة للغاية عن عشية عيد جميع القديسين. ويهتم (برادبورى) هنا بالتفاصيل المتغيرة بعناية – مثلاً الشموع السوداء وحبال الزهور، النعوش أو التوابيت الموجودة فى البدروم والجاهزة لكى ينام الضيوف فيها، صلاة العائلة فى القداس الأسود بالكنيسة الصغيرة.. كما نجده يهتم بالشخصية الرئيسية (تيموثى) أصغر فرد فى العائلة وأغرب فرد فيها.. لأن (تيموثى) لا يتسم بصفات مصاصى الدماء فهو يكره شرب الدم ويخشى من الظلام.. لذا تضطر أمه إلى الدفاع عنه ضد استهزاء بقية أفراد الأسرة، والوحيد الذى يعطف عليه هو الخال (أينار) ويخبره بأنه محظوظ لأنه ليس خالداً. إذ يقول له: "أفضل حياة هى تلك للذين يعيشون قليلاً.. وكلما زاد عمر أحد قلت فائدته".. إن هذه قصة من أكثر القصص إمتاعًا وإثارة.. حيث تصور لنا لمحات قرب الموت، والاهتمام البشرى الحقيقى فى ورطة أو مأساة (تيموثى) الطبيعى البائس وسط أسرة غريبة الأطوار للغاية.



FB@3abeth

## قصص عن الموضوعات الاجتماعية والسياسية

على الرغم من حبه للخيال الجامح، فإن (برادبورى) يهتم اهتمامًا كبيراً بمشاكل العالم الواقعى الذى يعيش فيه.. ومثل الكثيرين جداً من كتاب قصص الخيال العلمى القدامى والمحدثين فإنه عادة ما يصور خلفية من الخيال العلمى وذلك للتركيز على المشكلة الجارى استعراضها.. وبعض هذه المشاكل أو الموضوعات ما هو كامن في نمو وتطور التقنيات العلمية، وبعضها اجتماعى محض.

ونرى فى قصة "الابتسامة" الناجين من الحرب الذرية يهتمون بالمشاركة فى "الاحتفالات" لتدمير كل ما تبقى من الفن المتحضر.. ولا ينجح سوى صبى فى إنقاذ ابتسامة الموناليزا لأنه غريزيًا يحب جمالها الأخاذ.

## العلاقات بين الجنسين الأبيض والأسود

يهتم (برادبورى) بعمق بقضية الأمريكيين البيض والسود (أو ربما فى كل مكان من العالم). ففى قصة "اللعبة الكبرى بين البيض والسود" نرى مباراة البيسبول السنوية بمنتجع أمريكى صيفى تتم بين خدم الفندق من الزنوج والضيوف البيض.. وسرعان ما يتصور الحضور أن السود أكثر لياقة وقوة بدنية من البيض.. أما البيض فنراهم متكبرين ومغرورين ويبدون سلوكًا سيئًا غير رياضى.. ويزداد التوتر تدريجيًا، ويصاب كابتن الفريق الأسود عن عمد، بيد أنه يسقط أحد البيض أرضًا



FB@3abeth

بعد توجيه كرة قوية إليه.. وتنتهى المباراة بما يشبه الشغب، ويتركنا (برادبورى) ونحن لا نشك فى الانتصار والتفوق الأخلاقى للسود، حيث يستمتعون بلعبتهم السنوية بعد المباراة.. إلا أن أحداً من البيض لا يلاحظ هذه الكرة، ما عدا صبى صغير مستمتع بها، وهو فى نفس الوقت راوى القصة.

## الحرب الذرية

هذا موضوع يتناوله كل كتاب الخيال العلمى منذ (هـ ، ج، ويلز) ويصور (برادبورى) أهوال هذه الحروب وتداعياتها بشكل رائع فى قصة "جامع النفايات" حيث نرى زبالاً مستمتعاً بعمله يجد نفسه فجأة متوقفاً عن عمله.. حيث تصدر إليه تعليمات بجمع "الجثث" كلما سقطت قنبلة على المدينة، ويفكر الرجل فى شاحنة ويتساءل: كيف يرتب الجثث عليها وكم جثة يمكنها نقلها؟.. وسرعان ما تخطر عليه فكرة ترك عمله هذا والذهاب إلى الريف لأن الحياة هناك آمنة نسبياً.. ونراه يقول لزوجته إنه يخشى أن "يعتاد على جمع الجثث".

## التطورات العلمية التقنية

أبدى الكثير من كتاب الخيال العلمى ارتيابهم فى التطورات التقنية العلمية المعاصرة، وأشاروا إلى احتمال تعرض البشر للأذى أو الضرر



FB@3abeth

أو الهلاك على يد الآلات والروبوتات.. ونرى فى "القاتل" حكاية ممتعة عن رجل يهتاج بشدة فى مجتمع مستقبلى يسود فيه الضجيج والتشويش والتداخل بين أنظمة الاتصالات فائقة التطور، كما نرى فى قصة "الآلة الطائرة" درسًا أخلاقيًا فى الصين قديماً.. إذ يتمكن رجل من صنع جناحين جميلين ويطير بهما.. والإمبراطور الذى يعشق الجمال يقدر كثيراً روعة الطيران.. غير أنه يأمر بإعدام مخترع الجناحين وإسكات من شهدوا طيرانه، لأنه يعلم مدى الشر الكامن فى قلب الإنسان الذى يمكن أن يستخدم هذا الاختراع فى التدمير وترويع الآمنين.

وقصة (المرج الأخضر) التى استعرضناها من قبل تبين أيضًا الخوف من التقنيات العلمية التى تجعل الحياة سهلة جداً ولكن معتمدة على الأجهزة. كما ترينا قصة "المدينة المفقودة بالمريخ" كيف أن مدينة معينة تطورت بشكل مرعب لدرجة أن خالقيها يخشون من الحياة فيها. غير أن (برادبورى) يرى أن الشر الحقيقى هو الإنسان وليس الآلات.. وكل المطلوب من الإنسان أن يصنع آلات جيدة ثم يستخدمها جيداً وعندئذ يسير كل شىء على ما يرام. وفى قصة "عندما أغنى يرقص جسمى" نرى مؤسسة الدمى المتحركة القديمة تصنع جدة روبوت لأسرة من الأطفال الذين فقدوا أمهم، وسرعان ما تحقق هذه الجدة نجاحات رائعة.. وعلى الرغم من أن هذه القصة تجنح إلى الخيال الواسع، فإنها تعبر عن كثير من الأفكار الرئيسية عند (برادبورى).



FB@3abeth

أعظم كتّاب الخيال العظمى تناولوا دائمًا الأساطير وأمور ما وراء الطبيعة، كذلك يهتم (برادبورى) ببواطن الأفكار الخيالية التى يسعده أن يسبح فيها.. وأحيانًا يحصر أساطيره فى الأرض وأحيانًا يحلق بها فى الفضاء اللانهائى.. وكثيرًا ما يُلبس تلك الأساطير ثوبًا دينيًا، حيث يطبع قصص خياله العلمى دائمًا بالطابع المسيحىّ..

ويتناول (برادبورى) قضيتى الحياة والموت، وهما موضوعان قديمان جدًا لنسج الأساطير حولهما، فى بعض قصصه. فمثلاً فى قصة "المنجل" نرى فى عام ١٩٣٨، مزارعًا وأسرته لا يملكون أرضًا يصلون بالمصادفة إلى حقل قمح كبير فى كاليفورنيا، ووجدوا مالكه ميتًا وبجواره وصيته التى يوصى فيها بالحقل ومنجله إلى أول شخص يصل إليهما.. وبالتدريج يفهم المزارع أن المنجل هو منجل الموت وأن القمح الناضج الذى يقطفه هو حياة الآلاف من مواطنيه. وعندما يضطر إلى قطع حياة زوجته وأطفاله - حيث إن عمرهم انتهى - تنتابه حالة من الثورة والهياج ويحصد كل القمح، الناضج وغير الناضج، معًا.. وإثر قيامه بهذا، تشتعل الحرب العالمية الثانية فى الأربعينيات من القرن العشرين، وهذه القصة الخيالية مروية باقتدار، وهى أسطورة مجردة من خلال قصة تشرح لنا بعض الحقائق البسيطة ولكن تكتنفها الأسرار.

وهناك خرافة أخرى متعددة الجوانب فى قصة "عفريت العلية".. وهى قصة غريبة ومزعجة نرى فيها صبيًا صغيرًا ينشأ فى منزل كبير



FB@3abeth

فى انعزال تام عن الناس وليس معه سوى أم أرمل مشوشة الفكر، ومضطربة العقل.. وهى تجبره على اعتبار المنزل والحديقة هما العالم الخاص به، وأن العالم الخارجي ممنوع تماماً، وأن السيارات التى يراها على الطرق هى الوحوش التى قتلت أبيه العظيم (الإله!).. وينمو الصبى باعتبار أنه أيضاً عظيم.. وهنا نرى أن لعبة الصبى، عفريت العلبة، رمز لسجنه ورغبته فى الحرية..

وفى النهاية تموت الأم ويهرب الفتى إلى العالم الحقيقى.. ولكن لأنه تعلم أن مغادرة عالمه معناها الموت، فإنه يعتقد أنه "ميت"!.. وهنا يثور التساؤل: هل تفسر هذه القصة نفسياً باعتبار أن الطفل بدأ يدرك حقيقة الحياة، أم باعتباره رجلاً وصل إلى مرحلة النضج والفهم؟.. هل هى أسطورة دينية للخروج من عالمنا المادى المحدود الذى يتعرض لآلهة زائفة ومخاوف خرافية إلى عالم الروح الحقيقى؟.. أم هل هى أسطورة فضائية يتجرأ فيها الجنس البشرى بالانطلاق بعيداً عن كوكب الأرض؟.. لعل القصة تتضمن كل تلك التفسيرات وأكثر.. والقصة مكتوبة بأسلوب شاعرى للغاية وبها لمحات وإشارات ذات مغزى خفى.

والآن ننتقل إلى بعض القصص ذات الطابع الدينى الصريح.. ونرى إحداها فى حياتنا اليومية فى عقل امرأة عادية جداً فى قصة "محطة الكهرباء" وبطلتها امرأة ليس لديها وقت كاف - مثل الكثيرات منا - فى ممارسة طقوس الدين: "وعمودها الفقرى ليس مستقيماً كظهر المقعد!". وفى رحلة لها بصحبة زوجها لزيارة أمها التى تحتضر تجد أن



FB@3abeth

نفقتها بنفسها اهتزت بشدة.. وبعد هبوب عاصفة يأوى الزوج والزوجة إلى محطة توليد كهرباء حيث يقضيان ليلتهما وسط الآلات التى تطن بشكل غامض ومضجر.. وقتئذ تبدو لنا صورة العالم الحقيقية بكل ما فيه من حياة وموت والأحداث التى تقع بينهما، وتبدأ فى فهم حقيقة الأشياء بما فيها هى نفسها.. إنها قصة مكتوبة بروعة وجمال ويتجلى فيها أسلوب (برادبورى) الخيالى بارع التصوير.. والرمزية فى تلك القصة مدمجة بشكل تام فى حقيقة وجود الآلات والمولدات الكهربائية، حيث نشعر بوجود "روح" للمحطة!.

رأينا بالفعل كيف أن الروبوت يعنى بالنسبة إلى (برادبورى) شيئًا يختلف كثيراً عما يعنيه بالنسبة إلى كثير من كتاب الخيال العلمى الآخرين.. وكذلك يرى أن سفن الفضاء ترمز إلى السيطرة والعدوان الذكوريين. ومركبات الفضاء ليست دائمًا قوية ومتينة عند (برادبورى).. وفى الحقيقة نجدها غالبًا عنده عرضة للتلف والأذى، بل إن كثيراً من قصصه تتضمن اصطدام أو انفجار الصاروخ مما يترتب عليه ترك رواد الفضاء الذين على متنه للجو القارس والوحدة والمصير المرعب.. وفى أحسن حالاتها لا تكون صواريخ (برادبورى) عدائية، بل يبدو لنا أنها مجرد وسيلة لاستكشاف مدى أو سعة عالم الروح.. ذلك أن الفضاء عند (برادبورى) يرمز إلى تطلعات وإنجازات وجمال الروح الإنسانية.. أو هو ما أصبح عليه الإنسان ومازال يتقدم باتجاهه!



FB@3abeth

وفى قصة "الصاروخ" نرى مدى إثارة وجمال رؤية الفضاء بشكل ممتع ويمس عواطفنا.. وهنا نرى أن رحلة الفضاء ذاتها مجرد خدعة ابتكرها أب فقير لأطفاله بحيث يشعرون بتحقق أعظم رغبة لهم وهى الانطلاق فى رحلة بصاروخ.. وقام الأب بتركيب سلسلة أفلام يستمر عرضها لأسبوع فى صاروخ أرضى قديم، ثم أغلق باب الصاروخ على الأطفال ولم يلبث أن انطلق.. ورأى الأطفال القمر الذى كثيراً ما حلموا به.. والشهب والنيازك تنفجر فى ألعاب نارية.. ومر عليهم الزمن وسط سحابة من الغاز تحيط بهم.. ونجحت هذه الحيلة نجاحًا تامًا.. ورأى الأطفال بالفعل كل ما يريدون وقالوا لأبيهم: "إننا لن ننسى أبداً ما رأيناه يا أبى.. سوف نتذكره دائمًا إلى الأبد".

## (أزيموف).. و (راى برادبورى)

والآن نتساءل: ترى أين يقف الخيال العلمى لـ (برادبورى) ضمن كل هذا؟.. إن (بريان ألديس) يصفه فى كتابه "نشاط دائب لبليون عام: تاريخ الخيال العلمى" بأنه : "أول كاتب يجمع بين كل الجوانب بطريقته الخاصة.. وأنا أراه كاتبًا لقصص خيالية فى الفضاء وليس خيالاً علميًا فى الفضاء"، ويشاركه فى هذا الرأى (لورى أولفسون) الذى يقول: "لأن هناك فرقًا كبيراً جداً بين المجالين".



FB@3abeth

وهناك كتاب مثل (إسحق أزيموف) – وهم علماء محترفون وخبراء فى العلم – يبذلون كل جهد ممكن لجعل الأشياء المستحيلة يمكن تحقيقها علميًا.. فمثلاً ألف (أزيموف) مجموعته القصصية "إلى أين نذهب من هنا؟" المبنية كلها على أفكار علمية دقيقة وتطرح مشاكل علمية مهمة.. وليس كلها معنية بأمور فلسفية أو اجتماعية. وكمثال على ذلك خذ قصة (أزيموف) التى تصور أوزة باضت بالفعل بيضة ذهبية كاملة بتفسير علمي "ساخر" لكيفية حدوث ذلك.

ومن خلال عمله محرراً، يضيف (أزيموف) إلى كل قصة من قصصه ملاحظة علمية عن العلم المرتبط بها والتحريف العمدى له من أجل كتابة القصة وأى تطورات علمية تمت منذ كتابة القصة والكتب التى يوصى المهتمين بمتابعة الموضوع بقراءتها.. وبينما يوافق على أن الهدف الرئيسى للخيال العلمى هو إمتاع وتسلية القارئ فإنه بوصفه كاتبًا: "يجب أن يحس بالعلم ويحب جوهره ويفهم الكثير من تفاصيله إذا كان يريد أن يكتب قصص خيال علمى جيدة".

ويؤمن (أزيموف) بشدة أن قيمة الخيال العلمى هى إعطاء تنبؤات تحذيرية لأحداث ممكنة فى المستقبل بحيث تقتنع البشرية بضرورة تجنب تلك الكوارث، مثل الزيادة المفرطة للسكان وتسمم البيئة وتجريد الإنسان من صفاته وروحه بواسطة الآلات.. لكنه يعتقد أن الخيال العلمى ليس مطالبًا بمناقشة الحقائق والمقومات الدائمة للحياة والدين والفلسفة لأن هذا يعد مضيعة للوقت!".



FB@3abeth

وهكذا نرى أن (أزيموف) بوصفه منظرًا وكاتب للخيال العلمى يختلف تمامًا عن (راى برادبورى).. إذ بالنسبة إلى (برادبورى) فإن تفاصيل العلم تكاد لا توجد.. فمثلاً لا نرى لديه تفسيرات معقدة لآلات مركبات الفضاء أو الآلات الميكانيكية المعقدة فى آلة الزمن أو أى نظرية منطقية للاتصالات التخاطرية.. فبالنسبة إليه فإن سفينة الفضاء تناظر "البساط السحرى" والكواكب العجيبة ما هى إلا "أراضٍ ساحرة".. كما أن حله لمشكلة الجنس البشرى هو الأخلاقيات العامة وليس التدابير الاجتماعية.

وتوفى (راى برادبورى) فى ٥ يونيو ٢٠١٢، عن عمر يناهز الواحد والتسعين عامًا.

رؤوف وصفى



FB@3abeth

# مقــدمة

## السـكير الذى يمتلك دراجة

فى عام ١٩٥٢، كتبت مـقالة بمجلة "الوطن" أدافع فيـها عن عملى بوصفى كاتبًا لقصص الخيال العلمى، رغم أن هذا الوصف ربما لا ينطبق إلا على ثلث إنتاجى الأدبى سنويًا. وبعد أسبوعين، فى أواخر شهر مايو، وصلنى خطاب من إيطاليـا، وعلى ظهـر الغـلاف قرأت الكلمـات التـالية بخط رفيع مائل:

ب. برينسون

١ تاتى، ستيجنانو – فيرنز – إيطاليا

التـفت إلى زوجـتى وقلت لهـا: "يا إلهى.. لا يمكن أن يكون هذا (ب.برينسون) المؤرخ الفنى الشهير؟!".

قـالت زوجتى: "افتحـه واقــرأ مـا فيـه".. ففعلت مثل مـا قــالت وقـرأت:

"عزيزى السيد (برادبورى)..



FB@3abeth

هذه أول مرة في عمرى الذى امتد ٨٩ عامًا، أكتب خطابًا لشخص أعجب به.. وذلك لكى أخبرك بأننى قرأت لتوى مقالك فى مجلة الوطن - اليوم الذى يلي الغد - وأصارحك القول بأن هذه أول مرة أصادف فيها تعبيراً لفنان فى أى مجال من المجالات يقول فيه: إنك لكى تبدع فى عملك؛ عليك أن تجسده وتكسوه لحمًا لإضفاء الطابع البشرى عليه، ثم تستمتع به شخصيًا وتعتبره مغامرة رائعة.

وأنا أرى أن هذه الكتابة الاحترافية الرائعة تختلف تمامًا عن كتابات العاملين فى مجال الصناعات الثقيلة مثلاً!

إذا حضرت إلى مدينة فلورنسا فى أى وقت، يسعدنى أن تأتى لرؤيتى".

المخلص ب. برينسون.

وهكذا فى عمر الثالثة والثلاثين، وجدت أن طريقتى فى التفكير والكتابة والحياة تلقى قبولاً وتشجيعًا من رجل أصبح أبًا ثانيًا لى.

وكنت محتاجًا إلى هذا القبول والتشجيع.. فكل إنسان يحتاج إلى شخص يفوقه خبرة أو أكثر حكمة أو أكبر سنًا؛ ليقول له إنه ليس مجنونًا على أية حال وأن ما يفعله شيء جيد. إن هذا أمر رائع حقًا.. نعم، ما أجمله!

بيد أنه من السهل علىّ أن أشك فى نفسى.. فأنت تنظر حولك وترى مجموعة من البلاد التى يحكمها كتاب ومفكرون آخرون يجعلونك



FB@3abeth

تتورد خجلاً لشعورك بالذنب!.. فالمفروض أن الكتابة عملية صعبة ومؤلمة، في الحقيقة هي ممارسة رهيبة ومهنة مرعبة.

ولكن كما ترى، فإن قصصي رسمت طريقي طوال حياتي.. فهي تصرخ وأنا أتبعها.. هي تجرى ثم تعضنى فى ساقى! وأنا أستجيب لذلك بكتابة كل ما يحدث لى أثناء تلك العضة.. وعندما أفرغ من الكتابة تفر الأفكار منى إلى حال سبيلها.

هذا هو نوع الحياة التى عشتها.. سكران ويمتلك دراجة هوائية، كما وصفها ذات مرة تقرير شرطى أيرلندى.. نعم، أنا سكران من الحياة.. ولا أعرف متى تنتهى وما يحدث لى بعد ذلك.. ولكنك تسير فى طريقك قبل أن يطلع الفجر عليك.. وإذا كنت تريد معرفة خلاصة رحلتى، فإن نصفها بالضبط كان رعبًا ونصفها الآخر بالضبط كان متعة.

عندما كنت فى الثالثة من عمرى كانت أمى تتسلل بى للدخول فى والخروج من دور السينما مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًا. أول فيلم أتذكره كان "أحدب نوتردام" بطولة "لون شانى". وطوال هذا اليوم فى عام ١٩٢٣، ظللت لفترة طويلة جدًا أعانى من تقوس دائم فى عمودى الفقرى وفى قدرتى على التخيل!. ومنذ تلك الساعة عرفت رفيقًا رائعًا وغريبًا هو الظلام أو الغموض عندما شاهدته، وأخذت أجرى بعد ذلك لرؤية أفلام شانى مرة تلو أخرى لكى أشعر بهذا الخوف اللذيذ. وبقى شبح "أوبرا" جاثمًا أمامى طوال حياتى وهو مرتد قبعته الحمراء.



FB@3abeth

وعند اختفاء هذا الشبح كانت تظهر لى اليد المرعبة التى تشير من خلف خزانة الكتب فى فيلم "القطة والكنارى" وتغرينى لكى أذهب وأبحث عن المزيد من الغموض والظلام المختبئ فى كتب كثيرة.

كنت فى حالة حب مستمرة وقتئذ مع الوحوش والهياكل العظمية وعروض السيرك ومدن الملاهى والديناصورات وأخيراً الكوكب الأحمر - المريخ، ومن تلك اللبنات الأولى الأساسية بنيت حياتى ومهنتى، ومن خلال استمرار حبى لكل تلك الأشياء المدهشة، تحققت فى حياتى العملية كل الأشياء الجميلة والناجحة التى اشتهرت بها.

بتعبير آخر لم أكن أشعر بالحرج أو الارتباك فى السيرك، رغم أن بعض الناس يشعرون بذلك. والسيركات تكون عادة صاخبة وسوقية وتفوح منها رائحة كريهة!. وعندما يبلغ الناس الرابعة أو الخامسة عشرة، فإنهم يفتقدون حبهم وأذواقهم وميولهم القديمة واحدة تلو الأخرى.. وعندما يصلون إلى سن النضج لا يشعرون بأى طعم أو متعة أو لذة أو بهجة. وآخرون انتقدوا ذلك، بل انتقدوا أنفسهم وشعروا بالحيرة والارتباك، وعندما يفتح السيرك أبوابه فى الخامسة من بعد ظهر يوم الصيف البارد، وتنطلق صفاراته الموسيقية.. فإنهم لا يقومون ولا يجرون إليه وإنما يتقلبون أثناء نومهم لا مبالين وهكذا تسير حياتهم.

أما أنا فكنت أقوم وأجرى.. وعندما بلغت التاسعة أدركت أننى على صواب وكل الآخرين على خطأ.. وقد رأيت كارتون "باك روجرز" هذا العام وعلى الفور أحببته.. وجمعت كل سلسلة الكارتون اليومية..



FB@3abeth

وشعرت بنشوة عجيبة حتى كدت أصاب بالخبل. وانتقدنى الأصدقاء وسخروا منى، فلم ألبث أن قطعت كارتون "باك روجرز" إربًا إربًا.. وبعد ذلك وجـدت نفـسى أتابع دروسى فى الصف الدراسى الرابع بشكل روتينى وأنا ذاهل وفارغ العقل.

وفى يوم ما انفجرت فى البكاء وسألت نفسى عن مدى الدمار الذى لحق بى.. وكانت الإجابة: "باك روجرز". وكان الرجل قد مات وقتئذ، ولم تعد الحياة تستحق أن يحياها المرء.. والفكرة التالية التى خطرت على بالى كانت هكذا: هؤلاء ليسوا أصـدقائى، بل إن هؤلاء الذين دفعونى لتمزيق الكارتون وبالتالى تمزيق حياتى إربًا هم أعدائى.

عدت أجمع رسومات كارتون "باك روجرز" مرة أخرى.. ومنذ ذلك الوقت أحـسست زوجتى بالسـعـادة الحقة.. لأن هذا كان بداية كـتـابتى لقصص الخيال العلمى. ومنذ تلك اللحظة لم أعد أصغى إلى أى شخص ينتقد أسلوبى فى قصص السـفـر فى الفضـاء والمغامرات والأحـداث الثانوية المساندة للأحداث الرئيسية، والكائنات البشعة الكثيرة فى قصصى.. وعندما يحدث ذلك الانتقاد فإننى ببساطة أجمع ديناصوراتى وكائناتى العجيبة وأغادر الغرفة.

فكمـا ترى كل ذلك مـجرد محسنات ومشـوقات فى القصص.. وإذا لم أكن حشوت رأسى وعينى بكل مـا ذكرته سـابقًا طيلة حيـاتى، فعندما يحين وقت استلهام الكلمات المناسبة لقصصى والربط بين أفكارى، كنت انتهيت إلى طن من التفاهات ونصف طن من الأصفار.



FB@3abeth

مثلاً "الروضة" الواردة هنا مثال رئيسى على ما يجرى فى رأس ممتلئة بالصور والأساطير والخيالات واللعب.. ومنذ حوالى ثلاثين عامًا جلست ذات يوم أمام آلتى الكاتبة وطبعت تلك الكلمات: "حجرة الألعاب والترفيه".. أين توجد تلك الحجرة؟ فى الماضى؟ لا.. فى الحاضر؟ بالكاد.. فى المستقبل؟ نعم! حسنًا، ترى إذن ما الذى تشبهه حجرة الألعاب فى وقت ما من المستقبل؟.. وبدأت أطبع على آلتى الكاتبة، والكلمات الرابطة بين الأفكار الخاصة بالحجرة تتداعى إلىّ.. مثل هذه الحجرة يجب أن تكون مزودة بتلفاز كبير من الحائط إلى الحائط فى كل حائط وفى السقف.. وعندما يدخل الطفل فى مثل هذه الحجرة فإنه يصيح: "نهر النيل!.. أبو الهول!.. الأهرامات!..". وفى الحال تظهر هذه الأشياء من حوله بلونها الطبيعى وصوتها الطبيعى.. ولم لا؟ وأيضًا الروائح الدافئة الممتعة تختار أيها لأنفك!.

كل هذه الأفكار خطرت علىّ فى ثوانٍ وأنا أطبع بسرعة على آلتى الكاتبة.. وبعد أن حددت الحجرة لا بد أن أجسد فيها الشخصيات المناسبة.. وطبعت شخصية اسمها (جورج) ووضعته فى مطبخ مستقبلى، حيث تلتفت إليه زوجته وتقول له: "(جورج)، أتمنى أن تنظر إلى حجرة الألعاب والتسالى.. أعتقد أنها تحطمت...".

يهبط (جورج) وزوجته إلى الصالة.. وأنا أتبعهما وأطبع الكلام بشغف عجيب، ولكننى لا أعرف ما الذى سيحدث لهما.. إنهما يفتحان باب حجرة الألعاب ويخطوان إلى داخلها، إن جو الغرفة يمكن وصفه هكذا:



FB@3abeth

أفريقيا.. الشمس الحارقة.. النسور الجارحة.. الوجبات الميتة.. الأسود.

بعد ساعتين قفزت الأسود من حوائط حجرة الألعاب والتهمت (جورج) وزوجته.. بينما كان الأطفال المدمنون للتلفاز جالسين يرشفون الشاي في هدوء.

نهاية تـوارد الكلمات التي تربط بين الأفكار.. نهـاية القصـة.. كل القصة كاملة وجاهزة لإرسالها إلى الطبع.. إنه انفجار أو طوفان للأفكار في مدة لا تتجاوز ١٢٠ دقيقة.

لكن يتبقى أمر مهم هو: من أين أتت الأسود؟

من الأسود التي وجدتها في مكتبة البلدة عندما كنت في العاشرة.. ومن الأسـود التي رأيتـهـا في السـيـركات الحـقـيـقـيـة عندما كنت في الخامسة.. ومن الأسد الذي كان يتسلل خفية في فيلم "لـون شاني" (من سيتلقى الصفعة) إنتاج عام ١٩٢٤!

١٩٢٤!.. وربما تقول هذا أمر يثير الشك.. نعم هذا عام ١٩٢٤. ولم أر فـيلم (شـاني) مـرة أخـرى إلا منذ عـام واحـد.. وبمجـرد أن بدأ عرضـه على شـاشـة السينما؛ أدركت أن أسـودي في قصـة "الروضـة" جاءت منه.. لقد كانت مـختـفـيـة عن الأنظار ومنتظرة وكامنة في مأوى صنعته بنفسها طيلة تلك السنوات.

إنني شخص غير تقليدي بالمرة.. أنا رجل يحمل في جوانحه طفلاً يتذكر كل شيء.. مثلاً أتذكر اليوم والساعة التي ولدت فيها.. أتذكر أنني



FB@3abeth

تختنت فى اليوم الثانى بعد ولادتى.. أتذكر الرضاعة من ثدى أمى.. وبعد سنوات سألت أمى عن هذا الختان..

وعرفت معلومات لم أكن لأعرفها قط وليس هناك داع لإخبار الطفل بها، وخصوصًا فى تلك الفيكتورية. لكن ترى هل تختنت فى مكان ما خارج مستشفى الولادة؟.. نعم هذا صحيح.. فقد أخذنى والدى إلى عيادة الطبيب.. وأتذكر هذا الطبيب، بل أتذكر المشرط الذى استخدمه!

وبعد ذلك بستة وعشرين عامًا كتبت قصة "القاتل الصغير".. إنها تتحدث عن صبى ولد بحواس نشطة للغاية وشعر بخوف رهيب نتيجة دفعه إلى عالم بارد.. ثم ينتقم من والديه بالزحف سرًا فى الليل والقضاء عليهما.

متى بدأ كل ذلك إذًا؟.. أقصد كتابة القصص.. كل شىء جاء لى فى الصيف والخريف وأوائل الشتاء من عام ١٩٣٢. فى ذلك الوقت كنت متخمًا بأفكار (بارك روجرز) وقصص (إدجار رايس بورو) والمسلسل الإذاعى الليلى "شاندو السحر".. كان (شاندو) يتكلم بالسحر والطبيب النفسى يستدعيه.. وتداعى إلىّ الشرق الأقصى وأماكن غريبة أخرى جعلتنى أجلس كل ليلة وأكتب من الذاكرة تفاصيل تلك العروض السحرية.

لكن كل هذا المزيج من السحر والأساطير والسقوط إلى أسفل السلالم مع ظهور الديناصورات العملاقة لم يُصغ فى قالب واحد إلا بمعرفة السيد (إلكتريكو).



FB@3abeth

وصل هذا الرجل مع مدينة ملاهٍ متنقلة متهالكة مزدوجة العروض.. إنها العروض المشتركة للأخوة (ديل) أثناء عطلة عيد العمال لعام ١٩٣٢، وكانت وقتها في الثانية عشرة. وكل ليلة لمدة ثلاث ليالٍ كان السيد (إلكتريكو) يجلس في كرسيه الكهربائي الموصل بكهرباء تبلغ قوتها ١٠ بلايين فولت تئز بلون أزرق.. كان يحدق في الحضور وعيناه متقدتان وشعره الأبيض واقف تمامًا ومن بين أسنانه تنطلق شرارات كهربائية، ثم يُشهر السيف السحري للملك (آرثر) على رؤوس الأطفال.. ومن طاقته النيرانية يحولهم في الحال إلى فرسان.. وعندما جاء إليّ ربت على كتفي ثم على طرف أنفي.. وعندئذ قفزت الشرارات إلى داخلي، وصاح السيد (إلكتريكو) : "لتعش إلى الأبد يا فتى!".

وقررت أن هذه كانت أعظم فكرة خطرت على قلبي.. وفي اليوم التالي ذهبت لرؤية السيد (إلكتريكو) متعللاً بأن حيلة سحرية اشتريتها منه بنيكل واحد لم تكن صالحة.. وبعد أن أصلحها لي أخذني في جولة بين الخيام وكان يصيح في كل واحدة منها: "حسِّنوا لغتكم" قبل أن ندخل لمقابلة الأقزام ولاعبي الأكروبات (الحركات البهلوانية) والنساء البدينات والرجال المزينين الذين ينتظروننا.

وسرنا حتى جلسنا على حافة بحيرة ميتشجان، حيث تحدث السيد (إلكتريكو) بفلسفته البسيطة وأنا بفلسفتي العظيمة!.. ولا أعرف قط كيف تحملني الرجل إلى تلك الدرجة.



FB@3abeth

لكنه أنصت إليّ أو على الأقل بدا لى ذلك.. ربما لأنه كان بعيداً عن بيته وأسرته.. وربما لأن له ابنًا فى مكان ما من العالم.. وربما لأنه لم يكن له ابن قط واعتبرنى ابنًا له!.. على أية حال كان الرجل، كما قال لى، كاهنًا فى كنيسة مشيخية ثم جُرد من وظيفته تلك وعاش بعد ذلك فى القاهرة بولاية إلينويس، وقد كان بإمكانى أن أكتب إليه فى أى وقت هنالك.

وأخيراً قال لى بعض الأخبار الخاصة والغريبة جداً: "لقد تقابلنا من قبل.. أنا وأنت.. فقد كنت أقرب صديق لى فى فرنسا عام ١٩١٨.. ثم مت بين ذراعى هاتين فى معركة غابة أردنيس ذلك العام.. وها أنت ذا جالس أمامى الآن بعد أن ولدت من جديد فى جسم جديد وتحت اسم جديد.. مرحباً بعودتك يا صديقى العزيز!".

وبعد مقابلتى هذه مع السيد (إلكتريكو) طرت فرحًا وأحسست بنشوة وحالة من السمو بسبب هدية الرجل لى: هدية أننى عشت فى زمن مضى (وبإخبارى بذلك).. وهدية محاولة العيش إلى الأبد بأى شكل كان!.

بعد بضعة أسابيع بدأت كتابة أول قصص قصيرة لى عن كوكب المريخ.. ومنذ ذلك الوقت إلى لحظتنا هذه لم أتوقف قط عن ذلك.. بارك الله فى السيد (إلكتريكو)، الذى شجعنى وحفزنى كما لم يفعل أحد قط، أينما كان!.



FB@3abeth

لو أخذت فى اعتبارى كل ما ذكرته سابقًا، فمن المؤكد أن بداياتى كانت فى العلية (السندرة). فمنذ أن بلغت الثانية عشرة حتى وصلت الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين، كتبت قصصاً بعد منتصف الليل بكثير.. وكلها قصص غير عادية عن الأشباح والأماكن المسكونة والكائنات المحبوسة فى قدور، والتى كنت رأيتها فى عروض الملاهى كريهة الرائحة.. وعن أصدقاء يفقدهم المرء فى مياه المد بالبحيرات.. ومن ثلاثى الرفاق - وهم ثلاث أرواح عليها أن تطير فى الظلام حتى لا تهلك فى ضوء الشمس.

ولقد احتجت إلى سنوات طويلة لكى أخرج من السندرة وأكتب بعيداً عنها، حيث اضطررت إلى التكيف مع حقيقة أننى سوف أموت فى وقت ما (وهو موضوع يشغل بال كل مراهق).. وبدأت أكتب فى حجرة المعيشة، ثم بدأت أخرج إلى الحدائق وضوء الشمس حيث تنمو نباتات الهندباء البرية الجاهزة للنبيذ.

كما أن ذهابى إلى الرياض والحدائق مع "أقربائى" فى يوم الاستقلال (الرابع من يوليو) لم يثمر فقط قصصًا مثيرة ومفعمة بالحياة فى بلدتى "جرين تاون" بولاية (إلينويس)، وإنما أيضًا دفعنى باتجاه المريخ مستجيبًا لنصيحة (إدجار رايس بورو) و(جون كارتر) آخذًا معى كل متعلقات وأشياء طفولتى بالإضافة إلى كل من أعمامى وعماتى وخالاتى وأمى وأبى وأخى.



FB@3abeth

وعندما وصلت إلى المريخ وجدت المريخيين، أو على الأقل من يبدون على شاكلتهم، ينتظرونني ويتظاهرون بأنهم سيدفنونني في قبر. وكتبت قصص "جرين تاون" التي لم تلبث أن وجدت طريقها إلى رواية مفاجئة عنوانها (نبيذ الهندباء البرية) وأيضًا قصص (الكوكب الأحمر) التي ضلت طريقها إلى رواية أخرى فجائية عنوانها (أحداث متتالية على المريخ) على الترتيب أثناء نفس السنوات التي جريت فيها إلى برميل المطر خارج منزل جدي لكي أخرج منه كل الذكريات والأساطير وتداعي الكلمات والأفكار لكل تلك السنين.

وخلال الطريق أعدت خلق "أقربائي" كمصاصي دماء يسكنون بلدة تشبه تلك المذكورة في (نبيذ الهندباء البرية) وهي ابن العم الأول الداكن للبلدة التي على المريخ حيث هلكت (البعثة الثالثة). وعلى ذلك فقد سارت حياتي على ثلاثة محاور أو أنساق: مستكشف البلدة، رائد الفضاء، المتجول مع أبناء العمومة الأمريكيين للكونت دراكولا. وأنا أدرك أنني لم أتحدث حتى الآن بنصف ما يكفي عن نوعية من الكائنات سوف تجدها تتحرك خلسة في تلك المجموعة القصصية وتظهر هنا في الكوابيس ثم لا تلبث أن تضيع في ظلمات الوحدة واليأس: الديناصورات. وطوال الفترة ما بين السابعة عشرة حتى الثانية والثلاثين كتبت ستا من قصص تلك الديناصورات.

وذات ليلة، بينما كنت أسير أنا وزوجتي على شاطيء البندقية بولاية كاليفورنيا، حيث أقمنا في شقة للمتزوجين حديثًا بثلاثين دولارًا في الشهر،



FB@3abeth

عثرنا بالصدفة على طبقة عظمية فى رصيف البندقية والدعامات وخط سكة حديدية وعرضات (فلنكات) لخط سكة حديدية قديم غير مستوية ومتقوضة على الرمال وأكلها البحر.

قلت: "ما الذى يفعله الديناصور هنا وهو جاثم على الشاطئ؟".. إلا أن زوجتى قالت بحكمتها إنه ليس لديها إجابة معينة. غير أن الإجابة جاءت فى الليلة التالية عندما أيقظتنى مكالمة استدعاء من نومى، فقمت وأنصت واستمعت إلى الصوت الموحش لنفير تحذير السفن من الضباب بخليج سانتا مونيكا وهو يطن مرة تلو أخرى.

وعندها فهمت بالطبع ما حدث.. فإن الديناصور سمع نفير التحذير بالمنارة.. وعندئذ اعتقد أنه صوت ديناصور آخر قادم من أعماق البحر.. فاقبل سباحة لكى يقابل هذا الديناصور الآخر مقابلة حب وتزاوج.. إلا أنه سرعان ما اكتشف أنه مجرد نفير تحذير، وسرعان ما مات ليحطم قلبه هناك على الشاطئ.

قفزت من سريرى وكتبت القصة وأرسلتها إلى مكتب بريد جريدة "ساترديى إيفننج" فى ذلك الأسبوع، حيث ظهرت بها بسرعة تحت اسم (وحش من أعمق أعماق البحر). وهذه القصة التى كان عنوانها (نفير التحذير) فى تلك المجموعة القصصية تحولت إلى فيلم بعد ذلك بسنتين. وفى عام ١٩٥٣، قرأ (جون هيوستن) القصة وسرعان ما سألنى عما إذا كنت أحب كتابة سيناريو وحوار فيلمه "موبى ديك". وقبلت وانتقلت من وحش إلى آخر.



FB@3abeth

وبسبب "موبى ديك" قمت باستعراض حياة كل من (ميلفى) و(جون فيرن) وقارنتهما بقيطانيهما المجنونين فى مقالة كتبتها لأعيد تقديم ترجمة جديدة للقصة الشهيرة (٢٠ ألف فرسخ تحت سطح الماء). وهذه المقالة قرأها مسئولو معارض الكتب الدولية بنيويورك عام ١٠٦٤، والتى بعدها أصبحت مسئولاً عن وضع تصور عام لكل الطابق العلوى لجناح معرض الولايات المتحدة.

وبسبب جناح معرض الكتب، استخدمتنى مؤسسة ديزنى لأساعدها فى التخطيط للأحلام المناسبة فى فيلم كارتونى تعده هو (سفينة الفضاء: الأرض)، وذلك لعرضه فى المعرض الدولى الدائم إبكوت (Epcot) الذى يتم بناؤه الآن لافتتاحه عام ١٩٨٢. وفى هذا المبنى الواحد جمعت تاريخ البشرية كله بحيث يتحرك إلى الأمام والخلف فى الزمن، ثم يغوص المشاهد فى المستقبل الجامح فى الفضاء الواسع.. بما فى ذلك الديناصورات.

كل ذلك النشاط والقصص.. كل نموى ونشأتى.. كل أعمالى الجديدة وكل ما أحببته مؤخراً ظهر وتولد من حبى الفطرى الأصلى للوحوش والحيوانات التى شاهدتها وأنا فى الخامسة من العمر والتى أحببتها بشغف عندما ناهزت العشرين والتاسعة والعشرين والثلاثين.

استعرض كل تلك القصص والأرجح أنك ستقتنع بأن واحدة أو اثنتين منها حدثتا بالفعل لى. وقد قاومت فى معظم أوقات حياتى أن أكلف بالذهاب إلى مكان ما لكى أتشرب النمط والجو المحلى به وسكانه وملامحه وطبيعة أرضه، فقد أدركت منذ وقت طويل أننى لا أرى مباشرة



FB@3abeth

وأن عقلى الباطن يقوم بالدور الأكبر فى عملية "التشرب" هذه ثمة تمر سنوات وسنوات قبل أن يطفو على السطح أى انطباع أو طرح لها أو تعبير عنها.

عندما كنت شابًا عشت فى شقة بمنزل بالقسم الذى يقطنه الأمريكيون من أصل أسبانى من مدينة لوس أنجلوس ومعظم قصصى الأمريكية اللاتينية كتبتها لسنوات بعد انتقالى من هذا المنزل، مع استثناء واحد مروع. ففى أواخر عام ١٩٤٥، حيث انتهت الحرب العالمية الثانية لتوها، طلب منى صديق أن أصحبه إلى مدينة مكسيكو سيتى فى سيارة فورد متهالكة بمحرك ذى ٨ أسطوانات بشكل ٧. وذكرته بعهدى أو التزامى بالفقر الذى فرضته الظروف علىّ، لكنه يرد علىّ بأن يسمينى جبانًا ويسألنى لماذا لا أستجمع شجاعتى وأرسل ثلاثًا أو أربعًا من القصص التى أخفيتها؟ وكان سبب إخفائى لها هو أن مؤسسات نشر مختلفة رفضتها مرة أو مرتين.

وبتشجيع وتحفيز من صديقى هذا نظفت التراب عن قصصى وأرسلتها بالبريد تحت اسم مستعار هو (ويليام إليوت)؛ وقد لجأت إلى هذا الاسم المستعار لأننى خشيت من أن يكون بعض محررى مانهاتن رأوا من قبل الاسم (براد بيرى) على أغلفة مجموعتى القصصية (قصصًا عجيبة) ومن ثم يتحيزون ضد هذا الكاتب المغمور.

أرسلت بالبريد ثلاث قصص قصيرة إلى ثلاث مجلات مختلفة فى الأسبوع الثانى من أغسطس ١٩٤٥. وفى ٢٠ أغسطس، بعت قصة



FB@3abeth

واحدة هى "التعويذة"، وفى ٢١ أغسطس بعت قصة "الآنسة"، وفى ٢٢ أغسطس وهو عيد ميلادى الخامس والعشرون، بعت قصة لدار "كولير" للنشر. وكل الأجور التى حصلت عليها بلغت ١٠٠٠ دولار، وهو مبلغ يعادل ١٠,٠٠٠ دولار فى يومنا هذا.

باختصار.. أصبحت غنيًا أو ما يقرب من ذلك، وقد أدهشنى ذلك.. وكان ذلك بالطبع نقطة تحول فى حياتى.. فقد أسرعت بالكتابة إلى رؤساء تحرير تلك المجلات وأخبرتهم باسمى الحقيقى.. والغريب أن تلك القصص الثلاث وردت بقائمة أفضل القصص الأمريكية القصيرة لعام ١٩٤٦، إعداد مارثا فولى، ونشرت إحداها فى دار هرشيل بريكلن، كما حصلت على جائزة هنرى التذكارية للقصص القصيرة فى العام التالى.

ومن هذه النقود سافرت إلى "جوانا جواتو" بالمكسيك وزرت سراديب الموتى تحت الأرض وشاهدت مومياواتها. ولقد ألمتنى وروعتنى تلك التجربة إلى درجة أننى أسرعت بالهرب من المكسيك.. وحلمت بكوابيس ورأيت فيها أننى أموت وأبقى فى حجرات الموتى مع تلك الجثث المسندة والمثبتة بالأسلاك. ولكى أتخلص على الفور من رهبتى هذه، كتبت "القصة التالية مباشرة".. وكانت هذه واحدة من الأوقات النادرة التى تثمر فيها تجربة معينة نتيجة ملموسة على الفور وفى نفس المكان.

يكفى هذا بالنسبة إلى المكسيك.. ماذا بشأن أيرلندا؟.. يوجد هنا كل نوع من القصص الأيرلندية، لأننى بعد أن عشت فى دبلن لمدة ستة أشهر رأيت أن معظم الأيرلنديين الذين قابلتهم لديهم طرق مختلفة للغاية



FB@3abeth

التعايش مع حقيقة وجود الوحوش الرهيبة.. ويمكنك أن تصطدم بها وجهًا لوجه وهذه تجربة مريرة، أو تلف وتدور حولها وتحاول أن تسبر غورها وترقص لها وتغنى لها وتحكى لها حكاية وتوسع الفجوة وتملأ الدورق. ويتمشى كل منها مع الطابع الأيرلندى، ولكن كليهما فى الطقس السيئ والسياسة الفاشلة يكون صحيحاً.

كان علىّ أن أعرف كل شحاذ فى شوارع دبلن.. أولئك الواقفون بجوار جسر أوكونيل ومعهم آلات البيانولا المجنونة، الذين يشربون القهوة أكثر مما يعزفون.. وأولئك الذين يقترضون طفلاً ضمن قبيلة من المتسولين المنقوعين فى ماء المطر.. بحيث ترى الطفل مرة فى أعلى شارع "جلافتون" ومرة فى فندق "رويال هيبيرنيان" وعند منتصف الليل بجوار النهر، لكن لم يخطر على بالى قط أن أكتب عنهم. ثم أدت رغبتى فى الصياح والبكاء الغاضب إلى جلوسى فى السرير ذات ليلة وكتابة "ماكجيلا هى المزعج" بدافع الشك الرهيب وتوسلات شبح يسير فى المطر كان لابد من تهدئته! وزرت بعض العزب القديمة المحترقة لملاك أيرلنديين كبار وسمعت منهم روايات حريق معين لم يحدث بشكل طبيعى، ولهذا كتبت قصتى "الحريق المروع". "العداءون والنشيد الوطنى" ، وهى ثمرة مقابلة أيرلندية أخرى، كتبت فى سنوات لاحقة عندما تذكرت فى ليلة ممطرة المرات الكثيرة جداً التى تسللت فيها أنا وزوجتى خارجين بسرعة من دور السينما بدبلن واصطدمنا بالأطفال وكبار السن وأوقعناهم يميناً ويساراً بغية الوصول إلى باب الخروج قبل عزف النشيد الوطنى!



FB@3abeth

لكن كانت بدايتى؟.. لقد بدأت فى العام الذى قابلت فيه السيد (إلكتريكو)، وكنت أكتب وقتها ألف كلمة يوميًا. وطوال عشر سنوات كتبت قصة قصيرة واحدة على الأقل فى الأسبوع.. وكنت أتصور أنه سوف يأتى علىّ يوم إما أن ينتهى فيه أمرى أو أعثر بالمصادفة على الطريق الصحيح.

وجاء هذا اليوم فى عام ١٩٤٢، عندما كتبت "البحيرة". إذ بعد عشر سنوات اتبعت فيها الطريق الخاطئ خطرت علىّ (أو ألهمت) الفكرة الصحيحة والمشاهد الصحيحة والشخصيات الصحيحة واليوم الصحيح ووقت الإبداع الصحيح. كتبت تلك القصة وأنا جالس بالخارج وأمامى آلتى الكاتبة على نجيل حديقة المنزل. وبعد ساعة بالضبط كانت القصة قد انتهت، ووقتها كان شعر قفاى منتصبًا والدموع تنهمر من عينىّ. وأدركت على الفور أننى كتبت أول قصة جيدة فعلاً فى حياتى.

وطوال السنوات التى كنت فيها فى أوائل العشرينيات كان جدولى الأسبوعى هكذا: فى صباح الإثنين أكتب مسودة قصة جديدة. فى يوم الثلاثاء أكتب مسودة ثانية. ويوم الأربعاء ثالثة. ويوم الخميس رابعة. ويوم الجمعة خامسة. وفى يوم السبت ظهراً أكتب المسودة السادسة والأخيرة وأرسلها بالبريد إلى نيويورك. وماذا بشأن يوم الأحد؟.. لقد تأملت فى كل الأفكار الجامحة التى تحاول جذب اهتمامى والجاثمة وراء باب السندرة (العلية)، وأنا واثق أخيراً أنه بسبب (البحيرة) سوف أنجح فى إخراج تلك الأفكار إلى الحياة.



FB@3abeth

لكن ليس معنى ذلك أن كل شيئ يسير ميكانيكياً معى.. فكما ترى فإن أفكارى تدفعنى إليها.. وكلما تعمقت فيها، أردت المزيد.. إنك تزداد نهماً وحماساً فى تلك الأمور.. أنت تشعر بالبهجة والمتعة ولا تستطيع أن تنام ليلاً، لأن أفكارك عن الوحوش والكائنات العجيبة تريد أن تعكر عليك صفو نومك.. إنها طريقة رائعة للحياة، أليس كذلك؟.

وهناك سبب آخر دفعنى للكتابة كثيراً، فقد كنت أحصل على نحو ٢٠-٤٠ دولاراً للقصة الواحدة من المجلات الرخيصة التى أتعامل معها. وكما ترى فإن الحياة المترفة الباذخة ليست من الأطروحات المتاحة لى. وكنت مضطراً إلى بيع قصة واحدة أو قصتين شهرياً حتى أستطيع شراء السجق وسندوتشات لحم البقر التى أحبها وأسدد أجرة ركوب عربات الترولى. وفى عام ١٩٤٤، بعت أكثر من ٤٠ قصة، ومع ذلك فإن إجمالى دخلى فى هذا العام بلغ ٨٠٠ دولار فقط.

خطر علىّ الآن أن هناك الكثير من مجموعتى القصصية هذه لم أعلق عليها بعد. فمثلاً "المعديات السوداء"، الجزء الثانى، تهمنا هنا، لأنها فى أحد فصول الخريف منذ ثلاثة وعشرين عاماً غيرت نفسها من قصة قصيرة إلى سيناريو فيلم سينمائى ثم إلى رواية طويلة اسمها "الشر القادم من هنا".

"اليوم الذى أمطرت فيه إلى الأبد" مثل آخر لتداعى الأفكار وربطها بالكلمات.. وهذه القصة كتبتها ذات ظهيرة وأنا أفكر فى الشموس الساخنة والصحراوات والقيثارات التى يمكنها تغيير الطقس"!.



FB@3abeth

وتعد "الوداع" قصة حقيقية لأم جدتى التى كانت تدق مسامير فى الألواح الخشبية لتثبيتها بالسقف وهى فى السبعينيات من عمرها.. وكنت حينها فى الثالثة من عمرى.. وودعتنا جميعًا ثم توجهت إلى سريرها لتنام ولكنها نامت.

وانبثقت فكرة قصة "استدعاء المكسيك" عندما زرت صديقًا لى ذات ظهيرة فى أحد أيام صيف عام ١٩٤٦، وعندما دلفت إلى حجرته أعطانى الهاتف وقال لى "أنصت".. وأنصت وسمعت أصوات مدينة "مكسيكو سيتى" قادمة من على بعد أكثر من ثلاثة آلاف كيلو متر. وعندما رجعت إلى منزلى كتبت هذه الخبرة الهاتفية إلى صديق لى فى باريس. وفجأة تحول خطابى هذا - فى منتصفه - إلى قصة أرسلتها بالبريد فى نفس ذلك اليوم.

كذلك تمت قصة "الهيكل العظمى" لأننى ذهبت إلى طبيبى وأنا فى الثانية والعشرين أشكو من شىء غريب فى عنقى وحنجرتى.. وكنت لمست بيدى كل المنطقة التى حول أوتار وعضلات عنقى.. وفعل الدكتور مثل ذلك وقال لى: "هل تعرف ما الذى تشكو منه؟".. فقلت: "لا أعرف بالضبط؟".. فقال: "الموقف الغريب الذى يجد فيه المرء نفسه عندما يكتشف أن له حنجرة!.. فنحن جميعًا نكتشف فى وقت ما أو آخر أوتارًا وعظامًا مختلفة فى أجسامنا لم نلحظها من قبل.. هذا ما حدث لك.. والآن خذ قرص الإسبرين هذا واذهب إلى منزلك".



FB@3abeth

وذهبت إلى منزلى وأنا أتحسس مرفقى وكاحلى وأضلاع صدرى وحلقى وحتى النخاع المستطيل بجمجمتى. وقصة "الهيكل العظمى" عبارة عن الصراع بين الإنسان وعظامه المختفية، وقد كتبتها فى ذلك المساء.

وجاءت قصة "صيف بيكاسو" نتيجة سيرى على الشاطئ مع أصدقائى وزوجتى فى عصر أحد الأيام.. وهناك التقطت عصا قطعة حلوى صغيرة ورسمت بها أشكالاً فى الرمل وقلت: "أليس من المخيف أن تتمنى طيلة حياتك اقتناء إحدى لوحات بيكاسو، ثم فجأة تقابلها صدفة.. ها أنا ذا أرسم الآن فى الرمال وحوشًا أسطورية.. ها هى ذى لوحة لبيكاسو محفورة أمامكم فى الرمال!".. وفى تمام الساعة الثانية صباحاً كنت انتهيت من كتابة قصة "صيف بيكاسو" وأنا على الشاطئ.

هيمنجواى: "الببغاء الذى قابل بيكاسو" - فى إحدى ليالى عام ١٩٥٢، قدت سيارتى عبر ولاية لوس أنجلوس مع أصدقاء لكى نزور دار طباعة، حيث تطبع مجلة "لايف" عدداً يتضمن قصة هيمنجواى "العجوز والبحر". أخذنا نسخًا من المجلة خارجة لتوها من المطبعة وجلسنا فى أقرب حانة وتكلمنا عن بيكاسو وفينكا فيجيا وكوبا وإلى حد ما عن ببغاء عاش فى الحانة وكان يتحدث إلى هيمنجواى كل ليلة. ثم ذهبت إلى منزلى ودونت ملاحظة عن الببغاء وتركتها لمدة ستة عشر عاماً. وعندما بحثت بعد ذلك فى ملفاتى كلها عام ١٩٦٨، اطلعت على تلك الملاحظة تحت مسمى "الببغاء الذى قابل بيكاسو".



FB@3abeth

قلت لنفسي: "يا الله!.. لقد مات بيكاسو منذ ثماني سنوات.. فإذا كان هذا الببغاء حيًا وتذكر هيمنجواى وتحدث بصوته، فإنه بالقطع يساوى ملايين الدولارات.. ولكن ماذا يحدث لو خطف شخص ما هذا الببغاء وحجزه طلبًا لفدية كبيرة؟

ثم كتبت قصة "الأشباح التى تطارد الجديد" عندما كتب إلىّ (جون جودلى) - لورد كيلبراشن - من أيرلندا واصفًا زيارته لمنزل احترق وتم بناء آخر مكانه، حجرًا بحجر وطوبة بطوبة، تقليدًا للبناء الأصلى تمامًا.. وبعد نصف يوم من قراءة البطاقة البريدية لكيلبراشن، كتبت أول مسودة للقصة.

أعتقد أن ما ذكرته حتى الآن يكفى تمامًا.. وها أنت يا عزيزى القارئ عرفت كل شيء عني.. ها هنا مائة قصة كتبتها خلال أربعين عامًا من عمرى تتضمن نصف الحقائق اللعينة التى خطرت على بالى فى منتصف الليل ونصف الحقائق الباقية التى تحققت منها ظهر اليوم التالى مباشرة. وإذا كان هناك شيء ذو قيمة قيل هنا فهو ببساطة وصف موجز لحياة شخص ما بدأ حياته فى مكان ما ثم مضى إلى حال سبيله. وأنا لم أعتبر قط أن طريق حياتى كان عبارة عن أشياء عظيمة مكتملة ومنتهية تمامًا، بل لم أتأكد أصلاً من تلك الأشياء ولا ما الذى كنت أسعى وراءه. كل قصة كتبتها كانت وسيلة للبحث عن الذات..



FB@3abeth

وكل ذات يكتشفها المرء كل يوم تختلف قليلاً عن تلك التى اكتشفها قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة!.

لقد بدأ كل شيء فى أحد الأيام فى خريف عام ١٩٣٢، عندما أعطانى السيد (إلكتريكو) هديته. وأنا لا أعرف ما إذا كنت أؤمن بالحياة السابقة، كما أننى لست متأكداً من الحياة إلى الأبد.. إلا أن هذا الصبى اليافع آمن بكليهما وقد تركته يفعل ما يحلو له. هذا الصبى هو الذى كتب قصصى وكتبى بدلاً منى. إنه يشغل لوحة أويجا (لتحضير الأرواح) ويقول نعم أولاً للحقائق الخفية أو نصف الحقائق.. إنه هو الجلد الذى تمر من خلاله - بخاصية الضغط الأزموزى - كل الأفكار وتكتب على الورق. وأنا وثقت بعواطفه وميوله ومخاوفه وأفراحه.. والحقيقة أنه لم يخيب ظنى إلا نادراً.

وعندما يمر علىّ شهر نوفمبر طويلاً وكئيبًا.. وعندما أفكر طويلاً وأفهم قليلاً، أعرف أن الوقت قد حان للعودة إلى ذلك الصبى المرتدى حذاء التنس المطاطى والمتميز بالحماس المتقد والأفراح الكثيرة متعددة المصادر والكوابيس المروعة.. بيد أننى لا أعرف بالضبط متى ينتهى هو وأبدأ أنا.. لكننى على أية حال فخور بهذا الفريق الثنائى!.. ولا يوجد أمامى شيء آخر أفعله سوى أن أتمنى له كل خير وسعادة، وفى نفس الوقت أعترف بفضل وجميل الشخصين الآخرين (السابق ذكرهما) وأتمنى لهما خير الجزاء.



FB@3abeth

في نفس الشهر الذى تزوجت فيه زوجى (مارجريت)، ارتبطت ارتباطًا قويًا للغاية بممثلى المثقف وصديقى المقرب (دون كونجدون).. كانت (ماجى) تطبع قصصى على الآلة الكاتبة وتنتقدها، بينما كان (دون) ينتقدها ويبيعها. وبصحبة هذا الفريق الثنائى الرائع طوال الثلاثة والثلاثين عامًا الماضية، كيف كان يمكن أن أفشل؟.. إننا أشبه ما تكون بالفرسان الثلاثة أو بقطعان "كانمارة" الرشيقة.. ولكننا مازلنا نعدو باتجاه باب الخروج!.

والآن وصلنا إلى القصص.. اقلب الصفحة من فضلك!



FB@3abeth

# الليـــــل

أنت طفل فى مدينة صغيرة. ولكى تتوخى الدقة، فأنت فى الثامنة من العمر والوقت أصبح متأخراً فى الليل، متأخراً بالنسبة إليك، إذ إنك معتاد على أن تأوى إلى فراشك فى التاسعة أو التاسعة والنصف مساء، وربما تتوسل مرة أو مرتين إلى أمك أو أبيك، لكى يتركاك مستيقظاً بعض الوقت، لكى تسمع المسلسل الكوميدى (سام وهنرى) من هذا المذياع العجيب الذى ذاعت شهرته فى ذلك العام ١٩٢٧. لكنك - معظم الوقت - تكون فى فراشك مرتاحًا ومستمتعًا بالدفء فى ذلك الوقت من الليل، إنها ليلة صيف دافئة، وأنت تعيش فى منزل صغير بشارع ضيق فى أطراف مدينة، ليس بها سوى القليل من الشوارع المضيئة. ولا يوجد غير متجر واحد مفتوح على بُعد مجمع سكنى. إنه متجر السيدة "ستجر". وفى هذه الليلة الحارة كانت أمك تكوى ملابس غسيل يوم الإثنين، وأنت تتوسل - بشكل متقطع - طلبًا للجيلاتى ومحدقًا فى الظلمة المحيطة بك من كل مكان.

أنت وأمك موجودان بمفردكما بالمنزل، فى ظلام الصيف الدافئ. وأخيراً - وقبل الوقت الذى تغلق فيه السيدة (ستجر) متجرها -



FB@3abeth

تصبح أمك أكثر تعاطفًا وتقول لك: "اذهب بسرعة واحصل على قمع صغير من الجيلاتي وتأكد من أنها تلفه لك بإحكام". ثم تسأل أمك إذا كان بإمكانك وضع طبقة من الشيكولاتة فوق الجيلاتي، إذ إنك لا تحب الفانيليا، وتوافق أمك. فتخطف النقود وتركض مسرعًا حافي القدمين، فوق الرصيف الأسمنتي الجانبي الدافئ، تحت أشجار التفاح وأشجار البلوط متجهًا إلى المتجر. المدينة مغرقة في الهدوء وناثية. وأنت لا تسمع سوى سقسقة[1] صراصر[2] الليل، في أماكن متفرقة، وراء أشجار النَّيْلَة[3] الساخنة، التي تحجب عنك ضوء النجوم.

قدماك العاريتان تضربان الرصيف الجانبي ثم تعبر الشارع، لتجد السيدة (سنجر) وهي تتحرك بتؤدة في أرجاء متجرها وهي تترنم بأنغام اللغة "اليَديشيَّة"[4]. تقول لك: "قمع صغير من الجيلاتي وفوقه شيكولاتة، أليس كذلك؟".

وتجيبها قائلاً: "بلى".

وتراقبها وهي تمسك بالغطاء المعدني لمجمدة الجيلاتي، ثم تُدخل مغرفة صغيرة وتملأ قمع الورق المقوى "بالجيلاتي وفوقه طبقة من الشيكولاتة"، كما طلبت.

---

(١) صوت قصير ذو طبقة صوتية عالية. (المترجم).

(٢) أي من الحشرات ذات قرون استشعار وأرجل طويلة يمكنها القفز بها. (المترجم).

(٣) ذات أوراق ريشية الشكل وأزهارها أرجوانية أو حمراء. (المترجم).

(٤) إحدى لهجات اللغة الألمانية التي يتحدث بها اليهود في وسط وشرق أوربا. (المترجم).



FB@3abeth

تناولت النقــود وتأخـذ القـمع المثلج وتحكه في حــاجبك ووجنتك وتضحك ثم سـرعان مـا تعــود إلى مـنزلك، مـصدراً صـوتاً مكتـوماً بقدميك العاريتين.

ووراءك تنطفيء أنوار المتجر الوحيد الصغير، ولم يعد يبقى في الشارع سوى تلألؤ ضوء متقطع وخفيف، عند الركن. ويبدو أن المدينة بأسرها بدأت تخلد إلى النوم. وبعد أن تفتح السـاتر السلكي للباب(٥)، تجد أمك وهي لا تزال تكوي المـلابس. تنظر إليك وهـي ثائرة ومـتـوترة لكنها مبتسمة كالمعتاد.

وتسـألها: "متى يعود أبي من اجتماع المحفل الماسوني؟". وتجيبك قائلة: "حـوالى السـاعة الحـادية عشرة أو الثـانيـة عشرة" ثم تأخذ قمع الجيـلاتي إلى المطبخ وتقسـمـه إلى قطع صـغيـرة، ولا تلبث أن تعطيك نصيبك الذي يحتـوى على الشيكولاتة. وتضع جزءاً لنفسـها في طبق وتحفظ البـاقي. ثم تقول لك: "للقبطان وأبيك عندما يعودان". و"القبطان" هذا هو أخوك، الذي يكبرك في العمر. إذ إنه في الثـانية عشرة ويتمتع بالصـحة، أحمر الوجه، أعقف الأنف، وشـعره أسـمر مصفر، عريض المنكبين بالنسبـة إلى سنه. تراه دائمًـا يركض. ويُسـمح له بالبـقـاء مستيقظًا لوقت متأخر عنك.

---

(٥) جزء أمام الباب ذو إطار سلكي يستعمل لإبعاد الحشرات والسماح للهواء بالمرور. (المترجم).



FB@3abeth

ليس متأخراً جداً بالطبع، ولكن فقط لكى يشعر بفائدة ولادته أولاً!
وفى هذا المساء يلعب مع رفاقه فى الجانب الآخر من المدينة، ولن يلبث أن يعود إلى المنزل سريعًا. ويظل هو ورفقاؤه - يصرخون ويركلون ويركضون لساعات متمتعين بوقتهم. وبعد قليل سوف يدخل المنزل، وهو يسير بتثاقل محدثًا ضجة، تفوح منه رائحة العرق والأعشاب الخضراء الملتصقة بركبتيه حيثما سقط. وتصدر منه - بجلاء - رائحة قبطان السفينة الحقيقى.. وهذا أمر طبيعى!

أنت تجلس مستمتعًا بالتهام الجيلاتى. وتدرك أنك الآن فى قلب ليلة صيف هادئة وغامضة. ولا يوجد أحد سواك أنت وأمك والليل، فى كل هذا المنزل وذلك الشارع الضيق. وتلعق كل ملعقة الجيلاتى تمامًا، قبل ملء ملعقة أخرى، والتهامها. ثم تُبعد أمك طاولة الكىّ، وتضع المكواة الساخنة فى علبتها، وتجلس فى المقعد الوثير ذى المسندين، بجوار الحاكى[٦]، تأكل بعض الحلوى وتقول: "يا إلهى! كم كان هذا اليوم حاراً.. ومازال.. إن الأرض تمتص كل الحرارة نهاراً ثم تطلقها ليلاً. سوف تنام نوماً غير مريح".

تجلسان كلاكما تنصتان إلى صمت الصيف. يزداد وطأة الظلام عند كل نافذة أو باب. ليس ثمة صوت، لأن المذياع يحتاج إلى بطارية جديدة. وأنت قد شغلت كل إسطوانات "رباعية المهاجرين الهولنديين"

(٦) جهاز كان يستعمل قديمًا لسماع مادة صوتية مسجلة على إسطوانات. (المترجم)



FB@3abeth

و"آل جولسون" و"غرابان أسودان" حتى أصابك الملل، لذلك تجلس فوق الأرضية الخشبية الصلبة بجوار الباب، تحدّق فيما حولك فلا تجد سوى الظلام الدامس، ثم تستوى على قدميك و تذهب إلى الساتر السلكى، وتضغط بأنفك عليه، حتى تنطبع آثار مربعاته السوداء الصغيرة على طرف أنفك.

تقول أمك بعد برهة: "إننى أعجب أين أخوك..؟" وتحك بملعقتها فى الطبق ثم تردف: "... كان المفروض أن يكون بالمنزل الآن.. إنها التاسعة والنصف تقريبًا". فتقول لها: "سرعان ما يعود يا أمى". وأنت تعرف – يقينًا – أنه سوف يعود إلى المنزل.

وتتبع أمك لكى تراها وهى تغسل الصحون. كل صوت وقعقعة لملعقة أو طبق، تتضخم وسط سكون الليل الحار. وفى هدوء، تذهب إلى حجرة المعيشة وترفع وسائد الأريكة ثم تجذبها بقوة، لكى تفردها إلى سرير مزدوج. أمك تجهز السرير لك الآن، وتضرب الوسائد بشدة بكفيها، لتسويها تحت رأسك. وبينما تقوم بفك أزرار قميصك، تقول لك: "(دوج)! انتظر برهة" فتقول: "لماذا؟". فتجيبك: "لأننى أقول ذلك". فترد عليها قائلاً: "إنك تتصرفين بغرابة يا أمى!".

تجلس أمك للحظات ثم تستوى على قدميها وتذهب إلى الباب وتنادى، وتنصت إلى ندائها: "قبطان.. قبطان.. قبطان!" مرارًا وتكرارًا. لكن لا يلبث نداؤها أن يتبدد فى ظلام الصيف الحار، ولا يعود أبدًا. إن صدى الصوت لا يهتم بكما على الإطلاق. على الرغم من تكرار ندائها: "قبطان.. قبطان.. قبطان!".



FB@3abeth

وأثناء جلوسك على الأرض تسرى في جسدك برودة ليست من تأثير الجيلاتي، ترى عيني أمك زائغتين وتطرفان. بسبب قلقها وعصبيتها وتوترها، كل هذه المشاعر مجتمعة.

وتفتح الساتر السلكي للباب، وتخرج إلى ظلام الليل وتهبط على الدرج، وتسير على الرصيف الأمامي تحت شجيرات "الليك"(٧) المنخفضة. تنصت إلى حركة قدميها ثم تنادي من جديد. بعد ذلك يسود الصمت. تنادي مرتين أخريين. وأنت تجلس في الحجرة. وتدرك أنه في أية لحظة من الآن، سوف يجيب القبطان من مكان ما بالشارع الضيق الطويل:

"حسناً يا أمي! حسناً يا أمي! سوف أعود حالاً".

ولكنه لم يجب قط. وأنت تجلس لعدة دقائق تنظر إلى السرير الجاهز لنومك، وإلى المذياع الصامت والحاكي الساكن، والثريا التي تتلألأ لمباتها البلورية في هدوء، وإلى السجادة ذات الخطوط القرمزية والأرجوانية الملتفة. ثم تضرب إصبع قدمك متعمداً بالسرير، لكي ترى هل سيؤلمك هذا أم لا؟ نعم، إنه يؤلمك بالفعل! يفتح الباب ذو الساتر السلكي محدثاً صريراً، وتقول أمك: "تعال يا ابني.. سوف نتمشى قليلاً معاً".

فتسألها: "إلى أين؟ فتقول لك: "فقط إلى هذا المجمع السكني.. هيا.. الأفضل أن تلبس حذاءك وإلا فسوف تصاب بالبرد" فتقول لها: "لا لن ألبسه.. وسيكون كل شيء على ما يرام".

(٧) نبات له أزهار عطرية ذات لون أرجواني أو أبيض. (المترجم)



FB@3abeth

تمسك يد أمك وتسير بجوارها فى شارع "سانت جيمس". وتشم من حولك رائحة الورود وهى تتفتح، والتفاح الساقط على الأرض وقد تعفن مصدراً رائحة كريهة وسط الأعشاب النامية. وتحت قدميك مازالت الخرسانة دافئة، وارتفعت سقسقة صراصر الليل وسط الظلام الذى يكتنف كل شىء. وعندما تصلان إلى زاوية أحد المبانى، تستديران ثم تستمران فى سيركما باتجاه واد صغير ضيق شديد الانحدار.

تمر سيارة على مسافة ما، مضيئة كشافيها الأماميين عن بعد. إن هذه المنطقة خالية تماماً من الحياة أو الضوء أو النشاط. وأنت ترى فى هذا الجوار - خلف البقعة التى تسير فيها متجهاً إلى الوادى - مربعات مضيئة لا يزال الناس مستيقظين فيها. إلا أن معظم البيوت غير المضاءة قد نام فيها سكانها بالفعل. كما أن هناك القليل من الأماكن المظلمة، التى يجلس ساكنوها يتحدثون همساً فى المداخل المسقوفة لمنازلهم. وعندما تقترب تسمع صرير أحد الأبواب يفتح أو يغلق. تقول أمك: "أتمنى لو كان والدك بالمنزل..". ثم تحكم قبضة يدها الكبيرة على يدك الصغيرة وتضيف: "انتظر حتى أمسك بهذا الصبى.. سوف أوسعه ضرباً حتى لتكاد تُزهق روحه".

ثمة طَمْسَةَ(٨) معلقة فى المطبخ مخصصة لهذا الغرض! أنت تفكر فيها. وتتذكر عندما ثناها أبوك إلى جزءين وأمسك بها بيده العضلية،

---

(٨) شريط جلدى سميك يستعمل لسن السكاكين. (المترجم).



FB@3abeth

مهدداً بضرب جسمك المرتجف. بيد أنك تشك فيما إذا كانت أمك ستنفذ وعيدها هذا.

الآن، اجتزتما مجمعًا سكنيًا آخر، وأصبحتما تقفان بجوار الصورة الظلية الضخمة لكنيسة التعميد[9] الألمانية عند ركن شارعى (تشابل) و(جلين روك). وخلف الكنيسة على مسافة مائة ياردة[10] تقريبًا، يبدأ الوادى الصغير. ويستطيع أى إنسان أن يشم رائحته، وهو عبارة عن مصرف لمياه المجارى والمخلفات تكتنفه الظلمة، ويحتوى على أوراق نباتات متعفنة، وتصدر عنه رائحة كريهة نفاذة. ويمتد هذا الوادى ليقطع البلدة إلى نصفين ملتفًا حولها، إنه غابة بالنهار، ومكان مخيف بالليل. وكثيراً ما قالت أمك ذلك.

لعله يجدر بك أن تتشجع بسبب قربك تمامًا من كنيسة التعميد الألمانية. لكنك لا تشعر بالشجاعة، لأن المبنى غير مضاء وبارد وعديم القيمة، مثل كومة من النفايات عند حافة الوادى.

إنك تبلغ من العمر ثمانى سنوات فقط، ولا تعرف سوى القليل عن الموت والخوف أو الفزع. الموت هو التمثال الصغير الشمعانى[11] الذى كان موضوعًا فى التابوت، عندما كنت فى السادسة من عمرك،

---

(٩) طقس مسيحى يستخدم به الماء كرمز لإدخال الفرد فى المجتمع المسيحى. (المترجم).
(١٠) الياردة تساوى ٩١,٤٤ سنتيمتر. (المترجم).
(١١) كائنه الشمع. (المترجم).



FB@3abeth

مات جدك. كان يبدو مثل نسر ضخم سقط فى تابوت وقبع صامتًا ساكنًا، لا يستطيع أن يخبرك كيف تصبح ولدًا طيبًا، ولا يتمكن من أن يعلق ببراعة وإيجاز على الشئون السياسية كعادته.

الموت هو أختك الصغيرة، عندما استيقظت ذات صباح - وكنت فى السابعة من عمرك - ونظرت فى مهدها ذى الجوانب المرتفعة، ورأيتها تحدق إليك بعينين زرقاوين خامدتين، كانت نظرتها ثابتة وجامدة، حتى جاء الرجال ومعهم تابوت صغير، ليأخذوها إلى مثواها الأخير. الموت هو عندما وقفت بجوار مقعدها العالى، بعد أربعة أسابيع من فراقها ثم لم تلبث أن أدركت فجأة، أنها لن تجلس أبدًا على هذا المقعد، لن تضحك وتبكى، وتجعلك تغار منها لمجرد أنها وُلدت. هذا هو الموت.

بيد أن ذلك أعظم قدرًا من الموت. إذ إن ليلة الصيف هذه، تخوض عميقًا فى الزمن والنجوم والدفء الأبدى. إنها جوهر كل الأشياء التى سوف تحسها أو تراها أو تسمعها من جديد، طوال حياتك. لأنها تأتى إليك بثبات - دفعة واحدة - وأنت فى منزلك.

وقتئذ تركتما رصيف الشارع وسرتما بامتداد ممر ممهد من الحصى، تحفه الأعشاب من الجانبين ويفضى إلى حافة الوادى. صراصر الليل تصدر طنينًا جماعيًا عاليًا وكأنها مجموعة من المنشدين وأنت مازلت تتبع - فى طاعة عمياء - أمك الشجاعة الذكية طويلة القامة التى تدافع عنك وعن العالم بأسره، أنت تشعر بالشجاعة لأنها تحميك بالسير خلفك، ثم تتمهل للحظات، وعندئذ تسرع إلى الأمام وتسبقها.



FB@3abeth

أنتمـا الآن تقـتـربان وتصـــلان وتتريثـان عند حـافـة المـدينة تمامًا. الوادى الصغير الضيق شديد الانحدار.

هنا وهناك، وفى الأسـفل داخل هذه الهـوة من الأحـراش المظلمـة المخيفة، توجد كل صنوف الشر التى يمكنك أن تعرفـها. الشر الغامض الذى لا يمكنك حتى أن تفهمه. كل الأشياء المروعة التى ربما لا تعرف لها اسمًا، تحدث فى هذا المكان. وفيما بعد عندما تشب عن الطوق، سوف تجد أسماء تنسبها إليها. مجرد مقاطع لفظية لا معنى لها، تصف العـدم القـابع فى الانتظار. وهناك فى الأسـفل، وسط الظلال الكثـيفـة الجاثمة وبين الأشجار الضخمة والكروم المتسلقة، لا توجد سوى الرائحة الكريهة للعفن والتحلل والفساد.

وهنـــاء فى هـــذا المكـــان بالتـحـديد، تتـوقف مظـاهـر المـدنية، وينتهى المنطق وتسيطر كل قوى الشر والإثم والشؤم.

وحـينئـذ تدرك أنك وحـيـد. أو بتـعـبـيـر أدق، أنت وأمك وحـيـدان. وتشعر بأن يدها ترتعد.

يد أمك ترتعد!

وتشعر بأن ثقتك فى عالمك الخاص تتبدد وتتحطم. لأن أمك ترتعد. لكن لماذا؟

هل ينتابها الشك هى أيضًا؟ بيد أنها أكبر وأقوى وأكثر ذكاء منك. أليس كذلك؟ هل تحس - مثلك - بهذا التهديد الخفىّ والظلام الداهم



FB@3abeth

الذي يوشك أن ينقض عليكما، بالإضافة إلى الشر المؤذى الكامن هناك في أسفل الوادي؟ هل معنى ذلك، أنه ليس ثمة فائدة في أن تتشب عن الطوق؟ ولا تعزية في كونك شخصًا بالغًا؟ أليس هناك ملاذ للمرء يلجأ إليه لإنقاذ حياته؟ ألا يوجد حصن بشرى من القوة بحيث يمكنه تحمل الاعتداءات التى تحدث في الظلام الدامس؟ لقد بدأت الشكوك تتدفق في ذهنك فجأة وبغزارة. ويعود إليك طعم الجيلاتى رطبًا في حلقك ومعدتك وعمودك الفقرى وأطرافك كلها، وتشعر فجأة ببرودة شديدة كبرودة رياح شهر ديسمبر.

وتدرك أن كل البشر هكذا. وأن كل شخص يشعر بأنه كيان مستقل ومتفرد، وحدة في المجتمع قائمة بذاتها، ولكنه دائمًا خائف. مثلكما الآن وأنتما واقفان هنا. وحتى إذا صرختما أو صحتما طلبًا المساعدة: هل سيكون ذلك مجديًا؟

إنكما قريبان للغاية من الوادى شديد الانحدار، لدرجة أنه في اللحظة التى تصرخان فيها، في تلك الفترة المنقضية ما بين سماع شخص ما لصيحاتكما وركضه لكى يعثر عليكما، ربما تحدث أمور كثيرة مروعة وغير متوقعة.

يمكن أن يأتى الظلام سريعًا ويبتلعكما في طياته. وفي هذه اللحظات الرهيبة عندما تتوقف حركتكما – وكأنما أصابكما الشلل – بتأثير الخوف والصدمة، يمكن أن ينتهى أمركما تمامًا. بوقت طويل قبل بزوغ الفجر، ووصول رجال الشرطة بكشافاتهم القوية لمعاينة هذا الممر



FB@3abeth

المزعج، وإسراع رجال – زاغت عقولهم – على حصى الممر لمساعدتكما. وحتى لو كانوا فى هذه اللحظات المروّعة، على مسافة خمسمائة ياردة منكما، وأيقنتما من مساعدتهم لكما، فلعل موجة ظلام عارمة ترتفع وتلفكما فجأة فى ثلاث ثوان، وتأخذ معها ثمانى سنوات جميلة من عمرك و....

إن التأثير الأساسى للوحدة على حياتك، يسحق جسمك الذى بدأ يرتعد الآن.. وأمك وحيدة هى الأخرى، إنها لا تستطيع أن تعتمد على قدسية الزواج لحماية عائلتها التى تحبها، كذلك لا تتمكن من الاعتماد على دستور الولايات المتحدة أو على شرطة المدينة. لا تستطيع أن تنظر إلى أى مكان فى هذه اللحظات بالذات، إلا فى داخل قلبها، ولكنها لن تجد هناك إلا تناقضًا لا يمكن التحكم فيه، ورغبة فى الخوف. فى هذه اللحظات، تواجهك مشكلة شخصية تتطلب حلاً منفرداً. يجب أن تتقبل حقيقة أنك وحيد منعزل، وعليك أن تتصرف من هذا المنطلق. فجأة أصبحت تجد صعوبة فى ازدراد لعابك، فتزداد التصاقًا بأمك. وتنتابك أفكار مروعة! يا إلهى. أرجوك لا تتركها تموت، ولا تدع أى شىء يؤذيها. سوف يعود أبى إلى المنزل من اجتماع المحفل الماسونى خلال ساعة، وإذا كان المنزل خاليًا....؟.

تتقدم أمك على الممر وتدخل فى الغابة الموغلة فى القدم، ويرتعش صوتك وأنت تقول لها: "أمى! القبطان بخير. القبطان بخير. أؤكد لك أنه بخير. إنه على ما يرام، لا تقلقى".



FB@3abeth

يصبح صوت أمك متوترًا وعاليًا وهى تقول لك: "إنه يأتى دائمًا من هذا الطريق. وقلت له مرارًا وتكرارًا ألا يجىء منه، ولكن تبًا! إن أولئك الصبية يأتون دائمًا من هنا. وأخشى أنه فى إحدى الليالى يأتى أخوك من هذا الطريق ثم لا نراه بعد ذلك أبدًا...".

لا نراه بعد ذلك أبدًا! ربما يعنى هذا أى شىء. أن يؤذيه المتشردون والأفاقون والمجرمون أو أن يصطدم بشىء ما فى ذلك الظلام الحالك أو أن يقع له حادث. وأعظم هذه الأخطار، أن يلاقى حتفه.

وتشعر بأنك وحيد فى الكون بأسره!

ثمة مليون مدينة صغيرة – مثل مدينتنا – فى كل أنحاء العالم. كل منها مظلمة ووحيدة ونائية وممتلئة بالخوف والغرائب. آلات الكمان التى تعزف لحنًا شجيًا من سلم موسيقى ثانوى[١٢]، هى المنتشرة فى أى مدينة صغيرة. ولا توجد بها أنوار وإنما الكثير من الظلال. يا إلهى! ما أفظع الوحدة التى يشعر بها المرء فى هذه المدن، وكم ينتابه الخوف من تلك الأودية الخفيّة ذات الانحدارات الشديدة، التى تمثل الحياة الليلية داخلها رعبًا مروعًا، حيث تتهدد – فى كل جوانبها – حياة الإنسان وزواجه وأولاده وسلامته العقلية وسعادته، بغول رهيب اسمه الموت.

ترفع أمك صوتها وتنادى فى الظلمة: "قبطان! قبطان!".

---

(١٢) أحد أنواع السلالم الموسيقية. (المترجم).



FB@3abeth

وفجأة تدركان أن هناك خطأ ما. لابد أن هنا خطأ كبيراً جداً، وتصغيان باهتمام لكي تعرفا ما هو هذا الخطأ! وتوقفت الصراصير عن السقسقة وران صمت عميق، صمت غريب لم يحدث أن واجهته طوال حياتك. صمت تام. لكن لماذا تتوقف الصراصير عن السقسقة هكذا. لماذا؟ ما هو السبب؟ لم يحدث أن توقفت عن إصدار تلك الأصوات من قبل، في أي وقت. لم يحدث قط.. إلا إذا.. إلا إذا...

كان شيء ما على وشك الحدوث. وبدا الأمر وكأن الوادي بأكمله يتوتر ويضم إليه خيوطه السوداء المبعثرة في كل مكان ليستمد قوته من جميع أنحاء الريف النائم في وداعة من حوله، لمسافة أميال وأميال[١٣]. ومن الغابات المشبعة بمياه الأمطار والوهاد والتلال المنحدرة، حيث تدير الكلاب رؤوسها نحو القمر. ويتم سحب الصمت السائد حولكما في كل مكان، إلى غياهب مركز واحد خفيّ، وأنتما تقفان في أعماق هذا المركز! وفي خلال عشر ثوان من الآن، سوف يحدث شيء ما. بالتأكيد سوف يحدث شيء ما. ولا تزال الصراصير تحافظ على صمتها، وتبدو لك النجوم منخفضة للغاية، بحيث يمكنك أن تلمس أشعتها بيديك! وثمة حشود مروّعة من هذه النجوم، متوهجة وثاقبة، في جميع أرجاء السماء من فوقكما. الصمت يتزايد باستمرار والتوتر يقوى لحظة بعد أخرى. يا إله السماوات، ما كل هذه الظلمة وكم أنتما بعيدان عن كل الأشياء.

---

(١٣) الميل وحدة طولية تساوي ١٦٠٩ أمتار. (المترجم).



FB@3abeth

وعندئذ يأتى صوت مألوف عبر الوادى شديد الانحدار: "هيه! أنا قادم يا أمي!" ومرة أخرى: "هيه! أنا قادم يا أمي!".

ثم تسمعان ركضًا بأحذية التنس الكاوتشوك، وهى تدب على طول الوادى المنحدر، وثلاثة صبية يندفعون تجاهكما وهم يقهقهون. أخوك الملقب بالقبطان و(تشاك ريدمان) وأيضًا (أوجى بارتز)، كلهم يركضون ويضحكون ملء قلوبهم. وأصبحت النجوم ترتفع الآن كملايين من قرون استشعار القواقع اللاسعة.

وقتئذ عادت الصراصير للسقسقة كعادتها. وبدأ الظلام الدامس يتراجع كما لو كان قد أصيب بالفزع والصدمة والغضب! إنه ينسحب وتتبدد قدرته ورغبته فى الالتهام، بعدما داهمه الفجر فجأة. وفي نفس الوقت الذى ينحسر فيه الظلام، مثل موجة ترتد من الشاطىء، برز ثلاثة صبية من طياته، يضحكون بلا توقف.

"أهلاً يا أمي! مرحبًا أخى الصغير! أهلاً بكما!". نعم إنها رائحة القبطان دون ريب، رائحة العَرَق والعشب وقفاز "البيسبول"[١٤] اللزج. قالت الأم: "أيها الشاب. اعلم أنك سوف تنال علقة ساخنة!". وتتبدد خوفها فى الحال. وتدرك بأنها لن تخبر أبدًا أى شخص بما حدث، بيد أنها سوف تكتم كل ذلك فى قلبها طوال الوقت، مثلما ستبقيه أنت أيضًا فى قلبك.

---

(١٤) لعبة رياضية بمضرب وكرة يشترك فيها فريقان. (المترجم).



FB@3abeth

وأخيراً تتوجه إلى منزلك لتخلد إلى النوم، فى أواخر ليلة صيف. وبالطبع تشعر بالغبطة لأن أخيك "القبطان" عاد سالماً وأنه مازال على قيد الحياة. نعم، أنت سعيد للغاية، للحظات فقط هناك عند الوادى المنحدر، اعتقدت أن.... وبعيداً فى ظلام الريف المضاء بنور القمر الخافت، عبر جسر علوى وفى أسفل الوادى العميق، يندفع قطار سريع يصدر صفيراً، ويبدو مثل صفارة معدنية عملاقة، لا يعرف أحد اسمه لكنه يجرى باستمرار. أما أنت فإنك تذهب إلى فراشك وبدنك مازال يرتعد، بجوار أخيك منصتًا إلى صفارة القطار، الذى أخذ صوتها يتلاشى. ومفكراً فى ابن عم لك، كان يعيش بعيداً فى الريف، حيث يوجد القطار الآن. وقد مات فى ساعة متأخرة من الليل. منذ سنوات مضت، بعد إصابته بمرض الالتهاب الرئوى.

وتشم رائحة عرق القبطان بجوارك. إن ما حدث يشبه السحر. ثم توقف ارتعاد جسمك. وفجأة تسمع وقع أقدام خارج المنزل على الرصيف الجانبى. وبينما تطفىء أمك الأنوار، أخذ رجل يتنحنح لتسليك حلقه، بطريقة اعتدت عليها. تقول أمك: "هذا هو والدك". نعم لقد جاء أخيراً.



FB@3abeth

# العودة إلى المنزل

قالت (سيسى) وهى ممددة على السرير: "هاهم أولاء قادمون"، ولم يلبث (تيموثى) أن صاح من المدخل: "وأين هم بالضبط؟".

قالت (سيسى) وعيناها مغمضتان ورموشها الطويلة شديدة السمرة تهتز: "بعضهم الآن فوق أوروبا، وبعضهم فوق آسيا، وبعضهم فوق الجزر والبعض الآخر فوق أمريكا الجنوبية!".

أقبل (تيموثى) إلى الأمام فوق ألواح الأرضية العارية لحجرة الطابق العلوى وقال: "ومن هم؟".

- "العم (أينار) والخال (فراى) وابن العم (ويليامز).. كما أننى أرى (فرولدا) و(هيلجار) والعمة (مورجيانا) وابنة العم (فيفيان) والخال (جوهان)!.. وجميعهم يقتربون بسرعة!".

صاح (تيموثى) وعيناه الرماديتان الصغيرتان تومضان: "هل هم مرتفعون فى السماء؟".. وكان واقفًا بجوار سريرها ولم يكن مظهره ينم على ما هو أكثر من سنوات عمره الأربعة عشرة.. وأخذت الريح تهب فى الخارج، بينما ساد الظلام المنزل وكان ضوء النجوم هو مصدر الإضاءة الوحيد به.



FB@3abeth

قالت (سيسى) وهى نائمة: "إنهم قادمون جوًا وكذلك يتحركون على الأرض بأشكال كثيرة مختلفة".. لم تتقلب قط فى سريرها بل سرحت مع أفكارها وكانت تقول ما تراه. وأردفت: "أرى شيئًا يشبه الذئب فوق نهر معتم عند المياه الضحلة بالضبط فوق أحد مساقط المياه.. وضوء النجوم يضىء جلده.. كما أرى ورقة شجرة بلوط بنية اللون تطير عاليًا فى الهواء.. وأرى أيضًا خفاشًا يطير.. وأرى أشياء كثيرة أخرى تجرى بين أشجار الغابات وتمرق من خلال أغصان الأشجار العالية.. وكلهم قادمون من نفس هذا الطريق!".

قبض (تيموثى) بقوة على ملاءات السرير وقال: "وهل سيصلون إلى هنا قبل حلول مساء الغد؟". وعندئذ التف العنكبوت الجاثم على طية صدرته مثل بندول ساعة أسود وأخذ يرقص بشكل مثير..

مال الصغير على شقيقته وأردف: "هل سيصلون هنا فى وقت مناسب للعودة إلى المنزل؟".

تنهدت (سيسى) وقالت: "نعم.. نعم يا (تيموثى).. ثم تصلبت وقالت له: "لا تسألنى عن أى شىء آخر يا (تيموثى) واغرب عن وجهى الآن.. واتركنى لكى أسافر إلى الأماكن التى أحبها".

قال لها: "شكرًا لك يا (سيسى)".. وجرى فى الردهة متجهًا إلى حجرته.. وأسرع يرتب سريره. كان قد استيقظ منذ بضع دقائق مضت عند غروب الشمس، وبينما أضاءت أول نجوم الليل، ذهب إلى (سيسى) لكى يطفئ ظمأ فضوله معها.



FB@3abeth

أما الآن فإنها تنام بهدوء تام بدون أن تصدر أى صوت. وكان العنكبوت مربوطًا فى خيط فضى اللون برقبة (تيموثى) الرفيعة أثناء غسل وجهه.. وقال لعنكبوته: "عليك أن تتذكر يا عنكبوتى الحبيب أن ليلة الغد هى عشية عيد جميع القديسين!".

رفع وجهه وحدق فى المرآة.. كانت مرآته هذه هى الوحيدة المسموح بها فى المنزل، وكأنها تنازل من أمه بسبب مرضه.. يا ليته لم يكن مريضًا هكذا!.. وفتح فمه ونظر إلى أسنانه السيئة الناقصة التى منحتها له الطبيعة.. إنها ليست أكثر من بضع حبات من الذرة المدورة والطرية والضعيفة فى فكيه.. الحقيقة أن اعتداده بنفسه قد تبدد تمامًا منذ وقت طويل.

الآن ساد الظلام تمامًا فأضاء شمعة لكى يرى ما حوله.. وشعر بإجهاد شديد.. ففى الأسبوع الماضى عاشت العائلة بطريقة القدماء، أى النوم نهارًا ثم الاستيقاظ عند غروب الشمس للبدء فى الحركة والنشاط.. ولاحظ أن هناك منخفضين زرقاوين تحت عينيه. ثم قال بهدوء لصديقه المخلوق الصغير: "يا عنكبوتى إننى لست على خير حال.. فأنا لا أستطيع الاعتياد على النوم طيلة النهار مثل الآخرين".

أمسك بالشمعدانة.. وقال فى نفسه: "يا ليت أسنانى كانت قوية وقواطعى مثل المسامير الحديدية.. أو ربما كانت يداى قويتين أو حتى دماغى قويًا.. أو لعلنى أكتسب القدرة على إرسال ذهنى إلى بعيد كما فعلت (سيسى). لكن لا، فهو الشخص الضعيف العاجز فى الأسرة..



FB@3abeth

بل إنه كان أيضًا - وارتعدت فرائصه وقرب منه ضوء الشموع - يخاف من الظلام. وحتى اخوته.. (بيون) و(ليونارد) و(سام).. يزدرونه ويسخرون منه.. كانوا يهزأون به لأنه ينام فى سرير.. أما(سيسى) فقد كانت مختلفة لأن سريرها كان جزءاً من وسائل الراحة اللازمة لمساعدتها على إرسالها ذهنها إلى بعيد جداً . أما (تيموثى) فهل كان ينام فى أحد الصناديق اللامعة الجميلة مثل بقية الآخرين؟ لا، لم يكن يفعل ذلك!.. فقد أعطته أمه سريراً منفصلاً وحجرة منفصلة ومرآة منفصلة له.. ولا غرابة فى أن الأسرة كانت تلتف حوله مثل صليب القديس. لو فقط نبت له جناحان من كتفيه!.. وفى الحال كشف عن ظهره ونظر إليه وتنهد مرة أخرى.. لأنه لا يوجد أمل.. ولا توجد حتى فرصة واحدة.

فى الطابق السفلى كانت ثمة أصوات غريبة ومثيرة.. فهناك شرائط سوداء متموجة معلقة فى كل القاعات وعلى الأسقف والأبواب.. وأيضًا هناك بقيقة الشمعات السوداء المشتعلة فى بئر السلم المحوط بدرابزين.. أما صوت الأم فهو عال وحاسم. وصوت الأب يتردد صداه من القبو الرطب.. وهناك (بيون) يسير من خارج المنزل الريفى القديم حاملاً بمشقة وعاءين سعة جالونين بكلتا يديه.

قال (تيموثى): "عنكبوتى العزيز، إننى مضطر إلى الذهاب إلى الحفلة".. وعندئذ دار العنكبوت بسرعة فى طرف خيوطه وشعر (تيموثى) بالوحدة.. فعليه الآن أن يلمع الصناديق ويحضر الضفادع والعناكب ويعلق شارة الحداد السوداء.. ولكن بمجرد بدء الحفلة فإن الجميع سوف يتجاهلونه..



FB@3abeth

ذلك أنه من الأفضل دائمًا ألا يرى الابن العاجز أو يقال عنه سوى القليل.

أخذت (لورا) تعدو فى كل مكان بالمنزل ثم لم تلبث أن صاحت قائلة بمرح: "العودة إلى المنزل!.. العودة إلى المنزل!".. وكان يمكنكَ أن تسمع وقع خطاها فى كل مكان فى نفس الوقت!

مر (تيموثى) على حجرة (سيسى) مرة أخرى وكانت نائمة بهدوء. مرة واحدة فقط كل شهر تهبط إلى الطابق السفلى.. ولكنها تبقى دائمًا فى سريرها.. (سيسى) الحبيبة.. وشعر بدافع ما لكى يسألها: "أين أنت الآن يا(سيسى)؟ وموجودة داخل ماذا؟ وماذا يحدث؟ وهل أنت وراء التلال؟ وما الذى يحدث هناك؟".. غير أنه واصل مسيرته بدلاً منها إلى حجرة (إلين).

كانت (إلين) جالسة أمام مكتبها تجمع وتصنف أنواعًا كثيرة من خيوط الشعر الشقراء والحمراء والسوداء وبعض فتات أظافر الأصابع كانت جمعتها من عملها، كمقلمة للأظافر بمحل التجميل بقرية "ملين" التى تبعد مسافة خمسة عشر ميلاً[1] وفى أحد أركان الحجرة يوجد صندوق من خشب الماهوجنى المتين مدون عليه اسمها. قالت بدون أن تنظر إليه: "اذهب لحالك.. لا أستطيع أن أعمل فى وجود أبله مثلك"..

(١) الميل يساوى نحو ١.٦ كيلو متر. (المترجم).



FB@3abeth

فقال لها بشكل حاول أن يبدو ودوداً: "إنها عشية عيد جميع القديسين يا (إلين).. فكرى فى ذلك فقط!".

قالت وهى تضع بعض فتات أظافر الأصابع فى كيس أبيض صغير وتكتب عليه اسمها: "عظيم جداً.. وماذا تعنى هذه الليلة لك؟.. ما الذى تعرفه عنها؟.. إنها سوف تفزع إذا رأتك.. اذهب إلى سريرك لتنام".

احمرت وجنتاه وقال: "إنهم يحتاجوننى لكى أنظف وأعمل وأساعد فى تقديم الطعام".. فقالت (إلين) بشكل عادى تماماً: "إذا لم تذهب فسوف تجد فى سريرك غداً اثنتى عشرة محارة طازجة.. مع السلامة يا (تيموثى)".

اندفع غاضباً إلى الطابق الأسفل واصطدم فجأة بجسم (لورا) التى صرخت وهى مندهشة: "انتبه جيداً أثناء سيرك!".. ثم انصرفت مسرعة. جرى حتى باب البدروم المفتوح وشم رائحة الهواء الأرضى الرطب الصادرة من أسفل.. ونادى: "أبى؟" فصاح أبوه وهو ينظر إلى أعلى: "لقد حان الوقت.. أسرع إلى أسفل وإلا فإنهم سيصلون إلى هنا قبل أن نكون جاهزين!".

تردد (تيموثى) طويلاً بما يكفى لسماع ملايين الأصوات الأخرى بالمنزل.. حضر أخوته وذهبوا كقطارات فى محطة السكة الحديدية وهم يتحدثون ويتناقشون.. وإذا وقفت فى بقعة ما لمدة طويلة بما يكفى فسوف يمر بجوارك كل ساكنى المنزل وأيديهم الضعيفة ممتلئة بشىء ما..



FB@3abeth

مثلاً ترى (ليونارد) وهو ممسك بصندوقه الطبى الأسود الصغير، و(صموئيل) متأبطًا كتابه الضخم المتسخ بالأتربة والمجلد بالأبنوس وحاملاً المزيد من شريط الحداد الأسود، و(بيون) رائحًا غاديًا من السيارة الواقفة بالخارج وهو يحمل المزيد من جالونات السائل.

توقف الأب عن التلميع لكى يعطى (تيموثى) خرقة ويقطب وجهه فى استياء.. وأشار بإصبعه إلى صندوق الماهوجنى الكبير وقال: "تعال.. لمع هذا الصندوق جيداً، لكى نبدأ فى صندوق آخر.. استفد بحياتك يا فتى". وبينما أخذ (تيموثى) يلمع سطح الصندوق نظر بداخله وقال: "العم (أينار) رجل ضخم.. أليس كذلك يا أبى؟" فقال أبوه: "أووه، بلى".

- "ولكن ما هو حجمه بالضبط يا أبى؟".

- "انظر إلى الصندوق وسوف تعرف من مقاساته حجم عمك (أينار)".

- "إننى كنت أسأل فقط.. لعل طوله سبعة أقدام[٢]".

- "أنت تثرثر بأكثر مما ينبغى".

وفى حوالى الساعة التاسعة خرج (تيموثى) إلى جو شهر أكتوبر البارد. وسار لمدة ساعتين فى المروج والمزارع الدافئة أحيانًا والباردة أحيانًا وأخذ يجمع الضفادع الصغيرة والعناكب.. وبدأ قلبه يخفق بقوة

(٢) القدم يساوى نحو ٣٠ سنتيمتراً. (المترجم).



FB@3abeth

من جديد.. ترى ما عدد الأقارب الذين قالت أمه إنهم سوف يحضرون؟.. سبعون؟ مائة؟.. ومر بجوار بيت ريفي بإحدى المزارع.. وتساءل وهو ينظر إلى النوافذ المضيئة عما قد يحدث في منزلهم.. وتسلق تلاً وتطر من فوقه إلى البلدة التي تبعد أميالاً وقد راحت في نوم عميق.. ورأى من بعيد ساعة القاعة الكبرى العالية المستديرة البيضاء.. ولكن البلدة لم تدر شيئًا عن ذلك.. وأحضر معه إلى المنزل كثيراً من الجرات الممتلئة بالضفادع والعناكب.

وفي الكنيسة الصغيرة بالطابق السفلي كانت تجري مراسم احتفال قصير.. كان مثل كل الطقوس الأخرى في السنوات الماضية والأب ينشد تراتيل صعبة الفهم.. يدا الأم الجميلتان الشاحبتان تتحركان شكراً للنعم وكل الأطفال يجتمعون حولها باستثناء (سيسى) التي تقبع بالطابق العلوي في سريرها.. غير أن (سيسى) كانت موجودة!.. فأنت تراها تحدق فيما حولها من عيني (بيون).. و(صموئيل) ثم من عيني الأم.. وتشعر بأن ثمة حركة ما وفجأة تجدها كامنة بداخلك لبرهة قصيرة ثم لا تلبث أن تختفي.

وتضرع (تيموثي) إلى رب الظلمة ومعدته خاوية قائلاً: "أرجوك ساعدني على أن أكبر.. ساعدني مثل أخوتي وأخواتي.. لا تجعلني مختلفًا عنهم.. فقط لو أمكنني أن أضع الشعرات في الأكياس البلاستيكية مثلما تفعل (إلين)، أو أجعل الناس يحبونني مثلما تفعل (لورا)، أو أقرأ كتبًا غريبة كما يفعل (سام)، أو أعمل في وظيفة محترمة



FB@3abeth

مثلما يفعل (ليونارد) و(بيون).. أو حتى أنشىء أسرة فى يوم ما مثلما فعل أبى وأمى..".

وعند منتصف الليل هبت عاصفة على المنزل.. كان من نتيجتها أن انقضت الصواعق بالخارج فى ضربات خاطفة بيضاء اللون كالثلج.. وكان يمكنك سماع صوت اقتراب إعصار قوى ساحب يتحرك فى شكل قمع ويثير تربة الليل الرطبة.. ثم ما لبث الباب الأمامى أن انخلع من نصف مفصلاته وتصلب معلقًا وثبت على حاله.. ودخل الجد والجدة بعد رحلة طويلة قادمين من الريف القديم.

منذ ذلك الوقت أخذ الناس يصلون كل ساعة.. وبإمكانك أن تسمع جلبة وضوضاء عند النافذة الجانبية.. وطرقة على الباب الأمامى وأخرى على الباب الخلفى.. كما انبعثت أصوات كئيبة من البدروم، بالإضافة إلى هبوط رياح الخريف من رقبة المدخنة وهى تصفر.. وملأت الأم زجاجة عصير الفاكهة البلورية الكبيرة بسائل قرمزى اللون صبته من الأباريق التى أحضرها (بيون) إلى المنزل.. وهرول الأب من حجرة إلى أخرى ليضىء المزيد من الشموع.. وطفقت (لورا) و(إلين) تقطعان وتسويان المزيد من نبات "قلنسوة الراهب"[٣].. ووقف (تيموثى) وسط كل هذا الضجيج والنشاط ووجهه جامد يخلو من أى تعبير ويداه ترتعدان فى الجانبين ونظره زائغ فى كل مكان.. إذ لا تخلو لحظة من قرع على

(٣) عشبة سامة دائمة طوال السنة. (المترجم).



FB@3abeth

الأبواب أو الضحك أو صوت صب السائل أو الظلام وصوت الرياح أو خفقان الأجنحة ذات النسيج المتشابك أو صوت وطء الأقدام أو سيل كلمات الترحيب بالزوار عند المداخل أو صرير رفع وغلق النوافذ أو مرور وقدوم وذهاب واهتزاز الظلال.

- "حسنًا.. حسنًا.. لابد أن ذلك هو (تيموثى)!".

- "ماذا تقول؟".

أمسكت يد باردة بيده.. وانحنى وجه طويل كثيف الشعر إلى أسفل وقال له رجل غريب: "صبى طيب.. صبى جميل".

قالت أمه: "(تيموثى).. هذا هو خالك (جيسون)".

- "مرحبًا خالى (جيسون)".

أخذت الأم الخال (جيسون) إلى بعيد، إلا أن الخال (جيسون) نظر إلى الخلف من فوق كتفه الضخم وغمز له بعينه.. فى حين كان (تيموثى) يقف وحيداً.

سمع صوتًا موسيقيًا عاليًا صادراً من على بعد ألف ميل وسط الظلام المضاء بضوء الشموع، إنه صوت (إلين).. التى كانت تقول: "وأخواى بارعان كذلك.. هل يمكنك تخمين وظيفتيهما يا عمتى (مورجيانا)؟".

- "يا بنيتى.. ليس لدى أدنى فكرة عن ذلك".



FB@3abeth

- "إنهما يديران مكتب دفن الموتى بالبلدة".

شهقت عمته وقالت: "ماذا تقولين؟".

ضحكت (إلين) ضحكة مجلجلة وقالت: "نعم!.. دفن الموتى.. أليس ذلك شيئًا رائعًا لا يقدر بثمن؟".

وقف (تيموثى) ساكنًا تمامًا.. واستطردت (لورا): "إنهم يحضرون بعض المؤن إلى أمي وأبي ولنا كلنا.. عدا - بالطبع (تيموثى)..". ساد صمت ثقيل.. ثم علا صوت الخال (جيسون) وهو يقول: "حسنًا.. تعالى يا (لورا).. ماذا تريدين قوله عن (تيموثى)؟".

قالت الأم: "آخ يا (لورا).. دائمًا لسانك!".. لكن (لورا) واصلت كلامها، بينما أغلق (تيموثى) عينيه، وقال: (تيموثى) لا.. حسنًا.. إنه لا يحب الدم.. إنه رقيق الأحاسيس".

قالت الأم بلهجة حاسمة: "إنه سوف يتعلم.. نعم، سوف يتعلم.. إنه ابني وأعرف أنه سوف يتعلم.. فهو في الرابعة عشرة فقط من عمره".

قال الخال (جيسون) وصوته ينتقل من حجرة إلى أخرى: "لكنني تربيت هكذا"..

وفي الخارج حركت الرياح الأشجار كالقيثارات التي تعزف ألحانًا.. وسقط بعض المطر على النوافذ.. وواصل حديثه قائلاً: "نعم لقد تربيت هكذا".. ثم صمت تمامًا. عض (تيموثى) شفتيه وفتح عينيه،



FB@3abeth

وعندئذ قالت أمه وهى توصلهم إلى المطبخ: "حسنًا.. إنها كانت غلطتى، لقد حاولت أن أجبرهم.. أنتم لا تستطيعون إجبار الأطفال على شىء، وكل ما تفعلونه أنكم تصيبونهم بالسأم والغثيان ثم لا يعودون يألفون الأشياء كما ينبغى.. انظروا إلى (بيون) الآن، لقد كان فى الثالثة عشرة من عمره قبل أن...".

غمغم الخال (جيسون) وقال: "أنا أفهم.. (تيموثى) سوف يتعافى من مرضه"..

وقالت الأم بلهجة الواثقة: "أنا متأكدة أنه سوف يتعافى قريبًا".

ارتعشت ألسنة اللهب المتصاعدة من الشموع بينما ذهبت الظلال وجاءت عبر الاثنتى عشرة حجرة البالية.. وشعر (تيموثى) بالبرد يسرى فى أوصاله.. وشم رائحة الشمع الساخن فى منخاريه.. وأمسك لا إراديًا بشمعة وسار بها فى كل أرجاء المنزل متظاهرًا باستعدال شريط الحداد الأسود.

همس أحدهم من وراء حائط مزركش وتنهد وهو يقول: "(تيموثى) خائف من الظلام إنه صوت (ليونارد).. (ليونارد) الكريه!

قال (تيموثى) هامسًا ومؤنبًا: "إننى أحب الشموع.. هذا هو كل ما هناك".

توهج ضوء البرق وازداد صوت الرعد.. ودوت سلسلة من الضحكات المجلجلة.. جنبًا إلى جنب مع أصوات الدق والقرع والصياح وخشخشة



FB@3abeth

الملابس.. وتحرك ضباب ندى وغطى الباب الأمامى للمنزل.. ومن وسط هذا الضباب ظهر رجل طويل يسير ببطء خافضًا جناحيه. وصاح (تيموثى): "عمى (أينار)!".

ركض (تيموثى) مسرعًا مخترقًا الضباب مباشرة أسفل الظلال الخضراء المتداخلة.. ولم يلبث أن قذف بنفسه بين ذراعى (أينار) الذى بادر برفعه إلى أعلى.

قذف الصبى إلى أعلى بسهولة كالريشة وقال: "لقد أصبح لك جناحان يا (تيموثى).. نعم جناحان قويان.. والآن عليك أن تطير يا (تيموثى)!".. وعندها دارت الوجوه من تحته ولف الظلام من حوله وتمزقت أوصال المنزل!.. وشعر (تيموثى) بأنه كالنسيم.. ورفرف بذراعيه.. وأمسكته أصابع (أينار) ودفعته مرة أخرى إلى سقف الحجرة.. ولكنه وجد أن السقف يندفع إلى أسفل مثل جدار محترق متفحم! وصاح (أينار) بصوت عال أجش: "طر يا (تيموثى).. طر بجناحيك القويين!".

شعر بنشوة بالغة فى لوحى كتفيه.. كما لو أن جذوراً تنمو وتتفتح وتزهر مكونة غشاء رطبًا.. وأخذ يهذى بكلام غريب.. ومرة أخرى دفعه (أينار) إلى أعلى.

تحولت رياح الخريف إلى عاصفة هبت على المنزل مصحوبة بهطول الأمطار واهتزاز عوارض المنزل، مما أجبر ثريا السقف على إمالة أضواء شموعها المرتبكة.. وفى تلك اللحظة أخذ مئات الأقارب يحدقون معجبين



FB@3abeth

من كل حجرة مظلمة محيطة وبكل الأشكال والأحجام، وفى (أينار) الذى يحفظ توازن الطفل مثل عصا تتقاذفها الرياح فى فضاء سحيق.. وأخيراً صاح (أينار): "هذا يكفى يا فتى".

هوى (تيموثى) على أخشاب أرضية الحجرة شاعراً بالعظمة وفى نفس الوقت منهك القوى.. وسقط على (أينار) وهو يبكى فى سعادة ويصيح: "عمى.. عمى.. لقد نجحت.. أليس كذلك؟".. فرد عمه (أينار) وهو ينحنى عليه ويربت على رأسه: "نعم، لقد كان طيرانًا رائعًا.. عظيم، عظيم".

كان الوقت يقترب من الفجر، عندما وصل معظم الزائرين وأصبحوا جاهزين للنوم فى فترة الليل.. ينامون بهدوء تام ودون إصدار أى صوت حتى تشرق الشمس فى اليوم التالى، ووقتها يقفزون من صناديقهم وهو يصيحون ويمرحون.

اتجه العم (أينار) وبرفقته عشرات من الآخرين إلى القبو.. وتقدمتهم الأم إلى أسفل باتجاه صفوف متكدسة من الصناديق فائقة النظافة واللمعان. وانتشر جناحا (أينار) كخيمة من مشمع أخضر فاتح وراءه، وتحرك فى الممر وهو يصدر صفيراً غريبًا، وكلما لمس جناحاه شيئًا أصدرا صوتًا مثل قرع الطبول.

وفى الطابق العلوى جثم (تيموثى) يفكر بإجهاد محاولاً أن يعتاد على الظلام المحدق به.. فهناك الكثير الذى يمكنك أن تفعله فى الظلام ولا يستطيع الناس أن ينتقدوك عليه، وذلك ببساطة لأنهم لا يرونك!..



FB@3abeth

بإمكان (تيموثى) بالفعل من حب الظلام، بيد أنه كان حبًا مقيداً، فأحياناً يكون الظلام شديداً جداً بحيث يصرخ تمرداً عليه.

وفى القبو كانت الأبواب المصنوعة من خشب الماهوجنى تنغلق لأسفل بحيث يسهل على الأيدى المجردة سحبها. وفى الأركان دار بعض الأقارب ثلاث مرات لكى يناموا ورؤوسهم فوق مخالبهم وجفونهم مقفلة.. وعندما أشرقت الشمس كان الجميع يغطون فى النوم.

بعد شروق الشمس.. اتسع نطاق المرح والعربدة والصراخ مثل وكر الخفافيش ممتلئ تمامًا، والكل يصيحون ويرفرفون بأجنحتهم ويتحركون هنا وهناك.. وانفتحت أبواب الصناديق إلى آخرها، واندفعت الجثث صاعدة من القبو.. وفى نفس الوقت كان زائرون آخرون متأخرون يدقون على الأبواب الأمامية والخلفية للمنزل ويؤذن لهم بالدخول.

كان ذلك عند هطول المطر، مما أدى إلى أن يترك الزوار المبتلون بالماء ستراتهم وقبعاتهم المشبعة بالماء وأوشحتهم المبتلة عند (تيموثى) الذى بادر بحفظها فى الخزانة وكانت الحجرات وقتئذ ممتلئة على آخرها. الضحكة المنطلقة من أحد أبناء عمومة (تيموثى) القابع فى إحدى الحجرات كانت تنعكس بميل على جدار حجرة أخرى ثم ترتد مائلة وتعود إلى أذنى (تيموثى) من حجرة رابعة على نحو دقيق وساخر!

وفى ذلك الوقت سار فأر بمحاذاة أحد الأركان.. وقال الأب مندهشًا لمن حوله وليس لـ(تيموثى): "إننى أعرفك يا ابنة أخى (ليبرسروتر)!".. وعلى الفور تزاحم العشرات من ضخام القوم حوله ودفعوه بمرافقهم



FB@3abeth

ثم تجاهلوه كلية.. ثم نادى بصوت خافت: "(سيسى)، أين أنت الآن يا (سيسى)؟". انتظرت طويلاً قبل أن تجيبه بهمهمة خافتة: "فى الوادى الملكى.. بجوار بحر (سالتون) وبالقرب من قدور الطين والبخار والسكون التام.. إننى داخل زوجة أحد الفلاحين.. وأجلس الآن على شرفة أمامية.. ويمكننى أن أجعلها تتحرك إذا أردت، أو تفعل أو تفكر فى أى شىء أريده.. أووو.. لقد بدأت الشمس فى الغروب الآن".

- "وما شكلها يا (سيسى)؟".

قالت ببطء كما لو أنها تتكلم فى كنيسة: "أستطيع سماع هسيس قدور الطين.. وأرى رؤوسا رمادية صغيرة من البخار تدفع الطين إلى أعلى، مثل رجال صلع يصعدون داخل شراب غليظ القوام.. رؤوسهم تدخل أولاً فى قنوات يغلى فيها السائل.. الرؤوس الرمادية تتشقق، مثل قماش مطاطى ثم تتفتت وهى تصدر أصواتًا كحركة الشفاة.. وأرى ألسنة متماوجة من البخار تهرب من تلك الأنسجة المتشققة.. وهناك رائحة كبريت كثيف يحترق وأشياء أخرى قديمة جداً.. مثلاً الديناصورات كانت تعيش هنا منذ ملايين السنين".

- "هل انتهى الآن يا (سيسى)؟".

لف الفأر حول أقدام ثلاث نسوة ثم اختفى فى أحد الأركان.. وبعد لحظات ظهرت امرأة جميلة من لا مكان ووقفت فى ركن الحجرة تلقى بابتسامة ساحرة إلى جميع الحاضرين.



FB@3abeth

شيء ما جثم على لوح زجاج نافذة المطبخ المبلل بماء المطر.. وأخذ هذا الشيء يتنهد ويبكي ويدق باستمرار ويضغط على الزجاج، بيد أن (تيموثي) لم يره أو يتبين ما هو.. وتخيل نفسه في الخارج يحدق في الداخل من وراء الزجاج.. وكان المطر يسقط عليه والرياح تهب عليه والظلام الدامس في الداخل يرحب به.. وأثناء عزف موسيقى الفالس كانت مخلوقات طويلة تدور وتتهادى على قدم واحدة على نغمات موسيقى غريبة.. وانعكست بقع من الضوء على زجاجات النبيذ المرفوعة.. وتجمعت على الخوذات كتل صغيرة من الطين.. ثم سقطت عنكبوت وجرت في صمت على الأرض.

ارتعد جسد (تيموثي) وكان داخل المنزل من جديد.. وأخذت أمه تنادي عليه لكي يجري هنا وهناك ويساعد في بعض الأشياء ويقدم الطعام والمشروبات، ثم يجري إلى المطبخ لكي يحضر هذا أو ذاك ويجلب الأطباق ويكوم الطعام.. باختصار كان لا يكف عن العمل طوال مدة الحفلة.

انفتحت شفتا (سيسي) النائمتان الهادئتان وقالت: "نعم، لقد انتهى.. انتهى تماماً".

وانسابت الكلمات الواهنة ببطء من فمها المفتوح قليلاً: "أنا الآن داخل جمجمة هذه المرأة أراقب وأبحث في البحر الذي لا يتحرك والساكن للغاية لدرجة أنه يخيفك.. أنا أجلس على الشرفة وأنتظر حضور زوجي إلى المنزل.. ومن وقت إلى آخر تقفز سمكة إلى أعلى ثم تهبط مرة أخرى



FB@3abeth

ويحدد ضوء النجوم شكلها العام.. وأيضًا الوادى والبحر والسيارات القليلة والشرفة الخشبية ومقعدى الهزاز وأنا والسكون".

- "لكن لماذا الآن يا (سيسى)؟".

- "إننى أقوم من مقعدى الهزاز".

- "حسنًا.. وماذا بعد؟".

- "إننى أتحرك الآن بعيدًا عن المقعد وأتجه إلى قدور الطين.. الطائرات تطير من فوقى مثل طيور بدائية.. ثم يسود الهدوء التام".

- "وإلى متى سوف تبقين داخلها يا (سيسى)؟".

- "حتى أسمع وأنظر وأشعر بما يكفى.. حتى أغير حياتها بشكل ما.. إننى أتحرك الآن بعيدًا عن المقعد بامتداد الألواح الخشبية.. قدماى تدقان على الألواح بوهن وبطء".

- "وماذا يحدث الآن؟".

- "الآن تحيط الأدخنة الكبريتية بى من كل اتجاه.. وبدأت أتعامل مع الفقاعات وهى تنفجر وتصبح ملساء.. وينقض فجأة طائر على صدغى وهو يصيح.. وفجأة أجد نفسى داخل الطائر الذى يطير بى!.. وبينما أطير أرى داخل عينى الكرويتين الزجاجيتين الصغيرتين الجديدتين امرأة أسفل منى على ممر خشبى وهى تخطو خطوة واحدة واثنتين



FB@3abeth

وثلاثا داخل قدور الطين.. أسمع الآن صوتًا يشبه سقوط صخرة ضخمة في الأعماق المصهورة.. مازلت أطير وأحلق راجعة.. أرى يداً بيضاء تشبه العنكبوت تتلوى ولا تلبث أن تختفى فى بركة الحمم الرمادية.. ثم تنغلق الحمم عليها تماماً.. أنا الآن أطير راجعة إلى المنزل بسرعة كبيرة!".

شيء ما رفرف بقوة على النافذة، ارتعد منه (تيموثى).. وفتحت (سيسى) عينيها اللامعتين الواسعتين فى سعادة ومرح وقالت: "أنا الآن فى المنزل!".

بعد برهة تجرأ (تيموثى) وقال: "لقد تمت العودة إلى المنزل.. والجميع هنا الآن".

تناولت يده وقالت: "إذاً لماذا أنت موجود بالطابق العلوى؟.. حسناً، ما عليك إلا أن تسألنى".. وابتسمت بمكر ثم أردفت: "اسألنى ما أردت أن تسألنى إياه".

قال: "لم أحضر إلى هنا لكى أسألك عن شيء ما.. حسناً.. لا شيء تقريبًا.. الحقيقة، أوه يا (سيسى)!".. ثم خرج الكلام من فمه كالسيل: "اصغى إلىّ.. أريد أن أفعل شيئًا فى الحفلة لكى أجعلهم ينظرون إلىّ.. شيء ما يجعلنى جيداً مثلهم، شيء ما يجعلنى أنتمى إليهم، لكننى لا أجد شيئًا أفعله وأشعر بأننى تافه ومدعاة للسخرية.. وأشعر، حسناً.. أعتقد أنك يمكن أن...".



FB@3abeth

قالت وهى تغلق عينيها وتبتسم بينها وبين نفسها: "نعم يمكننى، والآن قف منتصب القامة.. قف ساكنًا".. أطاعها فأردفت: "الآن اقفل عينيك وأخل تفكيرك مما فيه".

وقف منتصباً وأبعد عن ذهنه كل الأفكار، أو على الأقل أصبح يفكر فى لا شىء.

تنهدت وقالت: "هل سنهبط إلى الطابق السفلى الآن يا (تيموثى)؟".. وفى لحظة أصبحت (سيسى) داخله، مثل اليد التى داخل قفاز.

أمسك (تيموثى) بزجاجة السائل الأحمر الدافئ وقال: "لينظر الجميع إلىّ!".. وظل ممسكًا بالزجاجة حتى نظر إليه كل من بالمنزل.. العمات والخالات والأعمام والأخوال والأخوة والأخوات!.. ثم تجرع الزجاجة بأكملها على الفور. مد يده إلى أخته (لورا)، وأمسك بيدها وهى تحدق فيه وهمس فى أذنها بصوت ماكر جعلها تظل صامتة ومتجمدة فى مكانها.. وشعر بأن قامته بطول الأشجار وهو يقترب منها.. فى ذلك الوقت هدأ إيقاع الحفلة وانتظر الجميع من جميع الجوانب وهم يراقبونه.. ومن كل أبواب الحجرة حدقت فيه العيون.. ولم يكن أحد منهم يضحك، وكانت الدهشة ترتسم على وجه الأم.. أما الأب فبدا متحيراً لكن سعيداً وكان فخره يزداد لحظة بعد أخرى.

قرص (لورا) بلطف من رقبتها.. وتمايلت ألسنة الشموع بغير انتظام.. وهدرت الرياح فوق السقف من الخارج.. وحدق الأقارب فيه من



FB@3abeth

كل الأبواب.. ولم يلبث أن أدخل الضفادع الصغيرة فى فمه وابتلعها وخفق بذراعيه عند خاصرتيه ودار حول نفسه وقال: "انظر يا عمى (أينار)!.. إننى أستطيع الطيران أخيرًا!".. وأخذت ذراعاه تخفقان وتحركت قدماه إلى أعلى وإلى أسفل.. وتعلقت أنظار الجميع به.

سمع أمه بأعلى السلم تخفق بجناحيها وتصيح: "توقف يا (تيموثى)!".. وصاح (تيموثى) من أسفل: "هيى يا ماما!".. ووثب من أعلى بئر السلم وهو يضرب بجناحيه.. وفى منتصف المسافة خار الجناحان اللذان ظن أنه يمتلكهما.. وصرخ فبادر العم (أينار) بالإمساك به.

جثم (تيموثى) بضعف بين الذراعين اللتين استقبلتاه.. وانبعث من شفتيه صوت خافت بدون أن يسأله أو يطلب منه أحد شيئًا: "هذه (سيسى)!.. هذه (سيسى)!.. أقبلوا لكى ترونى، كلكم، من الطابق العلوى الحجرة الأولى يسارًا!".. وتبع ذلك سلسلة من القهقهات العالية التى حاول (تيموثى) أن يوقفها بكلامه.

كان الجميع يضحكون.. وأنزله (أينار)، وركض فى الظلام بين الزحام بينما كان أقاربه يتدافعون إلى أعلى السلم باتجاه حجرة (سيسى) لتهنئتها.. ودفع (تيموثى) الباب الأمامى ففتحه.. وبادرها بقوله: "(سيسى) إننى أكرهك.. أنا أكرهك!".

وبجوار شجرة الجميز وداخل ظلها الكثيف تقيأ (تيموثى) طعام غذائه وبكى بحرقة وضرب بجناحيه فى كومة من أوراق الخريف..



FB@3abeth

ثم رقد في سكون.. وخرجت العنكبوت زاحفة من جيب قميصه خارجة من صندوق الثقاب الذى تأوى إليه.. وسارت العنكبوت على ذراع (تيموثى) ولم يلبث أن سارت على رقبته حتى أذنه التى تسلقت إلى داخلها لكى تدغدغه.. وهز (تيموثى) رأسه وصاح: "لا يا عنكبوتى.. لا".

اللمسة الرقيقة لمجس العنكبوت لطبلة أذن (تيموثى) جعلته يرتعد وتنهد إلى حد ما وهو يقول: "لا يا عنكبوتي..لا".

سار العنكبوت هابطًا على خده وتوقف هناك تحت أنف الصبى ورفع بصره إلى منخاريه كما لو كان يبحث عن مخه، ثم أخذ يصعد بهدوء إلى حافة الأنف لكى يجلس عليها ويحدق من هناك فى (تيموثى) بعينيه الخضراوين حتى أخذ (تيموثى) يضحك بشكل سخيف وقال: "اغرب عنى يا عنكبوتى الآن!".

وقف (تيموثى) ووطئ أوراق الأشجار فأحدثت خشخشة.. وكان ضوء القمر يضيء الأرض بشدة.. وكان بمقدوره أن يسمع فى المنزل البذاءات البسيطة أثناء عزف "المرآة! المرآة!".. وانطلقت من المحتفلين صيحات مكتومة أثناء محاولتهم التعرف على صورهم التى لا تظهر، ولم يحدث قط أن أظهرت انعكاساتهم فى كأس.

قال العم (أينار): "(تيموثى)".. ثم فرد جناحيه واهتز وأصدر صوتًا مثل قرع الطبلة.. وشعر (تيموثى) بأنه قد اقتلع مثل كستبان ووضع على كتف (أينار).. وأردف: "لا تخش شيئًا يا ابن أخى (تيموثى).. فكل فرد



FB@3abeth

بشأنه، ولكل إنسان طريقته.. ما أجمل الأشياء التى تنتظرك.. وما أغناك.. لكن العالم انتهى بالنسبة إلينا.. لقد عشنا كثيراً فيه ورأينا الكثير منه، صدقنى.. إن الحياة تكون أجمل لأولئك الذين يعيشون قليلاً.. إنها تستحق أكثر لكل أوقية[٤] يا (تيموثى).. صدقنى".

فى بقية الصباح المظلم، من منتصف الليل فما بعده، تحرك العم (أينار) معه فى أرجاء المنزل من حجرة إلى حجرة وهما يشقان طريقهما ويغنيان.. وبدأ سيل من القادمين المتأخرين المرح الصاخب من جديد.. وكانت الجدات والأجداد وجدات وأجداد الجدات هناك وهم يرتدون الأكفان كالمصريين القدماء، لم تقل كلمة واحدة ولكنها تمددت مستقيمة كطاولة كى! محترقة وملتصقة بالجدار.. وعيناها الغائرتان تصدران وميضًا بعيداً صامتًا حكيمًا.. ووقت تناول الإفطار فى الرابعة صباحًا كان أكثر من ألف من الجدات والأجداد وجدات الجدات والأجداد يجلسون بتصلب على رأس مائدة طعام طويلة.

أسرف عدد كبير من أبناء العمومة الشباب فى المرح والصخب وتعاطى الخمور عند قارورة النبيذ البللورية.. وحلقت فوق طاولة الشراب عيونهم زيتونية اللون ووجوههم المدببة الشيطانية وشعورهم الناعمة القوية وأجسامهم شبه الأنثوية وشبه الذكورية تتدافع فيما بينها وبين بعضها البعض عندما تصبح ثملة بشكل مقزز وغير لطيف..

(٤) الأوقية تبلغ حوالى ٢٥ جراماً. (المترجم).



FB@3abeth

بدأت الرياح تشتد والنجوم تتقد وتحتدم بشدة والأصوات تتضاعف والرقصات تتسارع وازدادت رغبة الجميع في شرب المزيد من الخمر.. كانت هناك آلاف الأشياء التي يمكن لـ (تيموثي) سماعها ومشاهدتها.. الظلام الدامس يشتد ويتدفق بصوت متقطع وله ضجة ووجوه كثيرة تمر به ثم تمر به من جديد وهكذا.

"أنصتوا!".. وبسرعة حبس الجميع أنفاسهم.. على بعد دقت ساعة المدينة الضخمة دقاتها المألوفة معلنة تمام السادسة صباحًا.. كانت الحفلة في لحظاتها الأخيرة.. وفي وقت مناسب لإيقاع دقات الساعة بدأت أصواتهم المائة في ترديد أغانٍ تعود إلى أربعمائة عام مضت، أغانٍ لا يعرف عنها (تيموثي) شيئًا.. والتقت الأذرع وتشابكت في دوائر ببطء وغنى الجميع.. وفي وقت ما في هذا الصباح البارد أنهت ساعة المدينة دقاتها وهدأت وركنت إلى سكون تام.

ثم غنى (تيموثي).. لم يكن يعرف أي كلمات أو نغمات، غير أن الكلمات والنغمات هبطت عليه واضحة وجميلة.. وحدق في الباب المغلق أعلى السلم، وقال بصوت هامس: "شكرًا لك يا (سيسي).. لقد سامحتك.. شكرًا لك".. ثم استرخى تمامًا وترك الكلام ينطلق تلقائيًا من شفتيه ولكن بصوت (سيسي)!.

ترددت كلمتا (مع السلامة) كثيرًا مصحوبتان بجلبة كبيرة.. ووقف الأب والأم عند الباب يصافحان ويقبلان كل قريب منصرف بدوره.. وبدأت السماء تتلون جهة الشرق من وراء الباب المفتوح.. وهبت رياح



FB@3abeth

بارزة إلى الداخل.. وشعر (تيموثى) بأنه محبوس داخل جسم ما ثم جسم آخر وهكذا.. وشعر بـ (سيسى) تدفعه داخل رأس العم (فراى)، حيث بدا من وجهه متغضن البشرة ثم قفز إلى كومة من أوراق الأشجار فوق سطح المنزل والتلال المستيقظة لتوها!..

بعدئذ سار وهو يتبختر فوق ممر طينى وشعر بأن عينيه الحمراوين تتقدان وأن الصباح يكسى جلده الوبرى بغلالة جديدة.. كما حدث له داخل ابن العم (ويليام) حيث كان يشهق وهو يتحرك داخل ممر مجوف متهدم.

وكفقاعة داخل فم العم (أينار) طار (تيموثى) مطلقا صوتًا كالرعد ملأ أرجاء السماء.. ثم رجع مرة أخرى داخل جسمه ذاته.. وفى الفجر المتزايد تدريجيًا كانت آخر مجموعة منهم تتعانق وتصيح وتفكر كيف أن العالم يضيق أكثر فأكثر بالنسبة إليهم.. وقد مر وقت طويل منذ تقابلوا فى كل عام.. غير أن عقودًا ولت الآن دون أية تسوية بينهم.. وقال أحدهم: "لا تنسوا، سوف نتقابل فى (سالم) عام ١٩٧٠!".

(سالم).. لف ذهن (تيموثى) المخدر فى كل أرجاء العالم.. نعم، (سالم) ١٩٧٠. وهناك سوف يكون العم (فراى) وأجداد وجدات الجدات والأجداد فى أكفانهم الذابلة.. وأيضًا ماما وبابا و(إلن) و(لورا) و(سيسى) وكل الباقين.. لكن هل سيكون هو بينهم؟.. هل يضمن البقاء على قيد الحياة حتى ذلك الوقت؟



FB@3abeth

وباندفاعة قوية أخيرة انطلقوا جميعًا في السماء.. ويا لها من وشاحات كثيرة.. يا لها من ثدييات كثيرة تصفق بأجنحتها.. ما أكثر أوراق الأشجار الساقطة الذابلة.. وما أكثر الأصوات المتوجعة التي تئن.. وما أكثر أنصاف الليالي والحماقات والأحلام.

وأقفلت الأم الباب وأمسكت (لورا) بمقشة.. فقالت لها أمها: "لا يا (لورا).. سوف ننظف في الليل، الآن نحن نحتاج إلى النوم".. وعلى الفور اختفت الأسرة في كل من القبو السفلي والطابق العلوي.. وتحرك (تيموثي) في القاعة المزدانة بشارات الحداد السوداء ورأسه متدل إلى أسفل. وعندما نظر في إحدى مرايا الحفل، رأى علامات فناء وجهه البارد المرتعش.. ونادت الأم: "(تيموثي)".

أقبلت عليه مسرعة وربتت بيدها على وجهه.. وقبلت وجهه وقالت له بصوت حنون: "يا بني نحن نحبك.. تذكر ذلك.. كلنا نحبك.. وليس مهمًا أنك تختلف عنا.. ليس مهمًا أنك سوف تتركنا في يوم ما.. وحتى لو مت وعندما تموت فإن عظامك سوف ترقد في سلام وسوف نتأكد من ذلك.. سوف ترقد في سكينة إلى الأبد وسوف أزورك في عشية كل عيد للقديسين وأتأكد أنك في مكان أمين".

ساد الصمت أرجاء المنزل.. وعن بعد أخذت الرياح تهب على أحد التلال وهي محملة بآخر حمولة من الخفافيش الداكنة التي ترجع الصدى وتسقسق.. وصعد (تيموثي) السلالم واحدة وراء أخرى وهو يبكي طوال المسافة.



FB@3abeth

# العم ( أينـــار )

قالت زوجة العم (أينار) الرقيقة: "لن يستغرق ذلك أكثر من دقيقة".

قال لها: "أنا غير موافق.. لأن ذلك لا يستغرق أكثر من ثانية واحدة".

قالت وهي تستند على ظهرها المشوق: "لقد عملت طوال الصباح.. وأنت لا تريد أن تساعدني.. إن السماء تدق كالطبول تمهيداً لسقوط المطر".

قال باكتئاب وبصوت عال: "فلتمطر إذن.. لكنني لا أظن أنني سوف أحترق بالبرق فقط لكي أجفف ملابسك".

- "ولكنك سريع في هذا الأمر".

قال: "مرة أخرى أنا أرفض ذلك".. وسرعان ما دمدم جناحاه اللذان يشبهان "التربولين"[1] بعصبية خلف ظهره الغاضب.

أعطته حبلاً رفيعاً مربوطاً عليه أربع من الملابس المغسولة حديثاً.. لفها بين أصابعه في امتعاض وغمغم بمرارة: "إذن لقد وصل الأمر إلى هذا وهذا وهذا".. وكاد أن يبكي من الغضب، وبدموع كالحامض.

(١) قماش مشمع يستخدم لتغطية وحماية الأشياء من الرطوبة. (المترجم).



FB@3abeth

قالت له: "لا تبك.. وإلا فإنك سوف تبللها مرة أخرى.. والآن اقفز إلى أعلى وانفضها جيداً".

قال بصوت عميق رنان ومجروح: "انفضها جيداً!.. لكنني أقول ليدمدم الرعد ولتنهمر السماء علينا مطراً!".

قالت بعقلانية: "إذا كان اليوم رائعًا مشمساً لما سألتك.. ولكن كل الغسيل الذي قمت به سيذهب إلى لا شيء إذا لم تفعل.. إنهم سيحومون قريباً حول المنزل...".

كان ذلك كافياً.. فقبل كل شيء كان يكره منظر الملابس المتدلية والمربوطة بحيث يضطر المرء إلى الزحف تحتها لعبور الغرفة من جانب إلى آخر.. قفز إلى أعلى.. زوى جناحيه الأخضرين الضخمين.. وقال لنفسه: "يمكنني أن أنطلق فقط إلى سور المراعي!".

لف فجأة ووثب إلى أعلى.. وشق جناحاه في سعادة الهواء البارد.. وقبل أن تستطيع أن تقول إن العم (أينار) له جناحان أخضران كان قد طار منخفضاً عبر المزرعة، مجرجراً وراءه الملابس في عروة ضخمة خفاقة من خلال الاهتزاز القوي ودوامات الهواء خلف جناحيه القويين!

- "انتبه يا (أينار)!".

عند عودته من مهمته فرد الملابس الجافة مثل القشار على مجموعة من الملاءات النظيفة التي فردتها زوجته لاستقبالها عند هبوطها.



FB@3abeth

صاحت قائلة: "شكرًا لك".. فصاح قائلاً: "لا عليك" ثم طار تحت شجرة التفاح لكى يفكر بعض الوقت بروية.

كان جناحا العم (أينار) الحريرين يتدليان خلفه كشراعى مركب أخضرين.. وعندما كان يعطس أو يستدير بسرعة كانا يطنان ويهمسان من وراء كتفيه.. كان أحد أفراد الأسرة القلائل الذين لديهم مواهب خفية.. كل أبناء عمومته وأبناء أخوته وأخوته كانوا يختبئون فى قرى صغيرة فى جميع أرجاء العالم.. وكانوا يفعلون أشياء غير مرئية أو أشياء بأصابع سحرية وأسنان بيضاء.. أو ينطلقون فى السماء كأوراق نارية أو يحلقون فى الغابات كذئاب اكتسبت لونًا فضيًا فى ضوء القمر.. كانوا يعيشون فى أمان نسبى من البشر العاديين.. لكن رجلاً ذا جناحين أخضرين قويين لا يعيش هكذا مثلهم.

ليس الموضوع أنه كان يكره جناحيه.. إن الأمر أبعد من ذلك!.. ففى شبابه كثيراً ما طار ليالى كثيرة، لأن الليالى كانت أوقاتًا مناسبة للرجال المجنحين!.. وبالنسبة إلى ضوء النهار فإنه كان يشكل خطراً فى جميع الأوقات، أما فى الليالى فقد كان يطير فوق جزر من السحاب وبحار من سماء الصيف.. ولم يكن يتعرض لأى خطر وكان ذلك تحليقًا رائعًا وطويلاً.. كان ذلك متعة حقة.. لكنه الآن لا يستطيع الطيران ليلاً.

ففى طريق عودته فوق ممر جبلى عال فى أوربا عقب لقائه بأفراد عائلته بمدينة (ملين)، بولاية (إلينوى)، منذ عدة سنوات، كان قد ثمل كثيراً من شرب نبيذ قرمزى قوى.. وقال لنفسه دون اكتراث:



FB@3abeth

"سوف أكون على ما يرام" .. وكان وقتئذ يشق طريقه الطويل تحت ضوء النجوم فوق تلال الريف الحالمة فى ضوء القمر بعد بلدة (ملين)".

وفجأة انشقت السماء عن برج كهرباء ضغط عال.. وصار (أينار) كالبطة التى وقعت فى شبكة صيد.. انطلق صوت أزيز هائل!.. واحترق وجهه حتى السواد من سلك أزرق مطلق للشرر.. وقاوم الكهرباء بالقفز إلى الخلف قفزة هائلة بواسطة الخفق بجناحيه بأقصى قوة ثم سرعان ما سقط على الأرض.

أحدث وقوعه على أرض المروج أسفل البرج فى ضوء القمر الهادئ ضوضاء عالية تشبه سقوط دفتر أمام الهواتف من السماء إلى الأرض.

فى باكورة الصباح التالى هز جناحيه المبللين بالماء بقوة ثم انتصب واقفاً.. كان الجو لازال مظلماً.. بيد أن شريطًا خافتًا من نور الفجر انتشر فوق المشرق..

وسرعان ما يشتد نور الصباح وعندها يصبح الطيران محظوراً.. ولم يكن أمامه سوى الالتجاء إلى الغابة وانتظار انتهاء النهار فى أعماق الغابة ريثما يمكن ظلام الليل جناحيه من الحركة الخفية فى السماء.. وعلى هذا النحو قابل زوجته.

أثناء النهار الذى كان دافئًا فى اليوم الأول من شهر نوفمبر فى ريف ولاية (إلينوى).. كانت الشابة الجميلة (برونيلا ويكسلى) بالخارج لحلب



FB@3abeth

بقرة مفقودة.. وكانت تحمل سطلاً فضياً فى إحدى يديها وهى تشق طريقها بين أشجار الغابة الكثيفة.. وكانت تستعطف البقرة غير المرئية لكى ترجع إلى المنزل وإلا فإن أمعاءها سوف تنفجر من تراكم اللبن غير المحلوب بها.. غير أن الحقيقة الحتمية بأن رجوع البقرة إلى المنزل عند امتلاء ضرعها باللبن واحتياجها إلى سحب هذا اللبن لم تكن تعنى (برونيلا) فى شىء.. فقد كان ذلك مجرد عذر للتريض فى الغابة واللهو بالأشواك وقضم الزهور.. وكل ذلك كانت تفعله (برونيلا) عندما قابلت بالصدفة العم (أينار)، وهو نائم تحت الشجيرة.

كان العم (أينار) يبدو كرجل أوى إلى ظل ظليل.. وصاحت (برونيلا): "ياه!.. رجل فى خيمة معسكر"!.. واستيقظ العم (أينار) وعندئذ انتشرت خيمة المعسكر كمروحة خضراء ضخمة وراءه.

قالت (برونيلا) الباحثة عن البقرة: "عجباً!.. رجل له جناحان!".

كانت هذه هى وجهة نظرها فى الموضوع.. لقد اندهشت أو بوغتت.. نعم، لكنها لم تتعرض إلى أى أذى طوال حياتها، لذلك لم تكن تخاف من أى شىء أو أى أحد.. وكان من العجيب حقًا أن ترى رجلاً مجنحاً.. وهى الآن فخورة لمقابلته.. وبدأت تتحدث إليه، وعندما مرت ساعة كانا قد أصبحا صديقين قديمين، وبعد ساعتين كادت تنسى أن له جناحين.. كما أنه اعترف لها بشكل ما عن السبب فى حالته الغريبة هذه.

قالت: "نعم لقد لاحظت أنك تعرضت إلى ضرب مبرح.. فجناحك الأيمن يبدو فى حالة سيئة للغاية.. ولعل الأفضل هو أن تتركنى آخذك



FB@3abeth

إلى المنزل لتطبيبك وعلاج جروحك.. إذ من المؤكد على أية حال أنك لن تستطيع الطيران هكذا إلى أوربا.. وعمومًا فمن الذى يريد أن يعيش فى أوربا فى هذه الأيام؟".

شكرها على رقتها إذ لم يكن يدرى بالضبط كيف يقبل عرضها هذا.. وقالت: "لكن أحب أن أقول لك إننى أعيش بمفردى.. إذ كما ترى فأنا قبيحة للغاية".

لم يتردد فى أن يؤكد لها أنها ليست كذلك.

قالت له: "ما أشد طيبة قلبك!.. لكننى كذلك بالفعل.. أنا لا أحب خداع نفسى.. وأهلى ماتوا كلهم.. ولدىّ مزرعة ضخمة بعيدة إلى حد كبير عن بلدة (ملين) أملكها بمفردى.. وأنا فقط أريد شخصًا أتحدث إليه".

سألها بوضوح: "ألست خائفة منى؟".

قالت: "الأصح أن تقول إننى فخورة بك وغيورة منك فى نفس الوقت.. هل تسمح لى!".. وربتت بلطف على جناحيه الأخضرين الكبيرين بحسد دفين.. وارتعد جسده من تلك اللمسة وقبض على لسانه بأسنانه.

لم تكن هناك طريقة أخرى سوى أن يذهب إلى منزلها لأخذ بعض الأدوية ووضع بعض المراهم على جروحه.. وقالت له: "ما أشد هذا الحرق بوجهك كله وتحت عينيك!.. أنت محظوظ لأنك لم تصب بالعمى.. لكن كيف حدث لك ذلك؟".



FB@3abeth

أجابها بقوله: "حسنًا.. هذه هى قصتى".. ووصلا إلى مزرعتها وهما ينظران إلى بعضهما البعض، ولم يدر بخلد أحد منهما أنهما سارا أكثر من كيلو متر ونصف الكيلو متر.

مر يوم ثم آخر حتى تحسنت حالته.. شكرها عند باب منزلها وقال لها: إنه يجب أن ينصرف وإنها طوقت عنقه بجميلها هذا، حيث اعتنت به وعالجته وآوته.. كان الوقت وقت الشفق وأوضح لها أنه فيما بين الآن - الساعة السادسة - والخامسة من صباح الغد عليه أن يعبر محيطًا وقارة كاملة!

قال لها: "شكرًا لك.. إلى اللقاء".. ثم شرع فى الطيران فى الغسق.. إلا أنه سرعان ما اصطدم مباشرة بشجرة اسفندان[٢] كبيرة!.. صرخت قائلة: "يا الله!" ثم هرعت إلى الجسد فاقد الوعى.

عندما عاد إلى وعيه وسار بعد ساعة واحدة عرف أنه لن يستطيع الطيران أبدًا بعد ذلك فى الليل، إذ إن إحساسه الدقيق بالليل قد تبدد تمامًا.. فقوى التخاطر المجنحة التى كانت تحذره بأماكن وجود الأبراج والأشجار والمنازل والتلال أمامه فى الطريق أو المسار الذى يقطعه.. الرؤية الواضحة الدقيقة والإحساس الذى كان يوجهه فى متاهات الغابات والصخور والسحب.. احترقت كلها إلى الأبد فى لحظة احتراق

(٢) شجرة نفضية ذات أوراق متقابلة شبيهة براحة اليد ولها ثمار طويلة. (المترجم).



FB@3abeth

وجـهـه الذى أز وطش من تأثيـر الكهـرباء اللعينة التى لا يـعـرف كـيف اصطـدم بها .

قال وهو يتأوه بصوت خافت: "كيف؟.. كيف أستطيع الذهاب إلى أوروبا هكذا؟.. إذا طرت بالنهار فسوف أصبح مكشوفًا ومن ثم يمكن رؤيتى وإطلاق النار علىّ!.. وإذا عشت فى حديقة حيوانات فإننى سوف أعيش حياة بائسة!.. (برونيلا) أخبرينى ماذا أفعل بربك؟".

قالت بهمس وهى تنظر إلى يديها: "آه.. سوف نفكر فى أمر ما...".

وتزوج الحبيبان!

وحـضـرت العـائلة الزفـاف.. وفى طوفـان خـريفى من أشـجـار الاسـفندان والجـمـيز والبلوط وأوراق شـجـر الدردار.. ارتفـعت أصـوات هسيسهم وخشخشتهم وحفيفهم.. ووقعوا فى سيل من أشجار قسطل الجياد التى تصدر أصواتًا مكتومة تشبه أصوات سقوط تفاح الشتاء على الأرض.. بينما تخيم على الجميع رائحة الصيف الراحل فى دوامة الريح التى أحدثوها أثناء اندفاعهم..

لكن ماذا بشأن الاحتفال؟.. كان الاحتفال قصيرًا، حيث أضيئت شمعة ثم أطفئت وانتشرت رائحتها فى الهواء.. هذا القصر والظلام والسمة العكسية والانقلاب رأسًا على عقب لم يشغل اهتمام (برونيلا) التى أنصتت فقط إلى الحركة القوية لجناحى العم (أينار) اللذين يرفرفان بهدوء فوقهما وهما ينهيان مراسم الزواج.. وبالنسبة إلى العم (أينار)



FB@3abeth

فإن الجرح الموجود عبر أنفه شفى تقريبًا، وبينما كان ممسكًا بذراع (برونيلا) شعر بأوروبا يتضاءل حجمها وتتلاشى من مسافة شاسعة!.

لم يكن مضطرًا إلى الرؤية الجيدة جدًا لكى يطير مباشرة إلى أعلى أو يهبط إلى أسفل.. فقط كان من الطبيعى فى ليلة زفافهما هذه أن يحتضن (برونيلا) بين ذراعيه ويطير بها عاليًا فى السماء.

أحد المزارعين من على بعد نحو ثمانية كيلو مترات لمح سحابة خفيضة فى منتصف الليل ورأى بها وهجًا خافتًا وفرقعات.. راقب هذا المشهد قليلاً ثم قال: "لا شك أنه برق حرارى".. ثم خلد إلى النوم.. بيد أن الحبيبين لم يهبطا إلا مع نسمات الصباح التالى المصحوبة ببعض الندى.

وهكذا تم زواجهما .. فقط كان يمكنها أن تنظر إليه ثم لا تلبث أن تفكر فى أنها المرأة الوحيدة التى تزوجت رجلاً مجنحًا.. وسألت مرآتها: "من غيرى يستطيع أن يقول ذلك؟".. وكانت إجابة المرآة: "لا أحد!".

لكنه، من جهة أخرى، وجد جمالاً دفينًا وراء وجهها.. رأى رقة ودماثة وفهمًا.. وأجرى بعض التغييرات فى طعامه ليناسب طريقة تفكيرها.. وراعى الحذر فى حركة جناحيه داخل المنزل.. أما الفخاريات المكسورة واللمبات المحطمة فكانت تثير أعصابه لذلك ابتعد عنها تمامًا.. كما غير من عادات نومه بعدما أصبح لا يستطيع الطيران ليلاً على أية حال.. كذلك فقد أصلحت مقعدين، بحيث يمكنه أن يريح عليها جناحيه..



FB@3abeth

ووضعت وسائد هنا وهناك توفيراً لراحته، ولم تكن فى الحقيقة تقول سوى الأشياء التى يحب سماعها منها..

قالت له ذات مرة: "إننا جميعًا نعيش داخل شرنقات.. انظر مثلاً كم أنا دميمة؟.. لكننى فى يوم ما سوف أندفع من شرنقتى وأنشر جناحين رائعين وجميلين مثلك تماماً".. فرد عليها: "لكنك اندفعت من شرنقتك بالفعل يا حبيبتى منذ وقت طويل!".

فكرت برهة فيما قاله ثم قالت معترفة: "نعم.. وأنا أعرف أى يوم كان هذا أيضًا.. فى الغابة عندما كنت أبحث عن بقرة ولكننى وجدت خيمة!".. وضحكا.. وأثناء حضنه لها شعرت بسعادة عارمة أكدت لها أن زواجهما جعلها تنسى أنها دميمة.. بل شعرت بأنها كسيف وضاء خرج لتوه من غمده.

ورزقا بأطفال.. وفى البداية شعر هو بخوف من أن يكون لهم أجنحة.. لكنها قالت له: "هراء.. إننى أحب الأجنحة.. المهم هو أن نحفظهم بعيداً عن الأرض".. قال مندهشًا: "إذن يجب أن تضعيهم فى شعرك!".. فصرخت قائلة: "إى!.. لا تقل هذا يا عزيزى".

أنجبا أربعة أطفال.. ثلاثة صبية وفتاة.. بدوا جميعًا من فرط طاقتهم كأن لهم أجنحة!.. وكبروا بسرعة فى بضع سنوات كالضفادع الصغيرة.. وفى أيام الصيف الحارة كانوا يطلبون من أبيهم الجلوس معهم تحت شجرة التفاح ثم يهوى عليهم بجناحيه الكبيرين هواء بارداً.



FB@3abeth

ويقص عليهم قصصاً مثيرة في ضوء النجوم عن جزر السحب والثلج على المحيطات وغلالات الضباب والرياح.. وكيف يجد طعم النجوم وهي تكاد تذوب في فمه وكيف يشرب هواء الجبال البارد.. وماذا يكون شعوره لو سقط كحصاة من قمة جبل (افريست).. وأخذ ينبت له ورود خضراء في جناحيه قبل أن يسقط على الأرض مباشرة!

كان هذا هو زواجهما السعيد.. والآن بعد مرور ست سنوات نرى العم (أينار) جالساً هنا وهو يخرج قيحًا وصديداً تحت شجرة التفاح.. بعد أن أصبح قلقًا نافد الصبر وفظ الطباع.. ليس لأن هذه رغبته ولكن لأنه بعد انتظار طويل كان مازال غير قادر على الطيران ليلاً في عرض السماء ولأن حاسته الرائعة في الطيران لم تعد إليه قط.. وها هو ذا يجلس قانطاً لا يرى حوله شيئًا أكثر من مظلة شمس صيفية صغيرة خضراء اللون تركها وراءهم بعض المغامرين الذين احتموا ذات مرة بظلها النصف شفاف أثناء قضاء عطلتهم هنا.

ترى هل كتب عليه أن يجلس هنا إلى الأبد خائفًا من الطيران نهارًا لئلا يراه أحد؟.. هل سيقتصر طيرانه على تجفيف ملابس زوجته أو التهوية على أطفاله كل ظهيرة في شهر أغسطس الحار؟.. لقد كان عمله الوحيد من قبل هو القيام بمهام لأسرته وكان وقتها سريعًا يسابق الريح.. كان ينطلق كالقذيفة فوق التلال والوديان ثم لا يلبث أن يهبط كالصاروخ.. كان دائمًا معه الكثير من المال.. وكانت أسرته تستفيد حقًا من رجلها المجنح!.. لكن الآن ماذا حدث؟.. لا شيء سوى المرارة!..



FB@3abeth

جناحاه يتحركان بضعف وعصبية ويخفقان الهواء بصوت كالرعد الواهن!

صاحت (ماجى) الصغيرة: "بابا".. ووقف الأطفال ينظرون إلى وجهها الداكن قليلاً. وقال (رونالد): "بابا.. اصنع لنا المزيد من الرعد!".

قال العم (أينار): "إنه أحد أيام مارس الباردة يا أحبائى.. وسرعان ما يهطل المطر وتسمعون الكثير من الرعد".. وسأله (مايكل): "وهل ستأتى لتراقبنا؟"، فقال له: "هيا اجروا.. اجروا.. ودعوا بابا يفكر قليلاً!".

كان قلبه موصداً أمام الحب.. بما فى ذلك أطفال الحب وحب الأطفال.. كان يفكر فقط فى السماوات والأفاق واللانهايات ليلاً ونهاراً.. سواء كانت مضاءة بنور النجوم أم القمر أم الشمس وسواء كانت صافية أم غائمة.. إذ دائماً يجرى أمامك شريط السماوات والآفاق عندما تحلق فى الجو.. بيد أنه هنا الآن يطير فوق المراعى منخفضاً خوفاً من أن يراه أحد.. إنها حالة من البؤس الشديد!

صاحت (ميج): "بابا تعال لكى تراقبنا.. إننا فى شهر مارس!.. ونحن ذاهبون إلى التل مع كل فتيان وفتيات البلدة!".

قبع العم (أينار) بصوت كالخنزير، وقال مسرعاً: "وما هو هذا التل؟".

قال الأولاد بصوت واحد: "تل الطائرات الورقية بالطبع يا أبى!".



FB@3abeth

حدق فيهم طويلاً فوجد أن كل واحد منهم يحمل طائرة ورقية كبيرة ووجوههم تنم عن فرط اهتمامهم وشغفهم.. والحيوية بادية عليهم.. وأصابعهم الصغيرة ممسكة بكرات من دوبار أبيض.. ومن الطائرات الملونة بألوان حمراء وزرقاء وصفراء وخضراء تتدلى زوائد أو شرائح ذيلية من القطن والحرير.

قال (رونالد): "سوف نطير طائراتنا يا أبى.. ألن تأتى معنا؟".

قال الأب بحزن: "لا.. يجب ألا يرانى أحد وإلا فسوف تحدث مشكلة".

قالت (ميج): "يمكنك أن تختبئ بين الأشجار وتراقبنا.. لقد صنعنا الطائرات بأنفسنا.. ذلك لأننا نعرف الطريقة جيداً".

- "ولكن كيف عرفتم ذلك؟".

صاحوا جميعًا بصوت واحد: "لأنك والدنا.. هذا هو السبب!".

نظر إلى أطفاله لمدة طويلة ثم تنهد وقال: "إذن هذا مهرجان الطائرات الورقية، أليس كذلك؟".

- بلى يا سيدى!.

قالت (ميج): "إننى سوف أكسب".

اعترض عليها (مايكل) بقوله: "لا.. سوف أكسب أنا!".

صاح (ستيفن): "أنتم تهذون.. سوف أكسب أنا.. أنا فقط!".



FB@3abeth

صرخ العم (أينار) قائلاً: "إلى أعلى المدخنة؟!".. وفى الحال وثب وثبة عالية ودوى جناحاه بصوت يصم الآذان.. ثم أردف: "يا أطفال.. يا أطفال.. إننى أحبكم كثيراً!".

قال (مايكل) متراجعًا عن موقفه: "أبى.. ما الخطأ الذى وقعنا فيه؟".

قال (أينار) وهو يغنى: "لا شىء.. لا شىء.. لا شىء!".. ثم فرد جناحيه إلى أقصى مدى لهما وعلى الفور.. فووه!.. ضرب بجناحيه بصوت يشبه صوت الصاجات.. ووقع الأطفال على الأرض فى الدوامة التى أعقبت ذلك!.. ومضى مسرعًا إلى المنزل وهو ينادى: "لقد نجحت!.. لقد نجحت!.. إننى حر الآن!.. إننى أشعر بالنار فى المدخنة.. والآن ليطير الريش فوق الريح!.. (برونيلا)!.. أين أنت؟"..

سرعان ما ظهرت زوجه فنادى عليها: "إننى حر!".. ووقف على أصابع قدميه طويلاً وممتلئًا حيوية ونشاطًا وقال لها: "اصغ إلى يا (برونيلا).. لا أريد الليل بعد الآن!.. أستطيع الطيران نهاراً.. لم أعد محتاجًا للطيران ليلاً!.. سوف أطير صباحًا وفى كل صباح طوال العام من الآن فصاعداً!.. ولكن، يا إلهى.. إننى أضيع الوقت فى الكلام الذى لا فائدة منه.. انظرى!".

وبينما أخذت أسرته القلقة تراقبه.. أمسك بالذيل القطنى لإحدى الطائرات الورقية وربطه فى الحزام خلفه.. ثم أمسك كرة الدوبار بقوة ووضع أحد طرفى الخيط بين أسنانه وأعطى الطرف الآخر لأطفاله.



FB@3abeth

ثم أخذ يطير إلى أعلى وأعلى فى الهواء.. حتى أصبح بعيداً عنهم تحت رحمة رياح شهر مارس!

ركض أطفاله عبر المروج وفوق المزارع وأرخوا الخيط حتى ابتعدت الطائرة فى السماء.. وهم يهرولون ويتعثرون.. بينما وقفت (برونيلا) فى مكانها بالمزرعة وهى تلوح بيدها وتضحك من المنظر الذى تشاهده.. ولم يلبث أطفالها أن جروا حتى تل الطائرات الورقية ووقفوا هناك.

الأطفال الأربعة ممسكون الآن بخيط فى شوق وحماس بأصابعهم الفخورة بأبيهم.. وكل واحد منهم يشد الخيط ويوجهه.. وما لبث أطفال بلدة (ملين) أن جاءوا يجرون ومعهم طائراتهم الورقية لتطييرها فى الرياح.. وشاهدوا الطائرة الخضراء الكبيرة وهى تحلق فى السماء وقالوا مندهشين: "عجبًا.. ما هذا؟.. يا لها من طائرة!.. يا لها من طائرة!.. وقال بعضهم: أتمنى أن يكون لى طائرة كهذه!.. من أين حصلتم على هذه الطائرة؟".

صاح كل من (ميج) و(مايكل) و(ستيفن) و(رونالد): "أبى صنعها لنا!".. ثم جذبوا الخيط الغليظ؛ وعندئذ أخذت الطائرة الطنانة تهبط وترتفع فى السماء صانعة دائرة كبيرة جداً على شكل علامة استفهام خفية وسحرية وسط السحب العالية!.



FB@3abeth

# المسافرة

نظر الوالد فى حجرة (سيسى) قبل الفجر مباشرة، حيث كانت ممددة فوق سريرها.. هز رأسه وهو لا يفهم ماذا يحدث ولوح بيده قائلاً:

- والآن إذا لم تستطيعى أن تقولى لى شيئًا جيداً تفعله، فلا شك أننى سوف أفقد عقلى.. إنها تنام طيلة الليل وتتناول إفطارها ثم تقضى بقية النهار فوق سريرها!

قالت الأم موضحة الموقف وهى تتقدمه إلى داخل الردهة بعيداً عن جسم (سيسى) الواهن النائم: "على رسلك يا عزيزى، إنها مفيدة للغاية.. مثلاً هى واحدة من أكثر أفراد الأسرة انضباطًا.. ثم قل لى ما هى فائدة اخوتها؟.. معظمهم ينامون طوال النهار ولا يفعلون شيئًا.. على الأقل (سيسى) نشطة وتقوم بأشياء لها معنى".

هبطا إلى الطابق الأسفل وحولهما مشاهد من شموع سوداء وقماش الحداد الأسود يكسو الدرابزين ومازال على حاله (لم يلمسه أحد من يوم العودة إلى المنزل منذ شهور مضت) ويُصدر حفيفًا هامسًا كلما



FB@3abeth

مرا بجواره.. وعقد الأب ربطة عنقه وهو منهك تمامًا وقال: "حسنًا.. نحن نعمل ليلاً على أية حال، وليس بوسعنا أن نفعل شيئًا إذا كنا - كما قلت - أصبحنا موضة قديمة، أليس كذلك؟".

قالت: "نعم بالطبع.. فكل واحد في الأسرة لا يمكنه أن يصبح عصريًا". ثم فتحت باب البدروم ودلف الاثنان داخل الظلام الدامس متشابكي الأيدى، وأمعنت النظر في وجهه الأبيض المستدير وابتسمت قائلة: "الحقيقة أنني محظوظة للغاية لأنني لست مضطرة إلى أن أنام بالمرة.. ولو كنت يا عزيزى متزوجًا امرأة تنام بالليل، ففكر كيف سيصبح زواجكما!.. فكل منا له نظامه، ولا يوجد اثنان منا متشابهان.. كلنا مهووسون.. وهكذا تسير أحوال عائلتنا.. وأحيانا يكون لدينا فرد مثل (سيسى)، كله عقل.. ويكون لدينا فرد مثل (أينار)، كله أجنحة.. ثم مرة ثالثة يكون لدينا فرد مثل (تيموثى)، دائمًا هادئ وعادى ومتوازن.. وهناك أنت نفسك تنام بالنهار.. وأنا يقظة طوال الليل والنهار طوال حياتى.. ومن هنا فإن أمر (سيسى) يجب ألا يشغلك كثيرًا.. علاوة على أنها تساعدنى بمليون طريقة كل يوم.. فهى ترسل عقلها إلى البقال لكى يعرف ما أريد شراءه منه.. وتضع عقلها داخل الجزار مما يوفر على القيام بمشوار طويل إذا لم تكن عنده قطيعات اللحوم التى أريدها.. كما أنها تحذرنى عندما يوشك الثرثارون على زيارتنا وإضاعة الأمسية فيما لا يفيد.. وهناك ستمائة شيء آخر أستطيع عدها لك..!".



FB@3abeth

توقفا فى البدروم بالقرب من صندوق ماهوجنى[1] ضخم فارغ.. فتمدد هو بداخله وما زال غير مقتنع بما قالته.. وقال لها: "ولكن ألا تستطيعين أن تشاركي بأكثر من ذلك؟.. أخشى أننى سوف أضطر إلى أن أطلب منها لاحقًا أن تبحث عن نوع ما من العمل".

قالت له: "لا تتعجل وفكر جيدًا فى الأمر.. فلعلك تغير رأيك هذا قبل غروب الشمس".

قال لها مستغرقًا فى التفكير وهى تقفل الغطاء عليه: "لا بأس من ذلك فعلاً".

قالت: "صباح الخير يا عزيزى".

قال لها: "صباح الخير"، ثم لم يلبث أن وجد نفسه داخل صندوق مقفل.. وارتفعت الشمس فى الأفق، وأسرعت هى إلى الطابق العلوى لإعداد طعام الإفطار.

(سيسى إليوت) كانت هى الشخص الذى يسافر. وكان مظهرها يدل على أنها فتاة عادية فى الثامنة عشرة من العمر.. لكن لم يكن أحد فى العائلة يشبه ما هم عليه.. فمثلاً ليس لهم مخالب ولا تنبعث منهم قذارة ولا يعتمدون على الريح.. إنهم يعيشون فى قرى صغيرة ومزارع صغيرة فى جميع أرجاء العالم.. ولا يتوانون عن أقلمة وتغيير قدراتهم وفقًا لمتطلبات وقوانين العالم المتغير الذى يعيشون فيه.

(١) خشب بنى محمر متين يستخدم فى صناعة الأثاث. (المترجم).



FB@3abeth

استيقظت (سيسى إليوت).. ثم انطلقت فى أرجاء المنزل وهى تدندن.. وقالت: "صباح الخير يا أمى!".. ثم هبطت إلى البدروم لتتفقد كل صندوق ماهوجنى كبير، لكى تنظف التراب من عليها جميعًا وتتأكد من إحكام قفلها.

قالت وهى تنظف أحد الصناديق: "أبى".. ثم وهى تلمع صندوقا ثانيا: "ابن عمى (إثير) جاء هنا لزيارتنا و..." ومسحت صندوقًا ثالثًا وأضافت: "وجدتى (إليوت)". وكان بداخلها شخشخة مثل تلك لقطعة من نبات البردى. استغرقت قليلاً فى التفكير وقالت بمرح: "إنها عائلة غريبة مهجنة النسب".. ووثبت إلى المطبخ وأردفت: "بعضنا ينامون ليلاً وبعضنا يخافون من مخرات الماء المنحدرة.. بعضنا - مثل أمى - يبقون مستيقظين لمدة ٢٥ ساعة من ٢٤ ساعة كل يوم، وبعضنا ينامون - مثلى أنا - ٥٩ دقيقة من كل ساعة!.. إن لنا أشكالاً مختلفة تمامًا للنوم".

تناولت طعام إفطارها وأثناء أكل طبق المشمش الخاص بها رأت أمها تُحدق فيها، فوضعت الملعقة أمامها، وقالت: "سوف يغير والدى رأيه.. وسوف أريه مدى فائدتى وأنا موجودة بالجوار منه.. إننى وسيلة تأمين لهذه العائلة، لكنه لا يفهم ذلك.. انتظرا وسوف تريان".

قالت الأم: "هل كنت بداخلى منذ فترة قصيرة عندما كنت أتناقش مع والدك؟". قالت: "نعم".. أومأت الأم برأسها وقالت: "لقد شعرت بك تنظرين إلى الخارج من عينىَّ هاتين".



FB@3abeth

انتهت (سيسى) من إفطارها وصعدت إلى أعلى لتنام.. فردت الملاءات النظيفة ثم تمددت على الغطاء وأقفلت عينيها وأراحت أصابعها البيضاء الرفيعة على صدرها الصغير، ومالت برأسها الصغيرة الجميلة الرائعة على خصلات شعرها الكستنائى الكثيف. وبدأت فى السفر!

تحرك عقلها خارجًا من رأسها ومن الحجرة بأكملها وسار عبر الحديقة المزهرة والحقول المجاورة والتلال النضرة الخضراء وفوق الشوارع القديمة لبلدة "ميلين" الغارق أهلها فى نوم عميق.. ثم طار مع الريح عبر المنخفضات الرطبة للوادى الصغير الضيق الشديد الانحدار.

طوال النهار كان عقلها يطير فى مسارات ملتوية.. وعقلها يدخل فى الكلاب ويقبع هناك ويشعر بأحاسيس العداء فيما بين الكلاب ويتذوق طعم العظام النخرة ويتشمم الأشجار التى تفوح منها رائحة البول.. كانت تستطيع أن تسمعه ما يسمعه الكلاب، بل إنها نسيت تمامًا الأفكار والمعانى البشرية.. وتلبسها المزاج النفسى للكلب.. وكان ذلك شيئًا أكثر من مجرد التخاطر.. وكانت تصعد من مدخنة ما وتهبط فى أخرى.. والواقع أن ذلك كان انفصالاً تامًا عن بيئة جسمها الحقيقى إلى بيئة جسم آخر.. إنها تدخل فى أجسام كلاب برية أو بشر أو عوانس أو طيور أو أطفال يلهون أو عشاق على سررهم فى الصباح أو عمال أجسادهم مبللة بالعرق أو فى أدمغة وردية صغيرة جدًا لأطفال لم يولدوا بعد!



FB@3abeth

لكن ترى إلى أين ستذهب اليوم"؟.. لقد عزمت أمرها على شيء ما وانطلقت إليه.

بعد لحظات تسللت أمها على أطراف أصابعها إلى داخل حجرتها ورأت جسد (سيسى) ممدداً على السرير ولكن صدرها لا يتحرك ووجهها ساكن تماماً.. ومعنى ذلك أن (سيسى) انصرفت تماماً من هنا.. وفى الحال أومأت أمها برأسها وابتسمت فى هدوء.

أقبل الصباح، وذهب كل من (ليونارد) و(بيون) و(سام) إلى أعمالهم، مثلما فعلت (لورا) وأختها اختصاصية التجميل.. كما تم إرسال (تيموثى) إلى مدرسته.. وأصبح المنزل هادئًا تمامًا.. وفى وقت الظهيرة كان الصوت الوحيد المسموع هو صوت بنات عمومتها الثلاث الصغار وهن يلعبن فى حديقة المنزل الخلفية. ودائمًا ما يوجد المزيد من أبناء عمومتها وأعمامها أو أبناء الأخوة والأخوات وبنات الأخوة والأخوات بالجوار، يجيئون ويذهبون.. يخرجون من مياه الصنابير ويتصرفون داخل المجارى والبالوعات.

توقف أبناء وبنات عمومتها عن اللعب عندما قرع رجل ضخم طويل القامة على الباب الأمامى ثم سرعان ما دخل برفقة الأم.

قالت إحدى البنات الصغيرات وهى تحبس أنفاسها: "هذا هو العم جون!".

سألت ثانية: "هل هذا هو الشخص الذى نكرهه؟".



FB@3abeth

صاحت ثالثة: "ما الذى يريده؟.. إنه يبدو مخبولاً!".

أوضحت الثانية بزهو: "إننا نكرهه كثيراً، وهذا هو المهم.. بسبب ما فعله للعائلة منذ ستين عاماً ومنذ سبعين عاماً ومنذ عشرين عاماً".

قالت إحداهن: "أنصتن جيداً!".. أنصتن.. وأردفت: "لقد صعد إلى الطابق العلوى!".

- "يبدو لى أنه يبكى أو شىء من هذا القبيل".

- "لكن هل يبكى الكبار مثلنا؟".

- "بالطبع أيتها الحمقاء!".

- "إنه الآن فى حجرة (سيسى) يصيح ويضحك ويتوسل ويبكى.. عجباً!، إنه يبدو كرجل مخبول حزين مذعور ويائس فى نفس الوقت!".

"استيقظوا!.. أنتم الموجودون هناك استيقظوا كلكم!.. أنتم النائمون داخل الصناديق!.. العم (جون) موجود هنا الآن وربما معه وتد من خشب الأرز!..لا أريد وتداً خشبيًا مغروزًا فى صدرى!.. هيا استيقظوا!".

قالت كبيرتهن مستنكرة ومصدرة صوتًا كالصفير الحاد: "اصمتى.. أصغى إلىّ جيداً.. الرجل ليس معه أى وتد.. يجب ألا توقظى النائمين فى الصندوق مهما كان السبب.. اصغى جيداً إلىّ!".

حوطن آذانهن بأيديهن ولمعت أعينهن ونظرن إلى أعلى فى حالة ترقب وانتظار.



FB@3abeth

وقـفت الأم فى مـدخل الحـجـرة وأصـدرت أمـراً: "انهـضـى من سريرك!".. وانحنى العم (جون) فوق جسم (سيسى) النائم وشفتاه معوجتـان.. وكـان هناك بريق فى عينيه الخضـراوين ينم على الخبل والغضب الشديد. وقال بصوت أجش وهو ينتحب: "هل تأخرت كثيراً.. هل ذهبت؟".

ردت الأم بصـوت قـوى حـاد: "لقد ذهبت منذ سـاعـات!.. هل أنت أعمى؟.. إنها قد لا تعود قبل أيام.. وأحياناً تقبـع هكذا لمدة أسبوع.. وأنا لست مضطرة إلى إطعـام هذا الجسم لأنهـا تسـتمـد قـوتهـا من الشخص أو الشىء الذى تجثم بداخله.. والآن هلا ابتعدت عنها!".

تصلب جسد العم جون وضغطت إحدى ركبتيه على يايات السرير وسأل فى هياج: "لماذا لم تنتظرينى؟".. وأخذت يداه تتحسسان نبضها الساكن مرة تلو أخرى.

تحركت الأم بشكل فظ وحاسم قائلة له: "لقد سمعتنى!.. لا تلمسها أبدا.. يجب علينا أن نتركها كما هى.. وبالتالى عندما ترجع إلى المنزل يمكنها الدخول بسهولة فى جسمها بالشكل الصحيح تماماً!".

أدار العم (جون) رأسه، وكـان وجـهـه الطويل الأحـمـر القـاسى المكتئب المكسو بالبثور يبدو جامداً بلا إحساسٍ.. والتغضنات السوداء العميقة تحيط بعينيه المجهدتين، وقال بصوت كـالفحيح: "أين ذهبت بالضبط؟.. يجب أن أعثر عليها الآن!".



FB@3abeth

أجابته الأم كما لو كانت تلطمه على وجهه: "قلت لك لا أعرف.. إن هناك أماكن كثيرة جداً تحبها.. فمثلاً يمكنها أن تجدها فى طفل يعدو فى ممر بواد منحدر ضيق.. أو تتأرجح فى تعريشة عنب.. أو لعلك تجدها فى جرادة بحر تحت صخرة فى جدول صغير وهى تنظر إلى أعلى إليك.. أو لعلها تلعب الشطرنج داخل رجل عجوز فى ساحة المحكمة.. أنت تعرف مثلى تماماً أنها يمكن أن تكون الآن فى أى مكان".

لمعت عين الأم وابتسمت ابتسامة ساخرة وأردفت: "لعلها تقف الآن رأسياً داخلى وتنظر إليك وتضحك عليك ولا أحد منا يعرف.. وربما يكون ما تسمعه هو كلامها وهى تلهو بالحديث معك.. وأنت بالطبع لا تدرى شيئاً عن ذلك!".

استدار بتثاقل ناحيتها مثل صخرة ضخمة تدور حول نفسها وارتفعت يداه إلى أعلى كما لو كان يريد أن يقبض على شيء ما وقال: "ولكن.. لو فكرت..".

تكلمت الأم فى هدوء غير عادى: "بالطبع هى ليست بداخلى.. وحتى لو كانت بداخلى فلا توجد وسيلة لمعرفة ذلك".. ونظرت إليه نظرة تنم عن المكر والدهاء، ووقفت أمامه منتصبة ورشيقة الجسد ورمقته بنظرة قوية تخلو من أى خوف وأردفت: "والآن.. لعله من المناسب أن أعرف سبب احتياجك إليها بهذا الشكل".

بدا أنه يُصغى إلى جرس بعيد جداً يدق.. هز رأسه بغضب ليتخلص من هذا الصوت، ثم قال مزمجراً: "شيء ما.. داخلى.." ثم قطع كلامه



FB@3abeth

وانحنى مرة أخرى فوق الجسد النائم وقال: "(سيسى)!.. ارجعى الآن.. هل تسمعينني!.. يمكنك أن تعودى إذا رغبت أنت فى ذلك!".

هبت الريح بلطف من خلال أشجار الصفصاف العالية خارج النوافذ التى لوحتها أشعة الشمس.. صر السرير تحت وطأة وزنه الثقيل.. ودق الجرس البعيد مرة أخرى وأنصت هو إليه، غير أن الأم لم تسمعه قط.. هو فقط الذى سمع أصوات اليوم الصيفى المُنعِس القادمة من بعيد جداً.. وفتح فمه بشكل غامض وقال بصوت عميق متوسل:

- "أريد منها أن تفعل لى شيئًا ما.. فخلال الشهر الماضى كنت على وشك الجنون.. راودتنى أفكار غير معقولة.. كنت على وشك أن استقل قطاراً إلى المدينة الكبيرة لكى أقابل طبيبًا نفسيًا، لكنه لم يكن ليساعدنى.. أعرف أن (سيسى) يمكن أن تدخل فى رأسى وتطرد منها تلك المخاوف التى أعانى منها.. تستطيع أن تزيلها مثلما تفعل المكنسة الكهربائية، هذا بالطبع إذا أرادت مساعدتى.. هى الوحيدة التى تستطيع تنظيف القذارة والفوضى من عقلى وتجعلنى شخصًا جديداً.. وهذا سبب احتياجى إليها، هل فهمت؟".. ومسح شفتيه بلسانه وأضاف: "عليها أن تساعدنى".

قالت الأم: "بعد كل ما فعلته لعائلتنا؟".

- "أنا لم أفعل شيئًا للعائلة".



FB@3abeth

- "الأقاويل تذهب إلى أنك في بعض الأوقات السيئة عندما كنت محتاجًا إلى المال كنت تحصل على مئة دولار عن كل فرد من عائلتنا تحدده للمسئولين لكي يتم قتله بوتد خشبي ينفذ إلى قلبه".

قال وهو يترنح كرجل أصيب في معدته: "هذا ظلم!.. أنت لا تستطيعين أن تثبتي ذلك.. أنت تكذبين!".

- "ومع ذلك فأنا لا أظن أن (سيسى) تريد مساعدتك.. العائلة كلها لا تريد ذلك".

ضرب أرضية الغرفة بقدميه مثل طفل ضخم عنيف ومتهور وقال "العائلة، العائلة.. لتذهب العائلة إلى الجحيم!.. إنني لن أتعرض للجنون بسببها!.. أنا محتاج للمساعدة.. اللعنة! أنا محتاج لها جداً، وسوف أحصل عليها!".

واجهته الأم بقوة وتحد وهي عاقدة يديها على صدرها.. وبعد لحظات خفف من شدة صوته ونظر إليها بنوع من الحياء الشرير وقال لها بدون أن ينظر في عينيها: "اصغي إليّ يا سيدة (إليوت) ونظر إلى (سيسى) وأردف: "... وأنت أيضا (سيسى).. إذا كنت هناك فاصغي إليّ".. ونظر إلى ساعة الحائط وهي تدق على جدار بعيد طمست لونه أشعة الشمس وقال: "إذا لم تعد (سيسى) إلى هنا قبل السادسة مساء اليوم، حيث تكون مستعدة لتنظيف عقلي المضطرب وإعادتي إلى صوابي فإنني سوف أذهب إلى الشرطة".. ثم سحب نفسه إلى أعلى وأردف: "إن معي قائمة بأسماء أفراد عائلة (إليوت) الذين يعيشون في المزارع المجاورة



FB@3abeth

بداخل بلدة (ملين).. وبوسع الشرطة إعداد ما يكفى من الأوتاد الخشبية الحادة فى ساعة واحدة ثم غرزها فى قلوب اثنى عشر من أفراد عائلة (إليوت).. وتوقف عن الكلام ومسح العرق من على وجهه ووقف وهو ينصت إلى أصوات الجرس البعيد الذى بدأ يقرع من جديد.

إنه يسمع تلك الأصوات منذ أسابيع.. ولم يكن هناك فى الحقيقة أى جرس ولكنه كان يسمعه يقرع.. وهو يقرع الآن عن قرب.. ولا يستطيع أحد أن يسمعه إلا هو.

هز رأسه وصاح بصوت عال فى السيدة (إليوت) لكى يغطى على أصوات تلك الأجراس اللعينة قائلاً: "هل سمعتنى جيداً؟".. ثم رفع سرواله وأحكم ربط أبزيم حزامه بحركة سريعة مفاجئة وسار بجوار الأم حتى وصل إلى الباب.

قالت: "نعم، سمعتك.. ولكن حتى لو لم أستطع استدعاء (سيسى) إذا لم ترغب فى العودة، فإنها سوف ترجع أخيراً على كل حال.. وعليك بالصبر.. ولا تسرع بالذهاب إلى الشرطة..".

قاطعها بقوله: "لا أستطيع الانتظار.. هذا الشىء اللعين فى رأسى.. هذه الأصوات المزعجة تدق فى رأسى لمدة ثمانية أسابيع الآن!.. لم أعد أستطيع تحمله أكثر من ذلك!".. ثم نظر مقطب الجبين إلى الساعة وأردف: "إننى ذاهب الآن.. سأحاول العثور على (سيسى) فى البلدة.. وإذا لم أعثر عليها حتى الساعة السادسة.. فلن تكونى مسرورة وخصوصاً وأنت تعلمين ما هو شكل الوتد الخشبى..".



FB@3abeth

سمعت وقع خطوات أقدامه الثقيلة وهو ينصرف من القاعة وصوتها يخبو تدريجياً على الدرج ثم إلى خارج المنزل.. وعندما اختفت الأصوات تماماً، استدارت الأم ونظرت باهتمام وألم على النائمة فوق السرير..

نادت بصوت رقيق ولكنه مُلح بإصرار: "(سيسى)، (سيسى).. ارجعى إلى المنزل يا حبيبتى!".. لكنها لم تسمع أية إجابة من الجسم الممدد على السرير.. بينما (سيسى) ممددة هناك لا تتحرك مهما انتظرتها أمها.

سار العم (جون) فى مناطق ريفية خضراء نضرة وفى شوارع بلدة (ميلين) باحثاً عن (سيسى) فى كل طفل يتناول المثلجات، وفى كل كلب أبيض صغير يصادفه فى طريقه وهو يتطلع بشغف إلى لا مكان.

بدت له البلدة منتشرة وفسيحة مثل مقبرة خيالية، لا يوجد بها سوى نصب تذكارية قليلة جداً.. بعض صروح لفنون قديمة شأو ملاه ترفيهية.. مروج فسيحة من أشجار الدردار وأرز الهند والصنوبر الأمريكية.. وذات أفرع خشبية كثيرة يمكنها قطعها ونقلها إلى حظيرة ماشيتك ليلاً إذا كانت الأصوات الجوفاء للناس السائرين تزعجك فى الصباح.. وهناك منازل عالية غير مستخدمة منذ وقت طويل وذات مساحات صغيرة ضيقة مغطاة بقطع من الزجاج الملون وتكسوها شعيرات ذهبية رفيعة من أعشاش طيور نمت فوقها منذ وقت طويل.. وهناك صيدليات ممتلئة بمساند للقدمين جذابة الشكل لسحب المياه الغازية بين أرجلها قضبان من الأسلاك، وقواعدها من الخشب الرقائقى



FB@3abeth

ومازالت رائحتها هي تلك المميزة التي لا تُنسى والمألوفة في كل الصيدليات والتي لم تعد موجودة الآن.. وثمة سوق تجاري للحلاقين وأمامه عمود ملتف حول نفسه ومزدان بشريط أحمر اللون داخل غلاف زجاجي.. ويوجد محل بقالة لم يعد به سوى أشباح الفاكهة وصناديق علاها التراب وتفوح منه رائحة المرأة الأرمينية العجوز التي تشبه رائحة قطعة نقدية معدنية صدئة.. والبلدة كلها تقع تحت ظلال أشجار أرز الهند والأشجار الأخرى نضرة الأوراق.. وفي مكان ما من تلك البلدة توجد (سيسى).. تلك الإنسانة التي تسافر!

توقف العم (جون) وابتاع لنفسه زجاجة من عصير البرتقال وشربها ثم مسح وجهه بمنديله وعيناه تقفزان إلى أعلى وإلى أسفل، مثل أطفال صغار يتقافزون على قدم واحدة على الحبل.. وشعر في داخله بخوف لا يدري سببه.

رأى مجموعة من الطيور جاثمة فوق أحد أسلاك التليفونات في شكل سلسلة متراصة بعضها قائم وبعضها جالس.. تُرى هل (سيسى) موجودة هناك وتضحك عليه من العينين الحادتين لأحد تلك الطيور وتهز ريشها وتغني له؟.. وانتابه شك في رجل هندي بأحد محال بيع السيجار.. غير أنه لم يكن هناك تحريك لتلك الصورة الباردة المحفورة بلون التبغ بني اللون.

ومن بعيد سمع أجراساً تدق في أحد الوديان داخل رأسه، مثلما يسمع في صبيحة يوم الأحد الهادئ.. وشعر بأنه أعمى تماماً لا يرى ما



FB@3abeth

حوله كأنه فى ظلام دامس.. وكأن وجوهًا معذبة تتحرك هنا وهناك فى مخيلته المشوشة.. وصاح لكل شيء حوله فى كل مكان قائلاً: "(سيسى)!.. أعرف أنه بإمكانك مساعدتى!.. أرجوك هزينى كما تهزين شجرة!.. (سيسى)!.. لا تتركينى هكذا!".

تبدد الظلام المحيط به من كل جانب، وشعر بالعرق البارد يتصبب كسائل كثيف من كل مكان بجسمه دون توقف.. وقال: "أعرف أنك يمكنك أن تساعدينى.. لقد رأيتك وأنت تساعدين ابنة عمك (ماريان) منذ سنوات مضت.. أعتقد أنها عشر سنوات، أليس كذلك؟".. ثم وقف مكانه يفكر بعمق.

كانت (ماريان) فتاة خجولة للغاية، وشعرها أشعث كجذور نباتات حول جمجمتها.. ثم علقت ذات يوم فى جونلتها كالمطرقة داخل الجرس ولم تعد تسرع أثناء سيرها، وإنما فقط تترنح فى مشيتها وتحرك قدمًا وراء الأخرى.. وكانت تحدق فى الأعشاب والنباتات والأرصفة تحت أصابع قدميها، وتنظر إلى ذقنك إذا كانت قد رأتك أصلاً!.. ولا تصل عادة إلى أبعد من عينيك.. ويأست أمها من عدم زواجها أو من نجاحها فى الحياة.

وعندئذ جاء دور (سيسى) التى ذهبت إلى (ماريان) فى ألفة ومحبة!.. وبعد ذلك جرت (ماريان) وقفزت وصرخت ولمعت عيناها الصفراوان.. وأخذت ترفرف بجونلتها وفكت ضفائر شعرها وتركته يتطاير على كتفيها نصف العاريتين.. وقهقهت (ماريان) وصاحت مثل مطرقة مرحة فى



FB@3abeth

العرس الدقاق بملابسها.. وعصرت (ماريان) وجهها فى شكل تعبيرات أثيرة من الخجل والمرح والذكاء والمتعة الروحية الأمومية والحب.

وبدأ الفتيان يطاردون (ماريان)، ولم تلبث (ماريان) بعد ذلك بقليل أن تزوجت.. وفى ذلك الوقت انسحبت (سيسى) من جسمها.

كانت (ماريان) تعانى من نوبات هستيريا بسبب كسر فى عمودها الفقرى.. وكانت ترقد كشد نسائى رخو طوال اليوم.. ولكن الآن عادة الحركة أصبحت مغروزة فيها، إذ إن بعضا من (سيسى) بقى فيها المقرية مطبوعة فى صخرة طفلية طرية.. وبدأت (ماريان) تواصل تلك العادات الحركية وتفكر فيها باستمرار وتتذكر دائمًا كيف كانت تتصرف و(سيسى) موجودة بداخلها.. وسرعان ما أصبحت تجرى وتصيح وتقهقه من تلقاء نفسها.. لقد دبت فيها العافية مرة أخرى من خلال التذكرا.. ومنذ ذلك الوقت تعيش (ماريان) فى سعادة وهناء.

توقف أمام محل السيجار ليتحدث قليلاً مع الهندى الذى يعمل هناك.. والآن هز العم (جون) رأسه بشدة.. وتحركت عشرات من الفقاعات اللامعة داخل مقلتى عينيه.. ولكل منها عين فائقة الصغر تحدق فى دماغه.

ترى ماذا يفعل لو لم يجد (سيسى)؟.. ماذا يفعل لو أن الرياح حملتها إلى بلاد بعيدة مثل بلدة (الجين)؟ أليس هذا ما كانت تنتظر؛ فرصة مناسبة له، فى مستشفى للمجانين مثلاً لكى تلمس عقول المرضى وتحاول تصحيح وتغيير أفكارهم الغريبة؟



FB@3abeth

وعند الظهيرة ومن مسافة بعيدة دوى صوت نفير معدنى ضخم، وانطلق البخار متدفقًا، عندما عبر قطار الوادى البعيد، فوق الأنهار الباردة وحقول الذرة الناضجة.. وداخل أنفاق مثل أصبع فى كستبان، وتحت أقواس أشجار الجوز المتلألئة.

وقف (جون) خائفًا.. وتساءل عما عساه يحدث لو كانت (سيسى) موجودة بمقصورة مهندس القطار الآن؟.. إنها تحب ركوب الآلات الضخمة عبر أرجاء البلاد إلى أبعد الآفاق.. وربما تجذب حبل النفير بحركة سريعة وقوية لكى يصرخ عاليًا وسط ظلام الليل أو النهار الهادئ فى الريف.

سار بطول شارع ظليل.. ثم ظن أنه رأى من طرف عينه امرأة عجوزًا متغضنة الجسم مثل تينة جافة.. كبذرة نبات شوكى تطير بين أفرع شجرة زعرور برى.. وثمة وتد خشبى مغروز فى صدرها!

انطلقت صرخة مروعة من شخص ما!.. شيء ما ضربه فى رأسه. طائر أسود يحلق عاليًا انقض على رأسه وانتزع خصلة من شعره!

لوح بقبضته نحو السماء.. فى اتجاه الطائر ورماه بحجر صغير وصاح فيه: "لقد أخفتنى أيها اللعين!".. وتنفس بصعوبة.. ثم رأى الطائر يحلق من خلفه ويقبع على غصن شجرة كبير منتظرًا فرصة أخرى للانقضاض على رأسه!

استدار خلسة من الطائر وعلى الفور سمع صوتًا طنانًا.. وقفز فى هياج وأمسك بشيء ما وقال: "(سيسى)!".. لكنه لم يجد فى يده سوى



FB@3abeth

الطائر الذى رفرف بجناحيه وأخذ يصرخ وينعق.. ونادى بقمة انفعاله وأصابع يده تقبض على الطائر البرى الأسود: "(سيسى)!".. ولم يكن بوسع الطائر إلا أن يعضه بمنقاره ويسيل الدم من يده.

- "(سيسى)، سوف أحطم رأسك إذا لم تساعدينى!".

صرخ الطائر من جديد وجرحه فى يده من جديد.. بيد أن العم (جون) أخذ يشدد قبضة أصابعه أكثر فأكثر.. وأخيرًا مضى لحاله تاركًا وراءه الطائر الميت.. ولم يجرؤ على النظر إليه ولو لمرة واحدة.

مضى يشق طريقه وسط المنحدر الضيق الذى يمر تمامًا من خلال منتصف بلدة (ملين).. وتساءل ما الذى يحدث الآن؟.. هل تحدثت أم (سيسى) مع الناس هاتفيًا؟.. هل أفراد عائلة (إليوت) خائفين؟.. وترنح كرجل سكران بينما يتصبب العرق بغزارة تحت إبطيه.. وقال لنفسه: "حسنًا، ليبقوا خائفين لبعض الوقت".. لكنه سأم من خوفه.. وقرر أن ينتظر (سيسى) قليلاً ثم بعد ذلك يذهب إلى الشرطة!

وعلى شط الجدول الصغير ضحك وهو يفكر فى (الإليوتيين) وهم يجرون وراءه فى كل مكان.. ليس هناك حل آخر أمامهم.. ينبغى لهم إجبار (سيسى) على مساعدته.. لا يصح مطلقًا أن يتركوا العم (جون) الطيب يموت مخبولاً.. لا.. لا يمكن ذلك!

حيث كان يسير.. ففى ظهيرة أيام الصيف الحارقة اعتادت (سيسى) الدخول فى رؤوس جراد البحر ذات الفكين والصدفات الطرية.. وكثيرًا



FB@3abeth

ما كانت تنظر خلسة إلى خارج عيونها التى تشبه البيضات السوداء على سيقانها الخيطية الحساسة بحيث تتحسس بوابة التحكم بمياه الجدول بتلك السيقان.. ويمكنها الإحساس بالضوء فى أعماق المياه الباردة.. وهى تتنفس من جسيمات المادة التى تطفو على سطح الماء وتفرد مخالبها القرنية المغطاة بالأشنة أمامها وكانت بعض الأوعية المستخدمة فى السلطة، ولكنها منتفخة وحادة كالمقص.. كانت تراقب الخطوات الواسعة للصبية وهم يتقدمون مسرعين تجاهها من خلال قاع الجدول، وتسمع صياح الأولاد الذى خففته المياه الكثيفة وهم يبحثون عن جراد البحر ويدسون أصابعهم الرقيقة ويقلبون الصخور جانبًا ويمسكون بحيوانات بحرية هائجة ذات زعانف ثم يقذفون بها داخل علب معدنية مفتوحة تجثم بداخلها عشرات من جرادات البحر الأخرى مثل سلة مهملات ممتلئة بفضلات الأوراق، وقد دبت فيها الحياة.

راقبت السيقان الرفيعة للصبيان وهى تجثم فوق صخرتها.. ورأت ظلال الخاصرة العارية لأحد الصبية على الطين الرملى بقاع الجدول.. ورأت يداً مترقبة وهى تلوح وسمعت همساً لصبى يبحث خلسة عن كنز مجهول تحت صخرة.. وعندما امتدت اليد، تدحرجت الصخرة، وتحركت (سيسى) بسرعة ودارت بجسمها كالمروحة ورفست بقدميها الجسم الذى تسكنه محدثة انفجاراً رمليًا صغيراً، ثم اختفت نحو مجرى النهر.

انطلقت إلى صخرة أخرى وراحت تحرك الرمال فى شكل مروحة واضعة مخالبها أمامها وهى فخورة بها.. وعيناها الزجاجيتان الصغيرتان تلمعان بلون أسود بينما ملأ الماء البارد فمها الممتلئ بالفقاعات.



FB@3abeth

معرفة العم جون بأن (سيسى) يمكن أن تكون قريبة جداً منه على هذا النحو داخل أى كائن حى أدت إلى هياجه بل أوشك على الجنون.. ففى أى سنجاب كبير أو صغير أو أى جرثومة تسبب مرضًا أو حتى فى جسمه المُجهد يمكن أن تتواجد (سيسى).. بل يمكنها أن تدخل فى إحدى الأميبات ذات الخلية الواحدة.

نعم، ففى بعض أوقات الظهيرة من أيام الصيف الحارة والرطبة بشكل لا يحتمل يمكن لـ (سيسى) أن تعيش فى جسم أميبا.. تلهو وتنطلق كالسهم وتتأرجح، فى المياه السوداء الراكدة بحوض المطبخ.. وفى الأيام التى ترتفع فيها الحرارة فوق المياه الراكدة بحيث تصبح كابوسًا مرعبًا لكل شىء موجود على الارض، فإنها ترقد وتنعس وترتعش وتبرد وتتكيف تمامًا مع جو فتحة البئر.. وبأعلى تبدو الأشجار كأصنام تحترق بنيران خضراء.. وتبدو الطيور كأختام برونزية تم تحبيرها لضغطها فى دماغك.. والأبخرة تتصاعد من المنازل وكأنها مخازن السماد.. وعندما يصفق أحد الأبواب فإنه يُصدر صوتا مدويًا كطلقة بندقية.. والصوت الجيد الوحيد فى اليوم شديد الحرارة هو صوت السحب الواهن لماء البئر إلى داخل إناء فخارى، حيث يتم استنشاقه من خلال الأسنان الخزفية لامرأة عجوز نحيفة تبدو وكأنها هيكل عظمى.. ومن أعلى يمكن لـ (سيسى) أن تسمع القرقعة الواهنة لقدمى المرأة العجوز، علاوة على أصوات تأوهاتها بعد أن لفحتها أشعة شمس أغسطس الحارقة.. وأثناء جثومها فى قاع البئر البارد ونظرها إلى أعلى من خلال نفق البئر المعتم المُرجع لصدى الصوت، فإن (سيسى) تسمع



FB@3abeth

الصوت المعدنى لذراع المضخة الذى تضغطه بنشاط المرأة العجوز الذى يتصبب العرق منها لسحب الماء إلى أعلى.. وعندئذ يصعد الماء والأميبا و(سيسى) كلهم إلى رقبة البئر فجأة ويتم تفريغهم فى الإناء الذى تنتظره فى لهفة شفتان شققتهما الشمس الحارقة.. وعندئذ فقط تنسحب (سيسى) عند ملامسة الشفتين للإناء لأخذ رشفات من الماء، فى الوقت الذى يميل فيه الإناء ويتلامس الإناء الفخار مع الأسنان الخزفية للمرأة العجوز!

تعثرت قدما (جون) فى شيء ما وعلى الفور سقط ممدداً فى مياه الجدول!.. ولم يقف مرة أخرى بل جلس بشكل أحمق وقطرات الماء تتقاطر منه على الأرض.

ثم بدأ يضرب الصخور بقبضتيه بعنف ويصرخ ويُمسك بجراد البحر ثم يُطلقه وهو يسب ويلعن.. وعلت دقات الأجراس فى أذنيه.. فى ذلك الوقت بدأت سلسلة من الأجسام التى لا يمكن وجودها - ولكنها بدت حقيقة - فى الطفو واحداً بعد الآخر على الماء.. أجسام بيضاء كالديدان مقلوبة على ظهورها وتتجرف مثل الدمى الطليقة.. وأثناء انسياقها ضربت موجات المد رؤوسها بحيث ظهرت وجوهها التى كشفت عن الملامح المعتادة لأفراد عائلة (إليوت).

بدأ يبكى وهو جالس هناك فى المياه.. لقد أراد الحصول على مساعدة (سيسى)، والآن كيف له أن يتوقع تلك المساعدة وهو يتصرف كأحمق يسبها ويلعنها ويهددها هى وعائلتها؟.



FB@3abeth

وقف على قدميه أخيراً وهز جسمه لنفض المياه، ثم سار خارجاً من جدول الماء وصعد إلى التل.. الآن لديه شيء واحد يفعله.. أن يتوسل إلى أفراد مختلفين من العائلة.. ليطلب منهم أن يتوسطوا له عند (سيسى).. كما يطلب منهم أن ترجع (سيسى) إلى منزلها بسرعة.

انفتح باب مؤسسة دفن الموتى فى شارع (كورت).. وظهر منه الحانوتى، وهو رجل قصير القامة قوى البنية له شارب وبدان رفيعتان مساستان.. نظر إليه ثم تكدر وجهه وهمهم قائلاً: "أوه.. إنه أنت.. العم (جون)".

قال (جون) ومازال جسمه مبللاً بالماء: "ابن أخى (بيون).. إننى فى حاجة إلى مساعدتك.. هل رأيت (سيسى) مؤخراً؟".

قال (بيون إليوت): "رأيتها؟".. واستند إلى النضد الرخامى الذى كان يعمل عليه فى تجهيز شخص ما للدفن، ثم ضحك وأصدر شخرة[٢] وأردف: "يا إلهى!.. لا تسألنى هذا الطلب يا رجل!.. انظر إلىّ جيداً.. هل تعرفنى؟".

انزعج (جون) وأجابه: "أنت (بيون إليوت) أخو (سيسى) بالطبع!.. أليس كذلك؟".

هز الحانوتى رأسه وأجاب: "نعم، ليس كذلك.. إننى ابن أخيك (رالف) الجزار!.. نعم، الجزار".. ثم دق على رأسه وأضاف: "هنا..

(٢) صوت مشابه لصوت الشخير للتعبير عن السخرية والازدراء. (المترجم).



FB@3abeth

ما فى الداخل هو المهم.. أنا (رالف)، وكنت أعمل فى ثلاجتى منذ لحظات بمحل الجزارة عندما دخلت (سيسى) فجأة فى رأسى.. لقد استولت على دماغى مثل كوب من السكر، وأحضرتنى إلى هنا الآن وأدخلتنى فى جسم (بيون إليوت).. ما أتعسك يا (بيون)!.. إنها مزحة غريبة للغاية!".

- تعنى أنك لست.. لست (بيوت إليوت)؟

- لا، آه.. لا يا عزيزى العم (جون).. لعل (سيسى) وضعت (بيون) فى جسمى!،.. ولكن هل تفهم هذه المزحة؟.. جزار يتم استبداله بجزار!.. بائع لحم بارد يتم استبداله بآخر مثله!".. ثم أغرق فى الضحك وأضاف: "آه.. إنها (سيسى).. يا لها من طفلة حمقاء!".. ومسح دموعًا سعيدة من على وجهه وأردف: "لقد وقفت هنا لمدة خمس دقائق أتساءل عما عساى أفعله.. هل تعرف؟.. عمل الحانوتى ليس صعبًا ...على الأقل ليس أصعب بكثير من تحميص قدوم أو أصص فخارية.. آه.. إن (بيون) سوف يُجن من هذا.. خشية أن تضيع سمعته المهنية.. لكن لعل (سيسى) تعيد تبديلنا مرة أخرى فيما بعد.. إن (بيون) لم يقبل قط أن يتلاعب به أحد أو يضحك عليه أى إنسان!".

بدا الارتباك على (جون) وقال: "حتى أنت لا تستطيع السيطرة على (سيسى)؟".

- "يا إلهى، لا بالطبع.. إنها تفعل ما يحلو لها.. نحن لا حول لنا ولا قوة!".



FB@3abeth

سار (جون) متردداً باتجاه الباب وغمغم قائلاً: "يجب أن أعثر عليها في مكان ما.. إذا كان بمقدورها فعل ذلك لك، فتخيل مقدار مساعدتها لي إذا أرادت".. وازداد ارتفاع دقات الأجراس في أذنيه.. ومن ركني عينيه لمح حركة ما.. ولف حول نفسه وأخذ نفساً عميقاً.

وتد خشبي انغرز في الجسد الممدد على النضد!.. وقال الحانوتي عندما صفق الباب: "مع السلامة".. وأنصت إلى صوت أقدام (جون) وهو يعدو مبتعداً عن المكان.

في الساعة الخامسة عصر ذلك اليوم دخل رجل بائس يترنح إلى قسم الشرطة وهو يكاد لا يقف على قدميه.. وكان صوته همساً، وتقيأ ما في بطنه كما لو كان تناول سماً.. لم يعد يشبه العم (جون) من قريب أو بعيد.. والآن تدق الأجراس في أذنيه طوال الوقت.. وأخذ يرى من خلفه أناساً يسيرون وفي صدورهم تنغرس أوتاد خشبية.. ثم يختفون عندما يلتفت إليهم!

رفع مأمور القسم رأسه من المجلة التي كان يقرأها ومسح شاربه البني بمؤخرة يده؛ خطافية الشكل أنزل قدميه من فوق المكتب المتهالك الموجود أمامه وانتظر أن يتكلم العم (جون).

همس العم (جون) وعيناه نصف مغلقتين: "أريد أن أبلغ عن عائلة تعيش هنا.. عائلة شريرة تعيش تحت قناع زائف".

تنحنح المأمور لتسليك حنجرته وقال: "ما اسم تلك العائلة؟!".



FB@3abeth

توقف العم (جون) وقال: "ماذا؟".

كرر المأمور ما قاله: "ما اسم تلك العائلة؟".

قال (جون): "إن صوتك..".

قال المأمور: "ماذا بشأن صوتى؟".

قال (جون): "يبدو مألوفًا لى، مثل..".

قال المأمور: "مثل من يا رجل؟".

- مثل أم (سيسى).. نعم، إن صوتك هو نفس صوت أم (سيسى)!

سأله المأمور: "حقًا!".

- "أنت موجود داخلها.. لقد غيرتك (سيسى)، مثلما غيرت (رالف) و(بيون)!.. وبالتالى لا أستطيع أن أبلغ لك عن تلك العائلة الآن!.. ليس هناك جدوى من ذلك!".

قال المأمور بشكل غامض نوعًا ما: "نعم، أظن أنك على حق".

أخذ العم (جون) ينتحب وقال: "يا إلهى! لقد أحاطت بى العائلة فى كل مكان!".

قال المأمور وهو يبلل قلمه على لسانه، ويبدأ فى حل كلمات متقاطعة جديدة: "نعم، يبدو لى الأمر هكذا.. حسنًا جداً.. أتمنى لك يومًا سعيدًا يا (جون إليوت)".



FB@3abeth

"آه.. ماذا قلت؟".

"قلت لك يومًا سعيدًا".

قال (جون): "يومًا سعيدًا".. ووقف بجوار المكتب يُنصت باهتمام وقال: "لكن قل لى بربك، ألا تسمع أى شىء؟".

أصغى المأمور ثم قال: "لعلها صراصير الحقل؟".

- "لا، ليست الصراصير!".

-"إذن هى الضفادع؟".

قال العم (جون): "لا، إنها الأجراس.. أجراس فقط.. أجراس الكنيسة.. إنها نوع من الأجراس لا يستطيع أى إنسان أن يتحمله.. نعم، إنها أجراس الكنيسة المقدسة".

أنصت المأمور بُرهة ثم قال: "لا أستطيع حقًا أن أقول إننى أسمع ما تسمعه.. وبالمناسبة انتبه إلى هذا الباب فإنه ينصفق بشدة!".

فتح أحدهم باب حجرة (سيسى) بالقوة.. وبعد لحظة كان العم (جون) بداخلها ويتحرك من أحد جانبى الحجرة إلى الجانب الآخر.. وعلى السرير قبع جسم (سيسى) ساكنًا لا يتحرك.. وبينما أمسك (جون) بيد (سيسى)، كانت أمها خلفه تمامًا.

وعلى الفور ضربته المرأة على رأسه وكتفيه حتى ابتعد عن (سيسى) النائمة، وفى ذلك الوقت أضحت الدنيا جحيمًا من الأجراس



FB@3abeth

فى أذنيه.. ثم اسودت الدنيا أمام عينيه وفقد القدرة على الإبصار.. وتحسس طريقه إلى الأم وهو يعض شفتيه ويتأوه باستمرار والدموع تذرف من عينيه.

قال: "أرجوك.. أرجوك قولى لها أن ترجع.. أنا آسف.. لا أريد أن أؤذى أحداً بعد الآن".

صاحت الأم بصوت أعلى من ضجيج الأجراس وقالت له: "اهبط إلى الطابق السفلى وانتظرها هناك!.. هل تسمعنى جيداً؟".

صاح بصوت عال جداً: "أنا لا أسمعك.. لا أعرف ما فى رأسى".. وضغط بيديه على أذنيه وأردف: "الضجيج عال للغاية لدرجة أننى لا أستطيع تحمله".. واهتزت ركبتاه بقوة وقال: "فقط لو كنت أعرف مكان (سيسى)!..".

وببساطة شديدة أخرج من جيبه مدية جيب مطوية.. وفردها قائلاً: "لا أستطيع الاستمرار هكذا".. وقبل أن تصل إليه الأم كان قد سقط على الأرض والمدية مغروزة فى صدره والدماء تسيل من بين شفتيه.. إحدى قدميه فوق الأخرى بلا مغزى.. وإحدى عينيه مغلقة والأخرى مفتوحة وبيضاء اللون.

انحنت الأم فوقه وهمست قائلة: "لقد مات".. وأخيراً.. وقفت وغمغمت وابتعدت عن الدماء وقالت وهى لا تصدق نفسها: "ها هو



FB@3abeth

ا قد مات أخيراً".. وحدقت فيما حولها في خوف وترقب وصاحت بصوت عال:

- "(سيسى)، (سيسى).. ارجعى يا طفلتي.. أنا محتاجة إليك الآن".

ساد الصمت للحظة بينما انحسر ضوء الشمس من الحجرة.

- "(سيسى).. ارجعي يا طفلتي الحبيبة".

تحركت شفتا الرجل الميت وانطلق من بينها صوت عال وواضح تماماً:

- "أنا هنا!.. أنا هنا منذ أيام يا أمى!.. أنا الخوف الذى انتابه، ولم يفهم ذلك قط.. قولي لأبى ما فعلته.. ربما يعتقد الآن أننى مُجدية بعض الشيء".

توقفت شفتا الميت عن الحركة.. وبعد لحظة ارتعد جسم (سيسى) مثل جورب خال، دخلته ساق ضخمة فجأة وسكنته من جديد.

قالت (سيسى) وهى تنهض من السرير: "العشاء يا أمى.. إنى أتضور جوعاً".



FB@3abeth

# البحـــيرة

كان المشهد يروق لى. فالسماء صافية والشمس ساطعة فوق بحيرة "ميتشجان" وعدة أطفال يصيحون فوق الرمال الصفراء، وهم يتقاذفون كرات الشاطئ، بالقرب يجثم طائر أو اثنان من طيور النورس يراقبان المشهد، وأم تعاتب أطفالها. أما أنا فإننى أخرج من موجة يتطاير رذاذها أمامى ومن حولى، ومن ثم فإننى أرى كل هذا العالم الذى يحيط بى، غير واضح المعالم ومبلل.

ثم ركضت على الشاطئ، غير أن أمى أسرعت وأحاطتنى وجففتنى بمنشفة ناعمة الملمس، وقالت لى: "ابق هنا حتى تجف". ووقفت أرقب أشعة الشمس وهى تبخر قطرات الماء من على ذراعى. وسرعان ما سرت فى جسدى قشعريرة خفيفة من البرد.

قالت أمى: "انتبه، هناك ريح. ارتدى سترتك الثقيلة".

قلت: "انتظرى قليلاً. إننى أشاهد جلدى يقشعر!".

قالت أمى: "(هارولد)! اسمع كلامى فوراً".



FB@3abeth

ارتديت السترة الصوفية. وأخذت أشاهد أمواج البحر ترتفع عاليًا من بعيد ثم تهبط عند الشاطئ. ولم تكن تفعل ذلك بطريقة خرقاء، ولكن براشقة وإنسيابية.

كنا فى شهر سبتمبر، فى الأيام الأخيرة من موسم الصيف، حيث تكتسى كل الأشياء بغلالة من حزن، دون أى مبرر. وكان الشاطئ بالغ الطول ويكاد يكون مقفرًا، إذ لا يوجد عليه إلا نحو ستة أشخاص. الأطفال الصغار لم يعودوا يتقاذفون كراتهم المطاطية، لأن الرياح جعلتهم - بطريقة ما - حزانى أيضًا، عندما تصفر بصوتها الكئيب هنا وهناك، ولذلك جلس الأطفال على الشاطئ وهم يشعرون ببوادر الخريف، تزحف على هذا الشاطئ اللانهائى.

كل أكشاك السجق الساخن كانت مسدودة بإحكام بألواح من الأخشاب الذهبية المثبتة بمسامير، وتخفى بداخلها روائح المسطردة والبصل واللحم، التى تراكمت خلال فصل الصيف الممتع الطويل. كان الأمر أشبه بوضع جثمان الصيف داخل سلسلة من النعوش وإغلاقها بإحكام عليه. وتدريجيًا أقفلت كل الأماكن أبوابها بالأقفال، وأخذت الريح تهب على الرمال وتحفها، ومن ثم تزيل تمامًا ملايين آثار الأقدام التى وطأتها فى شهرى يوليو وأغسطس. وفى شهر سبتمبر لم يكن هناك على الشاطئ سوى حذاء التنس المطاطى الخاص بى، وآثار أقدام صديقى (دونالد وديلوس شابولد) بامتداد منحنى الشاطئ.



FB@3abeth

ارتفعت أكوام الرمال فوق الأرصفة الجانبية للمشاة، واختفت الأرجوحات الدوّارة تحت القماش الغليظ. وتجمدت كل الجياد المعدنية فى الهواء البارد، على أعمدتها النحاسية، وهى تقفز مبينة أسنانها. لم تعد هناك إلا النغمات الموسيقية التى تعزفها الرياح عند انزلاقها عبر القماش الكثيف.

كنت واقفًا هناك، بينما كل الأطفال فى مدارسهم، باستثنائى أنا. فغدًا سوف أكون فى طريقى غربًا عبر الولايات المتحدة، مستقلاً القطار. وقد أتيت أنا وأمى إلى الشاطئ لقضاء وقت قصير أخير. كان ثمة أمر غامض فى تلك الوحدة التى أعيشها، جعلنى أرغب فى التحرر والانفراد بنفسى.

قلت: "أمى! أريد أن أركض على الشاطئ لمسافة قصيرة".

"لا بأس، ولكن عد بسرعة ولا تقترب كثيرًا من الماء".

جريت وغرزت فى الرمال التى تحت قدمى، إلا أن الرياح كانت ترفعنى إلى أعلى. وأنت تعرف بالطبع، أنه عندما تفتح ذراعيك على اتساعهما، فإنك تشعر كما لو أن غشاء قد تكوّن بين أصابعك، فتشعر بأن ذراعيك أصبحتا جناحين! بدأت أمى تبتعد عنى، وهى جالسة فى مكانها. ولم تلبث أن أصبحت مجرد بقعة سمراء نائية، وهكذا صرت بمفردى تمامًا. هذا الشعور بالوحدة كان جديدًا علىّ وأنا فى الثانية عشرة من عمرى، فصبى مثلى معتاد دائمًا على وجود أناس حوله. والطريقة الوحيدة أمامه لكى يكون وحيدًا، هى أن يسرح مع خياله.



FB@3abeth

وهناك أناس كثيرون حول الأطفال يقولون لهم ماذا وكيف يتصرفون فى حياتهم، لدرجة أن الطفل يتمنى أن يركض على الشاطئ - حتى لو كان ذلك فى خياله - لكى يختلى بنفسه فى عالمه الخاص به، وفى إطار معاييره وقيمه الذاتية، متناهية الصغر. وهكذا كنت وحيداً بالفعل. ودخلت فى لجّة الماء، وتركته يبرد جسمى حتى ارتفاع بطنى. وقبل ذلك ووسط زحام الآخرين، لم أكن أجرؤ على النظر حولى والوصول إلى تلك البقعة والبحث فى الماء، والمناداة على اسم معين بالذات. لكن الآن..

إن ماء البحر يشبه الساحر، فهو يقطعك إلى نصفين. إذ تشعر بأن جسمك انشطر إلى قسمين، القسم الأسفل مثل السكر الذى يذوب كلية فى الماء. الماء معتدل البرودة، ومن حين إلى آخر تأتى موجة تلطمك ولكن برقة بالغة ثم تخلف وراءها غلالة من الشرائط الزينية الزاهية.

ناديت على اسمها، اثنتا عشرة مرة: "(تالى)! (تالى)! يا إلهى! أين أنت يا (تالى)؟ هل تسمعينني؟".

شىء مضحك. أليس كذلك؟ ولكن عندما تكون صغيراً، فإنك تتوقع بالفعل إجابات لنداءاتك وأن كل ما تفكر فيه - حتى لو كان خياليًا - يمكن أن يكون حقيقيا. وأحيانًا قد يكون صحيحاً.

فكرت فى (تالى)، وهى تسبح فى مياه البحيرة مبتعدة عن الشاطئ، فى شهر مايو الماضى، وضفائر شعرها الأشقر تهتز وتتبعها من وراءها ثم أخذت تضحك وأشعة الشمس تلمس فى حنان كتفيها ذات الاثنى عشر ربيعًا. ثم استرجعت اللحظات التى سكنت فيها مياه



FB@3abeth

البحيرة، وعامل الإنقاذ وهو يقفز فى لجة الماء، وقتئذ تعالت صرخات أم (تالى)، وتذكرت كيف أن (تالى) لم تعد قط من البحيرة. وعلى الرغم من محاولات عامل الإنقاذ إقناعها بالخروج من الماء، إلا أنها رفضت. عاد إلينا عامل الإنقاذ وبين أصابعه الضخمة ذات النتوءات، بعض قطع من الأعشاب البحرية، أما (تالى) فقد غرقت. لم تعد تجلس أمامى فى المدرسة، كما كانت تفعل، أو تركض وراء الكرات داخل المنزل، أو فى الشوارع المبلطة بالطوب، فى ليالى الصيف الرائعة. لقد ذهبت بعيداً جداً، ولم تسمح لها البحيرة بالعودة!

والآن فى هذا الخريف الموحش وتحت هذه السماء المروعة وأمام مياه البحيرة الهائلة وعلى طول ذلك الشاطئ الممتد بلا نهاية، أتيت وحدى لآخر مرة. وأخذت أنادى عليها مراراً وتكراراً: "(تالى)! (تالى)! يا إلهى! أين أنت يا (تالى)؟ هل تسمعيننى؟". هبت الريح فى نسمات رقيقة للغاية على أذنى، مثلما تهب فى فتحات قواقع البحر، فتجعلها تهمس. نزلت إلى المياه المرتفعة. فأحاطت بصدرى ثم هبطت إلى ركبتى، وأخذت ترتفع وتهبط هكذا دواليك. وبعدها انسابت من تحت قدمىّ.

"(تالى)! (تالى)! عودى إلينا!".

لم أكن قد جاوزت الثانية عشرة، لكننى أعرف كم أحببتها. إنه ذلك الحب الذى ينشأ بعيداً عن أية دلالات جسدية أو مضامين أخلاقية. حب فطرى مثل الريح والبحر وحبيبات الرمال التى تجاور بعضها البعض إلى الأبد، وانبثق من كل تلك الأيام الطويلة الدافئة التى قضيناها معاً



FB@3abeth

على الشاطئ، وكذلك Humming أيام الإجازة من التعليم الرتيب الممل بالمدرسة. وكل أيام الخريف الطويلة فى السنوات الماضية، التى كنت أحمل فيها كتبها من المدرسة إلى المنزل.

"(تالى)! (تالى)!".

ناديت على اسمها للمرة الأخيرة. وسرت رعدة فى جسمى. وشعرت بالماء على وجهى، ولم أعرف كيف وصل إليه. فالأمواج لم يتطاير رذاذها قط، إلى مثل هذا الارتفاع.

استدرت راجعًا إلى رمال الشاطئ، ووقفت هناك لمدة نصف ساعة تواقًا للعثور على مجرد لمحة أو علامة أو شىء صغير أتذكره عن (تالى). ثم ركعت على ركبتى وشيدت قلعة من الرمال بعناية فائقة، بنيتها كما اعتدنا أنا و(تالى) أن نبنى العديد منها. ولكن فى هذه المرة لم أنجز إلا نصفها فقط ثم استويت واقفًا.

"(تالى)! أرجوك إن كنت تسمعيننى، عليكِ أن تحضرى وتكملى بناء القلعة".

أخذت أسير باتجاه تلك النقطة البعيدة التى هى أمى. وأقبل الماء وأحاط بالقلعة الرملية، التى أخذت تنهار شيئًا فشيئًا حتى تساوت مع سطح الأرض. ظللت أسير صامتًا، على طول الشاطئ الموحش. ورأيت من بعيد أرجوحة دوّارة تصدر صريرًا خافتًا ثم تبينت أن ما سمعته هو مجرد صوت الريح.



FB@3abeth

فى اليوم التالى، سافرت بالقطار. والواقع أن القطار له ذاكرة ضعيفة. إذ سرعان ما يترك كل شىء خلفه. فقد نسى حقول الذرة فى ولاية (الينوى) وأنهار طفولتى والجسور والبحيرات والأودية والأكواخ، بل كل الآلام والأفراح. إن القطار يبعد كل تلك الأشياء إلى الوراء، حتى يطويها النسيان!

ومع مرور الأيام نمت عظامى واكتست باللحم، وتغير دماغى الصغير إلى آخر كبير وأكثر نضوجاً. وتخلصت من ملابسى التى لم تعد مقاساتها تناسبنى. وانتقلت من المدرسة الإبتدائية والإعدادية إلى المدرسة الثانوية ثم إلى كلية الحقوق، حيث درست كتب القانون، وبعد ذلك تعرفت على امرأة شابة فى مدينة (ساكرامنتو) لبعض الوقت، ولم نلبث أن تزوجنا.

واصلت دراستى للقانون، وعندما بلغت الثانية والعشرين من العمر، نسيت تقريبًا ما هو شكل الولايات الشرقية، غير أن (مارجريت) - زوجتى - اقترحت أن نقضى شهر عسلنا المؤجل فى إحدى هذه الولايات.

إن القطار - مثل الذاكرة تمامًا - يعمل فى اتجاهين. فالقطار يمكنه أن يعيد فوراً إلى ذاكرتك، كل تلك الأمور التى تركتها وراء ظهرك لسنوات طويلة جداً. ظهرت بحيرة (بلاف) عند الأفق، التى يبلغ تعداد سكان أقرب مدينة لها، نحو عشرة آلاف نسمة. وبدت (مارجريت) أنيقة للغاية فى ملابسها الجديدة الرائعة. ووجدتها تراقبنى عن كثب،



FB@3abeth

بينما كنت أفكر فى عالمى القديم الذى يجتذبنى إلى وقائع أحداثه الماضية. وأمسكت بذراعى بينما أخذ القطار ينسل داخلاً إلى محطة (بلاف)، وسرعان ما أخذ الحمال متاعنا إلى خارج محطة السكة الحديد.

يا لها من سنوات طويلة مرت، وما أكثر التغيير الذى تحدثه فى وجوه الناس وأجسامهم. وعندما سرنا فى أرجاء المدينة لم أصادف أى شخص أعرفه. لكن بدت لى بعض الوجوه مألوفة إلى حد ما. لعلها وجوه رأيتها عندما كنت أقوم بنزهات طويلة على الأقدام، عبر دروب الوادى الصغير الضيق شديد الانحدار. إنها وجوه تحمل فى داخلها الضحكات القصيرة السعيدة، التى يطلقها طلبة المدرسة الإبتدائية والإعدادية، وأثناء اللهو على أرجوحات "السيسو"[١] وتلك المفصلية المعدنية.

لكننى لم أتفوه لزوجتى بشىء من ذلك. وإنما سرت فى طريقى ونظرت حولى فقط، لأستجمع كل الذكريات الماضية، مثل أوراق الأشجار المتساقطة والمتراكمة فوق بعضها البعض توطئة لحرقها فى موسم الخريف!.

بقينا فى تلك المدينة لمدة أسبوعين، زرنا فيها معًا أماكن كثيرة. والواقع أننا قضينا وقتئذ أيامًا سعيدة، واعتقدت أننى مدلّه بحب (مارجريت). على الأقل هذا ما كنت أشعر به.

---

(١) لوح خشبى تتم موازنته على نقطة ارتكاز بحيث يرتفع أحد الطرفين وينخفض الآخر. (المترجم).



FB@3abeth

وفى أحد الأيام الأخيرة من شهر العسل، سرنا معًا بامتداد الشاطئ، ولم يكن الوقت فى ذلك العام متأخراً جداً، إلا أن أولى علامات هجر الناس للشاطئ بدأت فى الظهور، فقد كان عددهم قليلاً للغاية، كما أن الكثير من أكشاك شطائر السجق الساخن كانت مغلقة بألواح من الخشب، المثبت فيها مسامير، والريح - كعادتها - قبعت هناك لكى تغنى لنا!

وتصورت أمى جالسة على الرمل كعادتها. وعلى الفور عاودنى الشعور الطاغى بحاجتى أن أبقى وحيداً لبعض الوقت. لكننى لم أجرؤ على التعبير عن ذلك لـ (مارجريت)، فقط ظللت ممسكًا بذراعها وأخذت أنتظر.

كان الوقت متأخراً فى ذلك اليوم، وأكثر الأطفال عادوا إلى منازلهم، ولم يبق على الشاطئ سوى حفنة من الرجال والنساء، يستدفئون فى الجو المشمس شديد الرياح. حينئذ وصل قارب عامل الإنقاذ إلى الشاطىء. وببطء خطا العامل منه إلى الأرض حاملاً بين ذراعيه شيئًا ما لم أتبينه تمامًا.

تجمدت فى مكانى وحبست أنفاسى، وشعرت بأن الزمن ارتد بى إلى الوراء، وعدت صبيًا فى الثانية عشرة من عمره، صغيراً بل متناهى الصغر، يقف بمفرده خائفًا من أمر ما كانت الريح تزمجر. ولم أستطع رؤية (مارجريت)، وأمكننى فقط مشاهدة الشاطئ. وأخذ عامل الإنقاذ



FB@3abeth

يقترب من الشاطئ، حاملاً كيساً رمادياً كبيراً. لم يكن ثقيلاً جداً، وكان وجه عامل الإنقاذ شاحباً ومتغضناً.

قلت: "(ماجريت)! ابقى هنا". ولم أكن أعرف لماذا قلت لها ذلك.

"لكن لماذا؟!".

"أرجوك! فقط انتظرى فى مكانك. هذا كل ما فى الأمر".

سرت ببطء على رمال الشاطئ، حتى المكان الذى يقف فيه عامل الإنقاذ. ونظر الرجل إلىّ فسألته: "ما هذا؟". استمر الرجل يحدق فىّ لفترة طويلة، دون أن ينبس ببنت شفة، وإنما وضع الكيس الرمادى الكبير على الرمال، المبللة بمياه البحيرة وعاد أدراجه. تبعته لعدة خطوات، وقلت له مصراً: "ما هذا؟". أجاب عامل الإنقاذ بهدوء: "إنها ميتة..". انتظرت صامتاً. واستطرد الرجل بصوت خافت: "أمر غريب! إن هذا أعجب شيء صادفنى فى حياتى. إنها ميتة منذ فترة طويلة للغاية..!". كررت لنفسى الكلمات التى تفوه بها. أومأ عامل الانقاذ برأسه وأردف: "... أعتقد أن ذلك حدث منذ عشر سنوات. فهذا العام لم يغرق ولا طفل واحد فى هذه المنطقة. ومنذ عام ١٩٣٣، لم يغرق سوى اثنى عشر طفلاً، لكننا استعدنا جثثهم جميعًا قبل مرور بضع ساعات من وقت غرقهم. كل الجثث عثرنا علينا ما عدا واحدة فقط حسبما أتذكر. وهذه الجثة لا أعرف لماذا ظلت فى مياه البحيرة لعشر سنوات! إن ذلك أمر بالغ الغرابة!".



FB@3abeth

حدقت فى الكيس الرمادى الكبير الذى يرقد على الرمال وقلت له: "أرجو أن تفتح الكيس".

ولم أعرف لماذا قلت له هذه الكلمات. وقتئذ أصبحت الريح صرصراً.

تحسس الكيس الرمادى بتوتر وحيرة وقال: "لقد عرفت أنها فتاة لأنها لا تزال ترتدى دلاية بسلسلة حول رقبتها. وليس ثمة شىء أكثر من ذلك يمكن به التعرف عليها...".

صحت مقاطعًا: "يربك أسرع يا رجل بفتح الكيس". رد قائلاً: "أفضل ألا أفعل ذلك..". ولكن لعله رأى التوتر الذى بدا واضحًا على وجهى. فأردف: "إنها كانت فتاة صغيرة...". فتح جزءًا من الكيس فقط وكان ذلك كافيًا بالنسبة إلىّ.

كان الشاطئ قد خلا تمامًا من الرواد. ولم يكن هناك سوى السماء والرياح ومياه البحيرة والرمال، بينما كان الخريف يقبل وحيداً. وتطلعت إلى وجهها جيداً، داخل الكيس الرمادى.

أخذت أردد شيئًا ما، مراراً وتكراراً. اسم فتاة. ونظر إلىّ عامل الإنقاذ بدهشة. وسألته: "أين عثرت عليها؟" أجابنى قائلاً: "بالقرب من الشاطئ فى هذه الناحية. فى المياه الضحلة. لا شك أنها غرقت منذ زمن طويل. أليس كذلك؟".

هززت رأسى وهمست قائلاً: "يا إلهى! بلى، هذا ما حدث فعلاً".



FB@3abeth

دارت فى ذهنى فكرة غريبة. إن الناس يتقدمون فى السن وكذلك أنا. أما هى فإنها لم تتغير بالمرة. فمازالت صغيرة ويافعة، والموت لا يؤدى إلى أى نمو أو تغير. ولكن مازال شعرها أشقر ذهبيًا. وسوف تبقى إلى الأبد صغيرة نضرة، وسأظل أحبها إلى الأبد. يا إلهى، لا شك أننى سوف أحبها إلى الأبد.

أغلق عامل الإنقاذ الكيس الرمادى الكبير مرة أخرى. أما أنا فلم ألبث - بعد هنيهة - أن سرت وحيداً على رمال الشاطئ، ثم توقفت وأرسلت بصرى إلى شيء ما. وقلت لنفسى ذلك هو المكان الذى قال عامل الإنقاذ إنه وجد الجثة عنده. هناك على الشاطئ، عند حافة مياه البحيرة، جثمت قلعة من الرمال مبنى نصفها فقط، تمامًا مثلما كنت أفعل أنا و(تالى)، هى تبنى نصف القلعة وأنا النصف الآخر. حدقت بعض الوقت فى قلعة الرمال ثم ركعت بجوارها ولاحظت وجود آثار أقدام صغيرة تأتى من البحيرة ثم تعود إليها من جديد، ولكنها لا تخرج من لجة مياهها بعد ذلك أبداً. وقتئذ عرفت كل شيء. فقلت محدثًا نفسى: "سوف أساعدك على إكمالها". وقمت بذلك فعلاً، بنيت بقية قلعة الرمال، ببطء شديد. ثم استويت واقفًا، واستدرت وانصرفت حتى لا أشاهدها، وهى تتقوض وتتفتت بتأثير الأمواج، مثلما يتقوض ويتفتت كل شيء فى هذا العالم. عدت راجعًا على رمال الشاطئ، إلى حيث تقف امرأة غريبة اسمها (مارجريت) تنتظرنى مبتسمة.



FB@3abeth

# النعــش

كان ثمة قدر كبير من الدق والطرق والضوضاء المزعجة استمر لأيام كثيرة، واستلام وتفريغ لأجزاء وقطع معدنية متباينة، قام باستلامها السيد (تشارلز براليج) بلهفة شديدة فى ورشته الصغيرة. كان الرجل يحتضر، ويوشك على الموت وكان يبدو متعجلاً للغاية - على الرغم من سعاله المستمر المؤلم وبصاقه المتواصل - على تجميع تلك الأجزاء المعدنية مع بعضها البعض، لينجز آخر اختراع له.

سأله شقيقه الأصغر (ريتشارد براليج): "ما الذى تفعله بربك؟" بعد أن أنصت بصعوبة متزايدة وفضول كبير، طوال تلك الأيام لكل هذا الدق والطرق وتلك الضوضاء. وأخيراً تجرأ وفتح باب الورشة.

قال له (تشارلز براليج): "اغرب عن وجهى! واتركنى أعمل بمفردى" وكان فى السبعين من عمره وجسده يرتعد وشفتاه مبللتان معظم الوقت، وكان يدق مسامير فى المكان المخصص لها فى ألواح خشبية ثقيلة، بواسطة مطرقة يمسكها بيد ترتعش، ومن ثم جاءت دقاته ضعيفة واهنة. ثم أدخل شريطاً معدنياً صغيراً فى جهاز معقد. وباختصار كان (تشارلز براليج) يقوم بأعمال متباينة يكتنفها الغموض!



FB@3abeth

حدق (ريتشارد) لفترة من الوقت بعينين مريرتين فى هذا المشهد الذى يتراءى له. كان بين الرجلين كراهية حقيقية، استمرت لعدة سنوات، ولم تزدد أو تنقص لسبب بسيط هو أن (تشارلز) يحتضر بالفعل. وكان (ريتشارد) سعيداً لمعرفته بقرب موت أخيه. إذا كان قد فكر أصلاً فى هذا الموضوع. غير أن هذا النشاط المحموم الذى يقوم به أخوه، أثار خياله وفضوله.

قال مرة أخرى، بينما لم يتحرك قيد أنملة من عند باب الورشة: "بالله عليك أخبرنى". زمجر (تشارلز) العجوز وأجابه بغضب وهو يركّب شيئًا ما فى الصندوق الذى أمامه: "إذا كان لابد أن تعرف. فأنا سوف أموت خلال أسبوع واحد وأنا أقوم ببناء نعشى الخاص بى".

"ماذا تقول؟ نعش! ما الذى دهاك يا عزيزى (تشارلز)؟ هذا لا يبدو مثل نعش. فالنعش لا يكون معقداً هكذا! لا تحاول خداعى واعترف بالحقيقة. ما الذى تنوى عمله؟".

ارتعدت أصابع العجوز وهى تجوس خلال الصندوق الكبير، وقال: "لقد قلت لك إنه نعش! حقًا إنه نعش غريب الشكل. ولكنه على أى حال.. مجرد نعش".

"ولكن من الأسهل لك أن تشترى واحداً جديداً بدلاً من بذل كل هذا المجهود".

"لكنه لن يكون نعشاً كهذا! لا يمكنك أن تشترى نعشاً مثله من أى مكان على الإطلاق. فى الحقيقة سيكون نعشاً مختلفاً".



FB@3abeth

تحرك (ريتشارد) عدة خطوات إلى الأمام وقال: "من الواضح أنك تكذب عليّ.. ياللعجب! إن طول هذا النعش حوالى اثنتى عشرة قدمًا[1]، ويعنى ذلك أنه أطول من المعتاد بنحو ست أقدام".

ضحك الرجل العجوز بهدوء وقال: "نعم.. هذا صحيح".

"وما هذا الجزء الشفاف الذى يغطيه؟ من الذى سمع عن غطاء نعش يمكن الرؤية من خلاله؟ ما فائدة الغطاء الشفاف للجثة التى بداخل النعش؟".

قال العجوز بمرح: "حسنًا يجب ألا تشغل بالك بأمر كهذا!" ثم أردف كمن يغنى بحرارة: "... أوه.. لا.. لا" وطفق يدندن بينما يدق المسامير فى النعش، داخل ورشته.

صاح الأخ الأصغر بصوت يعلو على الضجيج قائلاً: "ثم إن النعش سميك للغاية. إن سمكه يبلغ حوالى خمسة أقدام! وهذا غير ضرورى على الإطلاق!".

رد (تشارلز) العجوز بقوله: "أنا أتمنى فقط، أن يمتد بى العمر حتى أحصل على براءة اختراع لهذا النعش المدهش. إنه سيكون هدية من السماء لكل شعوب العالم الفقيرة. فكر كيف أنه سوف يخفض - إلى حد كبير - نفقات معظم الجنازات. ولكنك بالطبع لا تعرف كيف

(١) القدم نحو ٣٠ سنتيمترًا. (المترجم).



FB@3abeth

سيحدث ذلك. أليس كذلك؟ ما أشد حمقى! حسنًا لن أخبرك، ولكن اعلم أنه إذا أمكن إنتاج هذا النعش بكميات وفيرة، ولو أنه سوف يكون مكلفًا في البداية. إلا أنه في نهاية الأمر سيتم إنتاجه بأعداد كبيرة للغاية ومن ثم تنخفض تكلفته. وبالتالي سوف يوفر للناس الكثير من المال" زمجر الأخ الأصغر وهو يخرج مندفعًا من الورشة، قائلاً: "فلتذهب إلى الجحيم بنعشك هذا!".

فكثيرًا ما كانت حياة الأخ الأصغر بائسة وبغيضة. إذ كان دائمًا شخصًا فظًا وعاطلاً عن العمل لم يكسب بنفسه إلا النذر اليسير. وكان كل ماله يحصل عليه من أخيه الأكبر (تشارلز) الذي بلغت وقاحته إلى حد تذكيره بذلك طوال الوقت. ويقضي عادة (ريتشارد) ساعات طويلة في ممارسة هواياته، فعلى سبيل المثال كان يهوى جمع الزجاجات التي عليها رقعات "خمر فرنسية" في حديقة المنزل. وكثيرًا ما كان يقول وهو جالس يرشف منها: "إنني أحب طريقة وميضها".

وكان الرجل الوحيد في المقاطعة الذي يمكنه أن يحتفظ بأطول بقايا رمادية، بعد تدخين السيجار الذي يبلغ ثمنه خمسين سنتًا، لأطول زمن تم تسجيله على الإطلاق. وكان يعرف كيف يضم يديه بحيث تومض ماسات خاتمه في الضوء. غير أنه لم يشتر قط أي خمر أو ماسات أو سيجار! بل كانت كلها هدايا يتلقاها، إذ لم يكن ليسمح له بشراء أي شيء بنفسه. كانت الأشياء تُجلب وتُعطى له عادة. لذلك كان محتاجًا لطلب كل شيء حتى ورق الكتابة.



FB@3abeth

لقد كان (ريتشارد) يعتبر نفسه "شهيداً" لاضطراره للاعتماد على أخيه العجوز طوال السنوات الطويلة الماضية. والعجيب أن كل مشروعات (تشارلز) كانت ناجحة ومربحة، بينما كل شيء وضع (ريتشارد) يده فيه أخفق.

والآن، فإن هذا الرجل العجوز البغيض يعكف على تنفيذ اختراع جديد سوف يؤدى - على الأرجح - إلى حصوله على أموال إضافية، حتى بعد أن تكون عظامه قد اندثرت فى القبر بوقت طويل!

ومر أسبوعان. وذات صباح صعد الأخ المسن الدرج - بخطى غير ثابتة - وسرق الأجزاء الداخلية للحاكى(٢) الكهربائى، وفى صباح يوم آخر، اقتحم دفيئة البستانى. وفى يوم ثالث، استلم شحنة من شركة للمعدات الطبية. وكل ما كان باستطاعة (ريتشارد) الأخ الأصغر أن يفعله، هو محاولة تثبيت عمود الرماد على سيجاره وهو يدخنه، أثناء قيام أخيه بتلك المهام الغامضة!

وفى صباح اليوم الرابع عشر صاح (تشارلز) العجوز قائلاً: "لقد انتهيت أخيراً".

ثم وقع لتوه ميتاً.

أكمل (ريتشارد) تدخين سيجاره، وبدون أن يعبر عن أحاسيسه الداخلية المتوترة، وضع السيجار وعمود الرماد الرفيع الضارب إلى

---

(٢) جهاز كان يستخدم لسماع الأسطوانات. (المترجم).



FB@3abeth

البياض، والبالغ طوله بوصتين – ويا له من رقم قياسي – على المنضدة وهب واقفًا.

سار إلى النافذة ولاحظ ضوء الشمس وهو يتلألأ بين الزجاجات – التي تشبه الخنافس العملاقة – المتراكمة في الحديقة، ونظر إلى أعلى الدرج، حيث يتمدد (تشارلز) العزيز العجوز، في سكينة مستنداً على الدرابزين. ثم اتجه إلى الهاتف، وبقليل من الحماسة والاهتمام، طلب رقمًا ما: "مرحبًا! مكتب (جرين لون) لخدمات دفن الموتى؟ هذا منزل عائلة (برالينج). هلا أرسلت إلينا عربة نقل الموتى من فضلك؟ نعم. من أجل أخي (تشارلز) إلى عربة نقل الموتى، تلقوا التعليمات من (ريتشارد) الأخ الأصغر: "نعش عادي. لا أريد أية مراسم للدفن. على أن يكون النعش من خشب الصنوبر. لقد كان يفضل أن تسير الأمور هكذا، بسيطة دون تعقيد، مع السلامة".

حك (ريتشارد) يديه في بعضهما البعض وقال: "والآن! عليّ أن أذهب لرؤية هذا النعش الذي صنعه (تشارلز) العزيز. لا أظن أنه كان يتصور أنه لن يدفن في هذا الصندوق الخاص الذي ابتكره." وسار إلى الورشة بالطابق السفلي ودخلها.

قبع النعش أمام نافذتين فرنسيتين مفتوحتين بالكامل على الحديقة. كان غطاء النعش مقفلاً. إنه نعش كامل وأنيــق ومجمع بدقة وإحكام، مثل الأجزاء الداخلية لساعة سويسرية. ويتميز بحجمه الكبير. وبأنه مستقر على منضدة طويلة، ذات عجلات صغيرة من أسفلها، وذلك لسهولة تحريكها من مكان إلى آخر.



FB@3abeth

حدّق بداخل النعش من خلال الغطاء الزجاجي، وقدّر بأن طول الداخل نحو ثلاث أقدام. وكانت ثمة مسافة - لا لزوم لها - من كلا طرفي النعش، من ناحية الرأس والقدمين، تبلغ حوالي ثلاث أقدام، مغطاة بألواح غامضة، عليه أن يجد طريقة لفتحها. ولا ريب أنها سوف تكشف عن... عن ماذا بالضبط؟ أموال بالتأكيد! يبدو أن (تشارلز) أراد أن يخبئ ثروته في قبره معه، تاركًا (ريتشارد) مفلسًا بدون سنت واحد، يشتري به زجاجة خمر. يا له من عجوز لعين! رفع الغطاء الزجاجي بحرص، وتحسس بأصابعه النعش من الداخل، بيد أنه لم يعثر على أي أزرار خفية. كانت ثمة ورقة بيضاء صغيرة مكتوبة بالحبر، ومثبتة بمسمار رفيع في جانب النعش المبطن بقماش حريري. أخذ (ريتشارد) يقرأ المكتوب على الورقة:

"نعش (برالينج) الاقتصادي. اختراع مسجّل في أبريل ١٩٤٦.. سهل التشغيل يمكن للحانوتية والعائلات استخدامه، أكثر من مرة، إنه نعش المستقبل".

زمجر (ريتشارد) بصوت واهن.. تُرى من كان (تشارلز) يظن أنه يخدعه؟ ثم اكتشف كلمات أخرى مكتوبة.

".. التعليمات: ضع الجثة في النعش..".

ما الذي يريد أن يقوله هذا الأحمق. ضع الجثة في النعش! أليس هذا أمرًا طبيعيًا؟ ما عسى أن يقوله المرء غير ذلك، في هذا الخصوص؟ حدّق باهتمام وأكمل قراءة التعليمات.



FB@3abeth

"ضع الجثة فى النعش.. وسوف تبدأ الموسيقى".

شهق (ريتشارد) فى الحال وقال: "هذا غير ممكن! لا تقل لى إن كل هذا العمل.. كان من أجل...".

واتجه إلى الباب المفتوح للورشة، وخرج منه إلى الممر المرصوف، ونادى على البستانى فى دقيقة: "(روجرز)!" أخرج البستانى رأسه من إحدى الفتحات، فسأله (ريتشارد): "كم الساعة الآن؟".

أجاب البستانى: "الثانية عشرة يا سيدى".

قال (ريتشارد): "حسنًا! عند الثانية عشرة والربع، تعال إلى داخل الورشة، وتحقق من أن كل شىء على ما يرام".

قال (روجرز): "أمرك يا سيدى".

استدار (ريتشارد) وعاد أدراجه إلى الورشة، وهو يقول لنفسه فى هدوء: "سوف أكتشف الآن، كل شىء".

لن يكون ثمة ضرر من التمدد داخل هذا الصندوق واختباره. ولاحظ وجود فتحات تهوية صغيرة فى الجانبين. وحتى لو تم غلق الغطاء الشفاف بإحكام، فسوف يوجد هواء كاف. كما أن (روجرز) سوف يأتى بعد دقيقة أو اثنتين. "ضع الجثة فى النعش.. وسوف تبدأ الموسيقى". حقًا ما أحمق (تشارلز) العجوز! ثم رفع (ريتشارد) نفسه إلى أعلى.

كان مثل رجل يدخل فى حوض استحمام (بانيو). وشعر بأنه عريان وأن شخصًا ما يراقبه، نظر حوله ثم وضع قدمه ذات الحذاء اللامع،



FB@3abeth

داخل النعش وثنى ركبته واسترخى قليلاً، وتفوق بملاحظة قصيرة، إلى لا أحد على وجه الخصوص. بعد ذلك وضع قدمه الثانية وركبته الأخرى فى داخل النعش وجثم هناك. كما لو كان غير مرتاح لدرجة حرارة الماء فى البانيو!

قبع فى مكانه ثم حاول التحرك ببطء بقدر ما تسمح به المساحة الداخلية للنعش. أخذ يضحك فى هدوء، ووجد متعة أن يتظاهر لنفسه - فى مرح - بأنه قد مات، وأن الناس يذرفون الدموع عليه، وأن الشموع توقد وتضيء ويصدر عنها دخان، والعالم توقف عن حركته ونشاطه، حزنًا على موته!

بدا على وجهه تعبير كئيب شاحب، وأغلق عينيه وكتم الضحك فى صدره وراء شفتيه المزمومتين المرتعشتين، وطوى يديه واستشعرهما متصلبتين وباردتين. وفجأة همس صوت من جدران النعش: "وويز.. ويش". ثم أغلق غطاء النعش عليه!

لو كان شخص ما، قد دخل الورشة فى هذه اللحظات ونظر إلى النعش من الخارج، لتخيل أن هناك رجلاً فقد عقله، حبس بداخله يضرب بعنف بيديه وقدميه ويثرثر بكلام غير مفهوم. ويصرخ من قلب النعش! ويمكن للمرء سماع حركات الترفيس والتململ، علاوة على ضربات مكتومة بقبضتى اليدين وكل أعضاء الجسم. وثمة صوت صرير وأنفاس متشنجة من رئتى شخص مرعوب. وهناك أيضًا أصوات مثل



FB@3abeth

خشخشة الأوراق وأخرى حادة وكأنها أصوات آلات موسيقية أنبوبية(٣) عديدة، ثم انطلقت صرخة واضحة، وبعدها ساد صمت ثقيل.

جثم (ريتشارد برالينج) مسترخيًا داخل النعش، وأرخى كل عضلاته تمامًا. وبدأ يضحك فى خفوت. ولم تكن رائحة الصندوق كريهة. ومن خلال فتحات التهوية الداخلية تمكن بسهولة من سحب هواء كاف جدًا لكى يعيش. كل المطلوب منه الآن، أن يدفع بيديه غطاء النعش برفق إلى أعلى - بدون كل هذا الترفيس والصراخ - لكى ينفتح. على المرء أن يحتفظ بهدوئه، ومن ثم ثنى ذراعيه. لكن الغطاء لم ينفتح، فقد كان مغلقًا تمامًا وبإحكام.

حسنًا، مازال الموقف، مأمونًا لا تكتنفه أية أخطار. إذ سوف يكون (روجرز) البتسانى، هنا بعد دقيقة أو دقيقتين. ليس هناك إذن ما يدعو إلى الخوف. وفى تلك اللحظات بدأ عزف الموسيقى. بدا أنها تأتى من مكان ما، فى مقدمة النعش. كانت موسيقى مفعمة بالحيوية، بطيئة الغاية، وكئيبة وتجسد الأقواس القوطية(٤) المحدبة والشموع السوداء الطويلة الرفيعة. كانت تفوح منها رائحة الأرض والهمسات. وكأن صداها يتردد عاليًا بين الجدران الحجرية. وبلغ من شدة حزن النغمات

(٣) مثل الفلوت والمزمار أو أحد أنابيب الأرغن. (المترجم).

(٤) الطراز المعمارى الذى ساد فى أوربا من القرن الثانى عشر حتى القرن الخامس عشر، ويتسم بالأقواس المستدقة والقناطر والنتوءات. (المترجم).



FB@3abeth

الموسيقية أن من يستمع إليها يكاد أن يبكي. كانت كالأنين، وتوحي بالنباتات Potted والنوافذ ذات الزجاج المشوب باللونين الأزرق والقرمزي. كان الوقت شفقًا قبيل غروب الشمس ورياح باردة تهب بقوة. ثم جاء الفجر والضباب الكثيف، ونفير التحذير من الضباب يعوي من بعيد.

: "(تشارلز)، (تشارلز)، (تشارلز)! أيها الأحمق العجوز! إذن هذا هو نعشك العجيب..". ضحك (ريتشارد) بقوة، حتى سالت الدموع من عينيه. وأردف قائلاً: "... لا أكثر من نعش يعزف لحنه الجنائزي الحزين بنفسه! ليت جدتي عاشت حتى ترى هذا الهراء!".

استرخى وأنصت باهتمام. فقد كانت الموسيقى جميلة، كما أنه لم يكن بوسعه عمل شيء آخر، سوى الانتظار حتى يأتي (روجرز) ويخرجه من النعش. تحركت عيناه بلا هدف، وأخذت أطراف أصابعه تدق إيقاعات قصيرة، على البطانة الحريرية الداخلية. وضع ساقًا على أخرى بهدوء. ومن خلال الغطاء الزجاجي، رأى ضوء الشمس يتدفق عبر النوافذ الفرنسية، وجسيمات التراب تتراقص خلاله. كان يومًا جميلاً صحواً.

وبدأت العظة..

وخفت موسيقى الأرغن، وانطلق صوت وديع قائلاً:

"نحن مجتمعون هنا الآن.. كل من أحب وكل من عرف المتوفى لكي نعبر عن تقديرنا واحترامنا له".



FB@3abeth

ابتهج (ريتشارد) وقال: "باركك الله يا (تشارلز). هذا صوتك بالتأكيد! يا إلهي، إنها جنازة آلية. موسيقى الأرغن وعظة جنائزية. لا شك أن (تشارلز) أعد هذه العظة لنفسه..

ثم استطرد الصوت الناعم قائلاً: "... نحن الذين عرفنا وأحببنا المتوفى، أصابنا الحزن الشديد لموت المرحوم..".

رفع (ريتشارد) جسمه منزعجًا وتساءل مرتاعًا: "ما كان هذا؟" إذ لم يصدق ما سمعه. وكرر لنفسه الكلمات التي تناهت إلى سمعه، كما قيلت تمامًا:

"نحن الذين عرفنا وأحببنا المتوفى، أصابنا الحزن الشديد لموت المرحوم (ريتشارد برالينج)". هذا ما قاله الصوت بالضبط.

قال الرجل المحبوس في النعش: "(ريتشارد برالينج)! ما معنى هذا؟ فأنا (ريتشارد برالينج) بلحمه ودمه!".

لابد أنها زلة لسان. مجرد زلة لسان لا أكثر. فقد قصد (تشارلز) أن يقول (تشارلز برالينج). نعم هذا مؤكد. لا شك في ذلك بالمرة. إنه أمر عادي جدًا ومحتمل حدوثه.

واستمر الصوت يقول: "كان (ريتشارد) رجلاً طيبًا وصالحًا. ولن نرى أفضل منه في زمننا".

"اسمي مرة أخرى! يا للعجب!".



FB@3abeth

بدأ (ريتشارد) يتحرك بصعوبة وبغير ارتياح داخل النعش وتساءل: لماذا لم يأت (روجرز)؟. ولكن ليس من المتصور أن يكون تكرار الاسم مرتين، ما هو إلا زلة لسان! (ريتشارد برالينج).. (ريتشارد برالينج)، نحن مجتمعون هنا.. سوف نفتقد.. نحن حزانى.. لن نرى أفضل منه في زمننا.. نحن مجتمعون هنا. المتوفى. (ريتشارد برالينج) (ريتشارد برالينج)!

إنها زهور! نحو سبعين زهرة حمراء وصفراء وزرقاء متألقة كأنما أشعة الشمس، قفزت من وراء النعش بتأثير نوابض خفية موجودة في مكان ما!

امتلأ النعش برائحة ذكية من زهور قُطفت حديثًا. وأخذت تلك الزهور تتراقص بنعومة أمام عينيه المشدوهتين وتدق بخفة على الغطاء الزجاجي للنعش. وتناثرت زهور أخرى على النعش، حتى أصبح مغطى تقريبًا بالزهور والروائح الذكية.. زهور الجردينيا والأضاليا والنرجس البرى، كلها تهتز وتومض.

"(روجرز)! أين أنت يا رجل؟ بربك تعال الآن".

استمرت العظة:

"كان (ريتشارد برالينج) أثناء حياته، خبيرًا في أشياء عظيمة وجيدة".



FB@3abeth

انخفضت الموسيقى فأصبحت كالأنين، ثم ارتفعت وعادت الانخفاض من جديد، وتباينت نغماتها.

"... (ريتشارد برالينج) تذوّق طعم الحياة، كما يتذوق الإنسان نبيذًا نادرًا، من كأس يرفعها إلى شفتيه فى متعة...".

اندفعت لوحة صغيرة فى جانب النعش من الداخل، وبرزت منها يد معدنية لامعة.. فى نهايتها إبرة حادة.. سرعان ما وخزت صدر (ريتشارد) لسافة سطحية. صرخ الرجل على الفور متألمًا. وحقنة الإبرة ذات سائل ملوّن قبل أن يتمكن من الإمساك بها. وعلى الفور تراجعت اليد المعدنية ودخلت فى فتحة خاصة ثم انغلقت اللوحة الصغيرة عليها.

"أين أنت يا (روجرز)؟ لماذا لم تحضر حتى الآن؟!".

شعر بخدر متزايد فى جسمه. وفجأة لم يعد قادرًا على تحريك أصابعه أو ذراعيه أو إدارة رأسه. وأصبحت ساقاه باردتين تكادان أن تكونا مشلولتين. قالت الصوت الرقيق: "كان (ريتشارد برالينج) يحب الأشياء الجميلة، مثل الزهور والموسيقى".

"(روجرز)! أتوسل إليك أن تحضر".

لكنه هذه المرة لم يصرخ. وإنما فكر فى الكلمات فحسب. فقد كان لسانه لا يتحرك فى فمه المخدّر!

انفتحت لوحة أخرى، وخرجت ملاقط معدنية تحملها ذراع فولاذية. وعلى الفور اخترقت معصمه الأيسر حقنة أخذت إبرتها الضخمة



FB@3abeth

فى سحب الدم من جسمه. وسمع صوت دوران مضخة صغيرة من مكان ما.

"... وسوف نفتقد (ريتشارد برالينج) بيننا..".

وأخذت آلة الأرغن تصدر نغمات حزينة تعبر عن الحسرة..

نظرت إليه الزهور من فوق النعش، وأخذت تحنى رؤوسها ذات التيلات، ثم ارتفعت ست شمعات سوداء رفيعة.. من فتحات خفية.. واستقرت وراء الزهور.. وهى تخفق وتتألق..

وبدأت مضخة أخرى فى الدوران. وبينما كان دمه يُصَرَّف من أحد جانبى جسمه، تم اختراق معصمه الأيمن وثبتت فيه إبرة، وبدأت المضخة الثانية فى ضخ غاز "الفورمالدهايد"(*) فى جسمه.

ضخ وتوقف. ضخ وتوقف. ضخ وتوقف. ضخ وتوقف.

ثم تحرك النعش.

ظهر محرك صغير وأخذ يهدر. وتمايلت وانجرفت الحجرة من كلا الجانبين. وأخذت عجلات دقيقة تدور. لم تكن ثمة حاجة إلى لوجود حَمَلَة للنعش. وتأرجحت الزهور بسبب التحرك البطىء للنعش على الساحة الخارجية.. تحت السماء الزرقاء الصافية.. ضخ وتوقف. ضخ وتوقف.

---

(*) Formaldehyde.



FB@3abeth

"... وسوف نفتقد (ريتشارد برالينج).."

وفي هذه اللحظات صدحت موسيقى جميلة ناعمة.

ضخ وتوقف.

وسمع صوت غناء: "آه.. وأخيراً لغز الحياة العذب".

"(برالينج)! خبير تذوق الخمور".

"أخيراً عرفت سر كل شيء..".

أخذ (ريتشارد) يحدق بعينين غائمتين وجاحظتين، في رقعة الورق الصغيرة: "نعش (برالينج) الاقتصادى".

"ضع الجثة فى النعش.. وسوف تبدأ الموسيقى".

تأرجحت شجرة أعلى رأسه. وانطلق النعش يجرى بهدوء فى الحديقة.. وراء بعض الشجيرات.. حاملاً معه الصوت والموسيقى!

".. والآن حان وقت مواراة جسد هذا الرجل فى التربة..".

وعلى الفور، انطلقت من جانبى النعش من الخارج، مجرفات[٦] صغيرة لامعة، سرعان ما بدأت الحفر فى الأرض. ثم شاهد المجرفات تقذف بالتراب إلى أعلى. واستقر النعش للحظات، وبعدها ارتطم بالأرض

(٦) أدوات حفر ذات مقابض سميكة وحافات ثقيلة مسطحة. (المترجم).



FB@3abeth

وتقدم بارتجاج. ثم استقر من جديد، واستمر الحفر. وتقدم بارتجاج ثم استقر. واستمر هذا لعدة دقائق.

نبضات وتوقف. نبضات وتوقف. ضخ وتوقف. نبضات وتوقف. ضخ وتوقف.

"... من التراب وإلى التراب تعود".

اهتزت وارتجت الزهور.. كان النعش قد هبط إلى عمق كبير في الأرض. وأخذت الموسيقى تعزف من جديد.

آخر شيء رآه (ريتشارد برالينج) كان ارتفاع مجارف الحفر لنعش (برالينج) الاقتصادى، ثم قيامها بردم الحفرة على النعش.

"(ريتشارد برالينج)، (ريتشارد برالينج)، (ريتشارد برالينج)، (ريتشارد برالينج)، ريتشارد برالينج)".

وتوقف التسجيل فجأة.

ولكن ما من أحد يهتم. وما من أحد يصغى!



FB@3abeth

# الزحــــام

وضع السيد (سبالنر) يديه فوق وجهه.. ولا يزال لديه إحساس بحدوث حركة فى الفضاء.. وصرخة مدوية.. وصدمة انقلاب السيارة بعد اصطدامها بجدار وطيرانها فى الهواء وسقوطها كإحدى لعب الأطفال.. ثم وهو يُقذف خارجها.. ثم سكون تام.

وبسرعة أقبل حشد غفير من الناس.. كان ممدداً على الأرض ولكنه سمعهم إلى حد ما وهم يركضون.. كان بمقدوره معرفة أعمارهم وأحجامهم من أصوات وقع أقدامهم الكثيرة جداً فوق العشب الطرى والرصيفين الجانبين وفوق أسفلت الطريق نفسه، ثم وهم يتدافعون وسط الطوب المحطم المتراكم، حيث يتعلق نصف سيارته فى اتجاه سماء تلك الليلة ونصفها الآخر على الأرض.. وما زالت عجلاتها تدور بقوة قصورها الذاتى بشكل لا معنى له!

لم يعرف بالمرة من أين أتى ذلك الحشد من الناس.. وجاهد لكى يظل واعياً، ثم أحدقت به الوجوه المتزاحمة من كل جانب.. وهم ينظرون إليه من أعلى كأوراق أشجار ضخمة ومتوهجة ومتدلية فوقه.. كانوا يشكلون دائرة علوية من الوجوه المتغيرة والمتنقلة.. وكلهم يحدقون فيه،



FB@3abeth

ويقرأون تاريخ حياته أو موته من وجهه.. مما جعل وجهه يشبه "ساعة قمرية"، حيث يُطلق القمر ظــلاً من أنفــه على وجنته حيث يحدد وقت تنفسه أو توقف تنفسه!.. وتساءل بينه وبين نفسه كيف يظهر هذا الزحام بسرعة مثل حدقة عين تنبثق من لا مكان وتحدق بتركيز في المرء!

فجأة دوت صفارة إنذار.. وسمع صوت رجل شرطة.. ثم شعر بحركة من حوله، ولم يلبث أن سالت من فمه بعض قطرات من الدم أثناء نقله إلى داخل سيارة إسعاف.. قال أحدهم: "هل هو ميت؟".. وأجابه آخر: "لا، ليس ميتا".. وقال ثالث: "إنه لن يموت، أقصد أنه سوف يعيش".. وفي الليل رأى أوجه المتزاحمين أمامه، وعرف من تعبيرات وجوههم أنه لن يموت!.. كان ذلك غريباً حقاً.

... رأى وجهاً شاحباً لرجل عليل هزيل لامع العينين يعض شفتيه باستمرار.. وأيضاً امرأة قصيرة شعرها أحمر وتضع الكثير من المساحيق الحمراء على وجنتيها وشفتيها.. وصبياً صغيراً وجهه مغطى بالنمش.. ووجوهاً أخرى كثيرة.. رجلاً عجوزاً شفته العليا متغضنة، وامرأة عجوزاً على ذقنها شامة.. لكن من أين أتوا جميعاً؟.. ربما من المنازل والسيارات والأزقة ومن كل العالم القريب الذي روعه الحادث.. نعم لابد أنهم خرجوا من الأزقة والفنادق والسيارات التي تجوب الشوارع.. وربما أتوا من لا مكان!

حدق فيه المتزاحمون وهو بدوره حدق فيهم لكنه لم يرتح لهم بالمرة.. كان هناك شيء ما خطأ أو غير مضبوط فيهم.. لكنه لم يستطع معرفة



FB@3abeth

هذا الشيء.. كانوا في الحقيقة أكثر سوءاً من حادث السيارة الذي وقع لتوه له.

انغلقت أبواب سيارة الإسعاف بقوة، ومن خلال النوافذ أمكنه رؤية المحتشدين وهم ينظرون إليه مراراً وتكراراً.. إنه ذلك الزحام الذي يأتي دائمًا مسرعًا جداً ويكوّن دائرة حولك، ويحدقون فيك باهتمام وبلاهة ويسألونك ويضايقونك وينتهكون خصوصية إنسان في محنة وعذاب بفضولهم السافر الغبي.

انطلقت سيارة الإسعاف وغاص في نقالته بينما وجوههم الغبية مازالت تحدق فيه حتى وعيناه مقفلتان!.. وأخذت عجلات السيارة تدور داخل عقله لأيام.. واحدة تدور، ثم أخرى.. وهكذا.. كلها تدور وتدور وتئز وتطن.

كان يعرف أن في ذلك خطأ ما.. نعم من المؤكد أن هناك خطأ ما في العجلات والحادث كله وركض الأقدام والفضول الشديد.. وسرعان ما اختلطت أوجه المتزاحمين وأخذت تدور مع العجلات بشكل مثير.

استيقظ من غيبوبته ورأى ضوء الشمس وعرف أنه بحجرة ما بمستشفى.. ورأى يداً تقيس نبضه.. وسأله الطبيب: "كيف حالك الآن يا صديقي؟".. وعلى الفور خمدت حركة العجلات ونظر السيد (سبالنر) وأجاب: "الحمد لله.. أظن ذلك".

حاول أن يجد كلمات تتعلق بالحادث وقال للطبيب: "دكتور؟".. فأجابه الطبيب: "نعم؟".



FB@3abeth

– "هذا الزحام.. هل كان فى الليلة الماضية؟".

– "لا، بل منذ يومين.. وأنت هنا منذ يوم الخميس.. وعمومًا أنت بخير وحالتك مطمئنة للغاية.. لقد تحسنت كثيراً.. لكن لا تحاول أن تنهض من سريرك الآن".

– "ولكن هذا الزحام.. وتلك العجلات أيضًا.. هل الحوادث يا دكتور تجعل الناس يغيبون عن الوعى هكذا؟".

– "لفترة مؤقتة أحيانًا".

قبع محدقًا فى الطبيب لوهلة ثم سأله: "هل يمكن أن يؤثر الحادث على إحساس المرء بمرور الزمن؟".

– "نعم، فالخوف ربما يفعل ذلك".

– "هل يمكن مثلاً أن يجعل الدقيقة تبدو لك ساعة أو الساعة تبدو لك دقيقة؟".

– "نعم".

تحسس السرير أسفل منه وشعر بضوء الشمس على وجهه وقال: "إذن دعنى أقل لك ما حدث يا دكتور، رغم أنك ستظننى مخبولاً.. كنت أقود السيارة بسرعة كبيرة جداً، وأنا آسف لذلك فعلاً.. وفجأة صعدت على الرصيف واصطدمت بذلك الجدار، وأنا أعرف أننى أصبت ودب التنميل فى جسمى، لكننى مازلت أتذكر الأشياء.. وخصوصاً الزحام".



FB@3abeth

استراح هنيهة ثم قرر أن يستمر بعد أن عرف فجأة ما الذى يضايقه: "الزحام احتشد هناك بسرعة خارقة.. فبعد ثلاثين ثانية من الاصطدام كانوا كلهم واقفين فوقى ويحدقون فىَّ.. وليس من الطبيعى أن يتحركوا بمثل هذه السرعة وخصوصًا فى مثل ذلك الوقت المتأخر من الليل..".

قال الطبيب: "أنت تعتقد أنها كانت ثلاثين ثانية.. والحقيقة أنها كانت فترة تتراوح من ثلاث إلى أربع دقائق.. ذلك أن حواسك...".

– "نعم، أعرف ذلك.. حواسى تأثرت بسبب الحادث.. لكننى كنت محتفظًا بوعيى!.. وأنا أتذكر شيئًا واحدًا يجمع كل هذه الأشياء مع بعضها البعض ويجعلها شيئًا ممتعًا.. شيئًا ممتعًا للغاية.. هذا الشىء هو أن عجلات سيارتى انقلبت رأسًا على عقب.. وكانت تلك العجلات مازالت تدور عندما احتشد ذلك الزحام حولى هناك!".

ابتسم الطبيب.. فيما واصل المريض الذى يرقد فوق السرير حديثه:

– "أنا متأكد من ذلك.. العجلات كانت تدور بسرعة – العجلتان الأماميتان!.. والطبيعى أن العجلات لا تدور لمدة طويلة جدًا لأن الاحتكاك يمنع ذلك.. أما تلك العجلات فكانت تدور بسرعة لمدة طويلة!".

قال الطبيب: "لكنك كنت مضطرب التفكير".



FB@3abeth

- "لم أكن مضطربًا.. وكان الطريق خاليًا ولا يوجد مخلوق يمكن رؤيته.. وفجأة وقع الحادث وأخذت العجلات تلف وبسرعة ظهرت كل تلك الوجوه فوقى فى لا زمن.. ومن الطريقة التى نظروا بها إلىّ أدركت أننى لن أموت!...".

قال الطبيب وهو ينصرف خارجًا إلى ضوء الشمس: "لا عليك.. إنها مجرد صدمة بسيطة".

بعد أسبوعين خرج من المستشفى واستقل سيارة أجرة إلى منزله.. وأقبل الناس إلى زيارته طوال فترة الأسبوعين اللذين قضاهما على ظهره، وقال لهم جميعًا قصته مع الحادث والعجلات الدائرة والزحام.. وضحكوا جميعهم معه بشأن هذا الموضوع ثم تجاوزوه إلى غيره.

مال إلى الأمام ودق على نافذة سيارة الأجرة وقال: "ما الذى يحدث؟".

نظر سائق سيارة الأجرة إليه وقال: "آسف يا سيدى.. هذه البلدة اللعينة يصعب قيادة سيارة بها.. هناك حادثة أمامنا.. هل تريد منى أن أتخذ مسارًا آخر لتجنبها؟".

- "نعم.. لا، لا!.. انتظر، استمر فى طريقك.. ولكن دعنا نلق نظرة على ما يحدث".



FB@3abeth

انطلقت السيارة فى طريقها وهى تنعق[1] لإخلاء طريقها.. وقال السائق: "تبًا! يا له من شيء لعين مضحك.. هيبى، أنت!.. ابعد سيارتك الصغيرة التي تشبه مصيدة فئران عن طريقي!.. ويالسخرية القدر.. فما أكثر حماقة أولئك الناس الفضوليين التافهين".

نظر السيد (سبالنر) إلى أسفل ورأى أصابعه ترتجف على ركبتيه وقال: "هل لاحظت أنت ذلك أيضًا؟".

قال السائق: "طبعًا.. طوال الوقت.. فدائمًا هناك زحام.. ويمكنك أن تعتقد أن أم كل منهم قد قتلت!

قال الرجل الجالس فى مؤخرة سيارة الأجرة : "إنهم يأتون مسرعين للغاية".

– "نفس ما يحدث عند نشوب حريق أو حدوث انفجار.. لا يكون أحد فى الجوار ومع ذلك يحتشد الناس فى الحال.. لا أفهم ذلك حقًّا".

– "هل سبق لك أن رأيت حادثًا فى الليل؟".

أومأ السائق برأسه وأجاب: "بالتأكيد.. ولكن هذا لا يعنى أى شيء.. فالناس يتجمعون دائمًا مهما كان السبب".

ثم ظهرت الضحية للعيان.. جسم شخص ما كان ممددًا على الرصيف.. وأنت بمقدورك أن تعرف أن هناك ضحية ما حتى لو لم

(١) يجعل بوق السيارة يصدر صوتًا كالأوزة البرية. (المترجم).



FB@3abeth

تتمكن من رؤيتها .. ذلك بسبب الزحام.. وكان الزحام هنا معطياً ظهره له وهو جالس فى المقعد الخلفى من سيارة الأجرة.. ففتح نافذة سيارة الأجرة وكاد أن يصرخ فيهم.. لكن لم تتوفر له الأعصاب اللازمة لذلك.. فلو صاح لاستداروا ناحيته.. وكان خائفاً من رؤية وجوههم.

قال عندما وصل إلى مكتبه: "يبدو أننى مولع بالحوادث!"، وكان الوقت عصراً وصديقه يجلس بجوار المكتب أمامه مصغياً إليه.. وأردف: "عندما خرجت من المستشفى هذا الصباح كان أول شيء فعلناه ونحن فى طريقنا إلى المنزل أننا التففنا حول أحد ضحايا الحوادث".

قال مورجان: "إن الأشياء فى الحياة تحدث فى حلقات أو دورات متتالية يا عزيزى".

– "لكن دعنى أولاً أقص عليك حكايتى بالكامل".

– "لقد سمعتها بالفعل.. سمعتها كلها".

– "إذن عليك أن تعترف بأنها مسلية للغاية".

– "نعم أعترف بذلك.. ما رأيك الآن فى تناول شراب بهذه المناسبة؟".

تحدث الرجلان لمدة نصف ساعة أو أكثر، وطوال هذا الحديث كانت هناك فى دماغ (سبالنر) ساعة صغيرة تتك[٢].. وهى ساعة

---

(٢) تصدر صوتاً خفيضاً وحاداً وبشكل متكرر. (المترجم).



FB@3abeth

لا تحتاج أبداً لأية تعبئة.. إنها مخــزن ذاكرة بعض الأشياء الصغيرة.. مثلاً العجلات والوجوه!

وعند حوالى الخامسة والنصف علا صوت معدنى ثقيل فى الشارع.. حنى (مورجان) رأسه ونظر إلى أسفل.. وغمغم قائلاً: "ماذا كنت أقول لك؟.. إنها حلقات ودورات.. شاحنة اصطدمت بسيارة كاديلاك صفراء فاتحة اللون.. نعم، نعم".

سار (سبالنر) حتى النافذة، وعندما وقف هناك شعر ببرد شديد فى جسمه.. ونظر فى ساعته إلى مؤشر الدقائق الصغير.. ٥، ٤، ٣، ٢، ١ ثوان - ١٨، ١٧، ١٦، ١٥ ثانيـــة - مــزيد من الناس ومـــزيد من السيارات ومزيد من الأبواق تنعق.

وعلى الرغم من أن الحادث كان بعيداً، فإن (سبالنر) اعتبره انفجاراً عكسيًا، بمعنى أن نواتج التفجير تم شفطها إلى نفس نقطة الانفجار - ١٩، ٢٠، ٢١ ثانية ومازال الزحام هناك.. أومأ (سبالنر) إليهم بأسفل لكن دون أن تصدر منه كلمة واحدة.. والغريب أن الزحام ظهر هناك بسرعة خارقة.. وفى لحظة واحدة رأى جسد امرأة قبل أن يختفى وسط الزحام الهائل.

قال (مورجان): "إنك تبدو فى حالة مزرية.. تعال هنا وأكمل شرابك".

- "إننى بخـير.. إننى بخـيـر.. دعنى وشأنى.. أنا بخـير حقًا.. هل يمكنك أن ترى أولئك الناس؟.. هل تستطيع أن ترى أحدهم جيداً؟.. أتمنى لو كنا قادرين على رؤيتهم عن قرب".



FB@3abeth

صاح (مورجان) بشدة: "إلى أين أنت ذاهب بحق الجحيم؟".

كان (سبالنر) قد خرج بالفعل من الباب و(مورجان) في إثره ونزلا على السلالم بسرعة غير عادية.. وصاح (سبالنر): "تعال يا رجل، هيا أسرع".

- "على رسلك يا رجل.. إنك مازلت متعبًا وصحتك ليست على ما يرام".

سارا في الشارع وشق (سبالنر) طريقه بقوة متجهًا إلى الأمام.. ظن أنه رأى امرأة شعرها أحمر وعلى شفتيها ووجنتيها الكثير جدًا من المساحيق الحمراء.

صاح: "هناك!".. ثم استدار في حالة من الهياج إلى (مورجان) وأردف: "هل رأيتها؟".

- "اللعنة، لقد اختفت.. لقد ابتلعها الزحام!".

وجد الزحام أمامه في كل مكان.. المتزاحمون يتنفسون وينظرون في بلاهة ويمشون متثاقلين ويتداخلون في بعضهم البعض ويغمغمون بكلام غير مفهوم ويسدون الطريق أمامه كلما حاول أن يشق طريقه.. لا شك أن المرأة حمراء الشعر رأته قادمًا ومن ثم لاذت بالفرار!

ثم رأى وجهًا آخر مألوفًا له!.. صبي صغير وجهه ممتلئ بالنمش.. لكن بالطبع هناك الكثير من الأولاد المصابين بالنمش في العالم..



FB@3abeth

على أية حال لم يكن هناك فائدة من ذلك لأنه عندما لحق به (سبالنر) جرى الصبي واختفى وسط الزحام الكثيف.

قال شخص ما: "هل ماتت؟".. فأجاب شخص آخر: "إنها تحتضر.. سوف تموت قبل وصول عربة الإسعاف.. كان يجب ألا يحركها أحد.. كان يجب ألا تتحرك".

كل الوجوه في الزحام - سواء المألوف منها أو غير المألوف له - ينحني وينظر إلى أسفل بشكل روتيني.

- "أنت يا سيد.. لا تدفعني هكذا.. هلا توقفت!".

- "مَن هذا الذي يدفعني بغباء هكذا؟".

تراجع (سبالنر) خارجًا من وسط الزحام، وفي الحال أمسك (مورجان) بتلابيبه قبل أن يسقط على الأرض وصاح فيه: "أيها الأحمق الغبي.. أنت مازلت مريضاً.. ما الذي أنزلك إلى هنا بحق الجحيم".

- "لا أعرف، حقيقة لا أعرف.. لقد حركوها يا (مورجان).. شخص ما زحزحها من مكانها.. وعلى المرء ألا يحرك أبداً مصاباً في حادث سيارة، لأن ذلك سوف يقضي عليه.. نعم سوف يقضي عليه تماماً".

- "نعم للأسف.. هكذا يفعل الناس دائماً.. يالهم من أغبياء".

جمّع (سبالنر) قصاصات الجرائد بعناية بجوار بعضها البعض.. ونظر (مورجان) إليها وقال: "ما الذي تهدف إليه يا رجل من كل هذا؟"..



FB@3abeth

فمنذ الحادث الذى تعرضت له وأنت تعتقد أن كل حادث سيارة هو جزء منك.. وما هذا الذى أمامك؟".

- "قصاصات وصور لحوادث وضحايا السيارات.. انظر إليها.. لا، ليس للسيارات وإنما للزحام الذى يحيط بالسيارات.. مثلاً هنا، قارن هذه الصورة لحادث منطقة (ويلشاير) بتلك لحادث منطقة (وستوود).. لن ترى أى تشابه بينهما، حسناً جداً.. ولكن خذ الآن صورة (وستوود) هذه وقارنها بتلك لـ (وستوود) أيضاً ولكن التى التقطت منذ عشر سنوات.. انظر جيداً إلى هذه المرأة.. إنها هى نفسها فى كلتا الصورتين!".

- "مجرد صدفة.. والذى حدث أن تلك المرأة كانت موجودة مرتين الأولى فى عام ١٩٣٩ والثانية فى عام ١٩٤٩.. هذا كل ما فى الأمر".

- لو حدثت الصدفة مرة واحدة فلا شىء فى ذلك.. ولكن أن تحدث اثنتى عشرة مرة فى غضون عشر سنوات ولحوادث يفصل بين كل واحدة منها والأخرى خمسة كيلو مترات تقريباً، فهذا غير طبيعى بالمرة".

ثم أظهر اثنتى عشرة صورة وأضاف: "إنها موجودة فى كل تلك الصور!".

- "لعلها امرأة منحرفة جنسياً، وتبحث عن ضالتها فى كل مكان".

- "لا، إن الأمر أكبر من ذلك بكثير.. فكيف يتصادف أن تظهر هناك بمثل تلك السرعة بعد كل حادث منها؟.. ولماذا ترتدى نفس الملابس التى فى الصور التى يفصل بينها عشر سنوات كاملة؟".



FB@3abeth

– "لتحل علىّ اللعنة لو قلت إننى أعرف إجابة تلك الأسئلة".

– "وأخيراً.. لماذا كانت تقف بجانبى ليلة الحادث الذى وقع لى منذ أسبوعين؟".

تناول الرجلان بعض الشراب، ثم أخذ (مورجان) يتفحص ويدرس بعض الملفات.. وسأل صديقه: "قل لى بربك هل أجرت مكتباً لجمع قصاصات الصور بينما كنت قابعاً فى المستشفى لكى يراجع كل الجرائد والمجلات من أجلك؟.. وأومأ (سبالنر) برأسه بالإيجاب.

رشف (مورجان) شرابه، وكان الليل وقتئذ قد أسدل أستاره وأضاءت المصابيح التى توجد فى الشارع أسفل المكتب.. ثم سأل (مورجان) (سبالنر): "والآن ما معنى هذا كله؟".

أجاب (سبالنر): "لا أعرف بالضبط.. فيما عدا أن هناك قانونا عاما للحوادث.. هو حدوث الزحام.. فالناس دائمًا يتزاحمون.. والناس يتساءلون دائمًا – مثلى ومثلك – عامًا وراء آخر لماذا يتجمعون بسرعة هكذا وكيف يحدث لهم ذلك.. وأنا الآن أعرف الإجابة وها هى ذى".

فرد القصاصات على المكتب وأضاف: "إن ذلك يخيفنى".

– "هؤلاء الناس ربما لا يكونون باحثين عن الإثارة أو شاذين جنسيًا.. وإنما قد يكونون مرضى نفسيين ولديهم ولع بالدم والحوادث؟".

هز (سبالنر) كتفيه وقال: "وهل يفسر ذلك تواجدهم فى كل الحوادث؟.. لاحظ أنهم يتمسكون بمناطق معينة.. فمثلاً حادثة فى (برنتوود)



FB@3abeth

سوف تظهر لك جماعة معينة وحادثة أخرى في "حديقة هنتينجتون" سوف تظهر لك جماعة أخرى.. ولكن هناك قاعدة عامة في الوجوه.. إذ تظهر نسبة مئوية معينة منها في كل الحوادث!".

قال (مورجان): "لكن الوجوه كلها ليست هي نفسها.. أليس كذلك؟".

- "بالطبع لا.. فالحوادث تجتذب الناس العاديين أيضًا بمرور الوقت.. ولكنني أعتقد أن هؤلاء هم الأول وصولاً إلى هناك".

- "عجبًا.. من هم هؤلاء؟.. وماذا يريدون؟.. إنك تلمح دائمًا ولا تقول شيئًا محدداً.. يا إله السماوات، لابد أن لديك يا رجل فكرة ما.. لقد أخفت نفسك أولاً وها أنت ذا تخفيني أيضًا وتجعلني ألهث وراء المجهول!".

- "لقد حاولت الوصول إليهم والكشف عن هويتهم ولكن دائمًا ثمة شخص ما يعترض طريقي.. أي أنني أصل متأخراً دائمًا.. ثم هم يدخلون وسط الزحام ويختفون تمامًا.. يبدو لي أن الزحام يوفر حماية كافية لبعض أفراده.. إنهم يرونني وأنا قادم إليهم!".

- "إذن معنى هذا أنهم عصابة متعاونة جداً مع بعضها البعض".

- "ثمة شيء واحد مشترك بينهم كلهم.. إنهم يظهرون دائمًا معًا.. في أي مكان تنشب فيه النار أو يحدث فيه انفجار أو تشن فيه حرب أو تتتابع فيه مشاهد ذلك الشيء المسمى الموت.. لنقل إنهم نسور أو ضباع



FB@3abeth

أو قديسيون.. لا أعرف بالضبط منهم.. ولكننى سوف أذهب إلى الشرطة هذا المساء وأخبرهم بما أعرفه.. لقد استمر هذا الأمر طويلاً جداً ولابد أن ينتهى.. أحدهم زحزح جسد المرأة اليوم.. وكان يجب ألا يلمسوها.. لقد قتلوها.. نعم.. لقد قتلوها!".

وضع قصاصاته فى حقيبة يده ونهض (مورجان) وارتدى معطفه.. أغلق (سبالنر) حقيبته.. ثم قال: "لقد بدأت أفكر لتوى فى...".. فقال (مورجان): "فى ماذا؟".

- "لعلهم كانوا يريدون قتلها عمداً!".

صاح (مورجان): "ماذا؟".. فقال (سبالنر): "من يدرى.. تعال معى".

- "لا، أنا آسف.. لقد تأخر الوقت.. أراك غداً إن شاء الله.. حظ سعيد".

خرج الرجلان معًا وقال (مورجان) لصديقه: "أبلغ تحياتى لرجال الشرطة.. ولكن هل تظن حقيقة أنهم سيصدقونك؟".

- "أوه.. أنا متأكد من أنهم سيصدقوننى.. عمت مساء".

قاد (سبالنر) سيارته ببطء فى منطقة وسط المدينة.. وقال لنفسه: "إننى أريد أن أذهب إلى هناك حياً".

وفجأة تعرض لحادث، لكنه لم يندهش تمامًا، عندما انحرفت شاحنة من خط سيرها واتجهت مباشرة نحوه.. وكان يهنئ نفسه لتوه



FB@3abeth

على قـوة مـلاحظتـه ويُجـهـز فـى ذهنه الكلام الذى سـوف يقـوله لرجـال الشرطة عندما اصطدمت به الشاحنة مباشرة.

لم تكن فى الحقيقة سيارته، وكان ذلك الشىء المُحبط فى الموضوع.. وبينمـا كـان مشـغـول البـال وجد نفسـه يندفع إلى هنا وهنـاك وآسـف لأن (مورجان) أقرضه سيارة لبضعة أيام حتى يتم إصلاح سيارته.. وها هو ذا مـا حـدث يتكرر له.. وفى لحظة انقض حـاجـز الريح على وجهه.. ووجد نفسه يتأرجح إلى الأمام شاعراً ببعض الهزات الخفيفة.. ثم توقفت كل الحركات والضوضاء ولم يعد يشعر إلا بالألم فى جميع أجزاء جسمه.

سمع وقع أقدامهم وهم يجرون ويجرون ويجرون.. وتحسس بيديه باب السيارة.. طقطقت السيارة ووقع هو خارجها على الرصيف مصاباً بدوار وأذنه على الأسفلت ينصت إليهم وهم قادمون.

كان الأمر يشبه عاصفة مطيرة شديدة ذات نقط مطر كثيرة ثقيلة ومتوسطة وخفيفة تلمس الأرض.. انتظر بضع ثوان وأنصت إلى قدومهم ووصولهم.. ثم رفع رأسه بضعف وترقب إلى أعلى ونظر.

كان الزحام هناك!

كـان بمقدوره شم أنفاسـهم.. والروائح المختلطة لكثـير من الناس الذين يسحبون ويسحبون الهواء الذى يحتاج إليه المرء ليحيا.. وسرعان ما احتشدوا وتدافعوا وأخذوا يسحبون الهواء المحيط الذى يحتاج إليه



FB@3abeth

بنفسه اللاهث حتى حاول أن يطلب منهم التراجع عندما كادوا أن يسحبوا كل الهواء المحيط به.

كان رأسه ينزف بغزارة.. وحاول أن يتحرك وعندها أدرك أن هناك عطبًا ما في عموده الفقرى.. إنه لم يشعر بالكثير وقت الصدمة إلا أن عموده الفقرى قد أصيب.. ومن ثم لم يجرؤ على الحركة.

لم يستطع الكلام، وفتح فمه ولكن لم يخرج منه سوى همهمات غامضة.

قال أحدهم: "فليساعدنى أحدكم.. سوف نجره ونرفعه إلى مكان مريح أكثر من هنا".

انفجر دماغ (سبالنر) وصرخ: "لا، لا تحركونى!".

قال الصوت نفسه مرة ثانية: "لا تلتفتوا إلى هذا الأحمق!.. سوف نحركه".

- "أيها الأغبياء.. إنكم سوف تقتلوننى.. ألا تفهمون؟!".

لكنه لم يستطع أن يتفوه بأى من تلك الكلمات.. إذ لم يكن بمقدوره أكثر من أن يفكر فيها!

أمسكت به الأيدى من كل جانب وبدأوا يرفعونه.. صرخ ولكن انتابته حالة من الغثيان خنقت صوته.. وفردوا جسمه بالكامل حتى أصبح فى شدة الألم والعذاب.. فعل ذلك رجلان منهم.. أحدهما شاب رفيع الجسم شاحب الوجه يقظ والآخر رجل عجوز شفته العليا متغضنة.



FB@3abeth

لقد رأى هذين الوجهين من قبل. وقال صوت مألوف له "هل هو ميت؟"؛ فأجابه صوت آخر مألوف أيضًا: "لا، لم يمت بعد.. ولكنه سوف يموت قبل أن تصل سيارة الإسعاف".

إنها مؤامرة مجنونة حمقاء.. مثل أى حادث.. وصرخ بشكل هستيرى وهو يصطدم بجدار الوجوه الصلب من حوله.. كانوا كلهم يحيطون به.. هؤلاء القضاة والمحلفون الذين رأى وجوههم من قبل.. وتمكن من عد وجوههم رغم آلامه الشديدة: الصبى ذو النمش فى وجهه.. الرجل العجوز ذو الشفة العليا المتغضنة.. المرأة حمراء الشعر متوردة الوجنتين.. المرأة العجوز ذات الشامة على ذقنها.

وقال فى نفسه: "أعرف لماذا أنتم هنا".. إنكم هنا مثلما أنكم موجودون فى كل الحوادث.. وذلك لكى تتأكدوا من حياة من تريدونهم أحياء وموت من تريدونهم أمواتًا.. ولهذا السبب رفعتمونى.. لقد عرفتم أن ذلك سوف يقتلنى.. أى أنكم كنتم تعرفون أننى سوف أعيش لو لم ترفعونى".

وكان هذا هو ما يحدث منذ زمن طويل جدًا.. منذ بدأت ظاهرة الزحام.. إنكم بهذه الطريقة تقتلون بسهولة أكثر.. ودفاعكم عن أنفسكم بسيط جدًا.. هو أنكم لم تكونوا تعرفون مدى خطورة تحريك شخص مصاب.. وأنكم لم تقصدوا إيذاءه!

نظر إليهم وهم شاخصون فوقه.. كرجل فضولى فى أعماق المياه ينظر إلى الناس الواقفين على الجسر العلوى.. وتساءل من أنتم؟ من أين جئتم وكيف وصلتم إلى هنا بهذه السرعة؟.. إنكم دائمًا الزحام



FB@3abeth

الوجـود فى كل مكان الذى يسـتنفـد الهـواء النقى الذى تكون رئتـا الشخص المحتضر فى أشد الحاجة إليه.. وتملأون الفراغ الذى يجب أن يتمدد فيـه لكى يرتاح بمفرده.. هؤلاء أنتم يا من تتوسـون على الناس لتتأكدوا من موتهم.. إننى أعرفكم جميعًا أيها السفلة.

كان ذلك أشبه بمناجاة مهذبة مع النفس.. لذلك لم يقولوا شيئًا.. كل تلك الوجوه: الرجل العجوز والمرأة حمراء الشعر والباقون لم يقولوا شيئًا قط.. لكن أحدهم التقط حقيبة الأوراق وقال: "حقيبة من هذه؟".

- "أيها اللصوص الكلاب.. إنها حقيبتى.. وهذا دليل ضدكم جميعًا".

تركزت العيون عليه.. عيون لامعة تحت شعر كث أو قبعات كبيرة.. وجوه كثيرة.. وفجأة من مكان ما دوت صفارة إنذار.. كانت سيارة الإسعاف فى طريقها إلى هنا.. لكن عندما نظر (سبالنر) إلى الوجوه وتعبيراتها والناس وحالهم أدرك أن الوقت تأخر كثيرًا.. نعم، قرأ ذلك فى وجوههم.. كانوا يعرفون.

حـاول أن يتكلم.. لكن مـا نطق به كـان قليـلاً جـدًا: "يبدو أننى.. سوف أنضم.. إليكم.. أعـتـقـد أننى.. سـوف أكـون.. عـضـوًا منكم.. فردًا فى.. جماعتكم.. الآن".

أقفل عينيه فى هدوء وانتظر وصـول المحقق فى أسباب الوفيات المشتبه بها.



FB@3abeth

# المنجـــل

على نحو مفاجئ غير متوقع، لم تعد هناك تكملة للطريق. كان الطريق منحدراً عبر الوادى، وهو مثل أى طريق آخر فى هذه المنطقة يمر بين منحدرات من الأراضى القاحلة، والحجرية وأشجار البلوط الحى[١] ثم يمتد إلى ما بعد حقل عريض مزروع بالقمح، يقف وحيداً فى البرية. ويصعد الطريق، بجانب منزل صغير أبيض ينتمى إلى حقل القمح، ثم يتلاشى وكأنما لم تعد هناك حاجة إليه.

ولم يهتم (درو إريكسون) بهذا الأمر كثيراً، لأنه فى هذا المكان نفد البنزين فى سيارته. ضغط على فرامل السيارة العتيقة فتوقفت، وبقى جالسًا داخلها، صامتًا، يحدق فى يديه الضخمتين الخشنتين، اللتين تنبئان على أنه مزارع.

تحدثت (مولى) دون أن تتحرك من مكانها، حيث كانت تقبع فى ركن السيارة بجانبه "لابد أننا اتخذنا مفرق الطريق الخاطئ".

(١) أشجار دائمة الخضرة تنمو فى جنوب شرق الولايات المتحدة. (المترجم).



FB@3abeth

أومأ (درو) برأسه.

كانت شفتا (موللى) تكادان أن تكونا بيضاوين مثل لون بشرة وجهها. إلا أنهما كانتا جافتين، بينما جلدها كان رطبًا بتأثير العرق المتصبب وكان صوتها أجوف لا ينم عن أية مشاعر.

قالت "(درو)! (درو)، ما الذى سوف نفعله الآن"؟

حدق (درو) فى يديه من جديد، يدى مزارع، أصبحت جافة بسبب العمل فى الحقل، وبتأثير الريح الجائعة التى لم تجد قط تربة خصبة لتشبع نهمها.

استيقظ ابنه وابنته، حيث كانا راقدين فى المقعد الخلفى للسيارة، وأظهرا نفسيهما من بين الحاجيات والأغطية المبعثرة والمتربة ثم رفعا رأسيهما من فوق المقعد الخلفى وقالا "أبى! لماذا توقفنا؟ هل سوف نأكل الآن يا أبى؟ إننا نتضور جوعًا يا أبى، أيمكننا أن نأكل الآن"؟

أغلق (درو) عينيه. شعر بكراهية لمنظر يديه.

لمست أصابع (موللى) معصمه. برقة ونعومة بالغتين، وقالت "(درو)، ربما فى هذا المنزل، تجد شيئًا نأكله".

ظهرت تجعيدة بيضاء حول فمه وقال بخشونة: "الاستجداء.. لم يستجد أحد منا من قبل قط.. ولن يفعل ذلك أحد منا أبدًا فى يوم من الأيام".



FB@3abeth

شددت (مولى) من قبضتها على معصمه.. واستدار ورأى عينيها ورأى عينى (سوزى) و(درو) الصغير ينظران إليه.. وببطء تبدد التشنج من عنقه وظهره.. وترهل وجهه وشحب لونه كما لو أنه تعرض لضرب مبرح لمدة طويلة! خرج من السيارة ثم سار صاعداً فى الممر إلى المنزل.. كان يسير مترنحاً كرجل مريض أو شبه أعمى.

كان باب المنزل مفتوحاً.. وطرق (درو) الباب ثلاث مرات.. لم يكن هناك بالداخل شىء سوى السكون التام.. وستارة بيضاء لإحدى النوافذ يزيحها الهواء الساخن، وكان يعرف ذلك قبل أن يدخل.. كان يعرف أن هناك ميتاً بالمنزل.. وينبئ عنه هذا الصمت التام.

سار فى غرفة معيشة صغيرة نظيفة ثم دلف منها إلى داخل صالة صغيرة.. لم يكن يفكر فى أى شىء.. لقد تعدى مرحلة التفكير.. كان متجهاً إلى المطبخ بدون أى تردد كحيوان.. ثم نظر من خلال باب مفتوح ورأى الرجل الميت أمامه.

كان رجلاً عجوزاً ممدداً على سرير أبيض نظيف.. ولم يكن ميتاً منذ وقت طويل، ولكنه يكفى لفقد آخر نظرة تنم عن هدوء النفس.. لابد أنه كان يعرف أنه سوف يموت، لأنه كان يرتدى ملابس القبر "الكفن".. رداء أسود قديم نظيف وأنيق، وقميص أبيض نظيف ورباط عنق أسود..

كان هناك منجل يستند إلى الجدار بجوار السرير.. وبين يدى الرجل العجوز كانت هناك سنبلة قمح لاتزال نضرة.. سنبلة قمح ولها شرابة كبيرة ذهبية اللون.



FB@3abeth

دخل (درو) غرفة النوم وتحرك فيها ببطء.. كان يشعر ببرودة غريبة تسرى فى بدنه.. وخلع قبعته المتشققة المتربة ووقف بجوار السرير وهو ينظر إلى أسفل.

كانت الورقة موضوعة على الوسادة بجوار رأس الرجل العجوز.. كان واضحاً أن المطلوب من أى إنسان قراءتها.. لعلها طلب لدفن الجثة أو استدعاء أحد الأقارب.. وتناول (درو) الورقة وقرأها وهو عابس الوجه وتحركت شفتاه الجافتان والشاحبتان لتقرأ الكلمات:

"إلى من يقف بجوارى وأنا على سرير الموت:

أقر أنا (جون بوهر) وأنا فى كامل قواى العقلية بعد أن عشت وحيداً فى هذه الدنيا، وهذا قدرى، بأن أهب وأورث هذه المزرعة وجميع توابعها وملحقاتها للرجل الذى سيأتى إلى هنا.. ومهما كان اسمه أو أصله فلن يغير ذلك من الأمر شيئًا.. سوف يمتلك هذه المزرعة وقمحها والمنجل والمهام المقدرة له هنا.. وسوف يحصل على كل ذلك مجانًا وبدون أى سؤال - ولكن ليتذكر أننى أنا (جون بوهر) الواهب ولست من قدر وحكم بذلك.. وقد كتبت ذلك بيدى وختمته بخاتمى فى هذا اليوم الثالث من شهر أبريل عام ١٩٣٨".

(توقيع): (جون بوهر) (كرياليصون)[٢].

---

(٢) معناها "يارب ارحمنا" (نصرانيات). (المترجم).



FB@3abeth

سار (درو) خلال غرف المنزل وفتح الباب السلكى.. ونادى: "(مولى) تعالى إلى هنا.. وأنتم يا أولاد ابقوا فى السيارة".

أقبلت (مولى) إلى الداخل.. قادها إلى غرفة النوم.. ونظرت إلى الوصية والمنجل ورأت خارج النافذة حقل القمح وهو يتحرك إثر اندفاع الهواء الساخن عليه.. اشتد وجهها شحوباً وعضت على شفتيها والتصقت بزوجها وغمغمت: "إن هذا أروع من أن يكون حقيقة.. لابد أن فى الأمر خدعة ما".

قال (درو): "إن حظنا تغير، هذا كل ما فى الأمر.. سوف نجد هنا عملاً نؤديه وطعاماً نأكله وسقفاً فوق رؤوسنا يقينا من المطر".. ولمس المنجل ووجده يلمع كهلال القمر.. وكانت هناك بعض الكلمات محفورة على نصله تقرأ هكذا: "من يستخدمنى بمهارة سوف يسيطر على العالم!".. ولم يعن ذلك الكثير له فى تلك اللحظة بالتحديد.

سألته (مولى) وهى تحدق فى يد الرجل العجوز القابضتين بقوة: "لماذا.. لماذا يقبض بقوة على سنبلة القمح هذه بأصابعه؟!".

وفى تلك اللحظة تبدد الصمت بصوت جلبة الأولاد وهم يتدافعون أمام المدخل الأمامى المسقوف للمنزل.. وشهقت (مولى) فى دهشة من المفاجأة!!

عاشوا كلهم فى المنزل، ودفنا العجوز على أحد التلال القريبة وتمتما بعض الكلمات على روحه.. ثم عادا وكنسا المنزل وأفرغا حمولة



FB@3abeth

السيارة وجهزا شيئًا ليأكلوه جميعهم، بعد أن وجـدا طعـامًا كثـيرًا فى المطبخ.

لم يفعلوا شيئًا طوال ثلاثة أيام سوى ترتيب وإصلاح المنزل والتعرف على الأرض والنوم فى سـرر وثيـرة.. ثم ينظرون إلى بعضـهم بعضًـا بدهشـة من جراء حـدوث كل ذلك لهم بهـذه الطريقـة.. وكـانت بطونهم ممتلئة بل هناك أيضًا سيجار من أجل (درو) ليدخنه كل مساء.

كان هناك مخزن صغير للغلال وحظيرة خلف المنزل، وبالحظيرة ثور وثلاث بقرات، علاوة على مخزن ملحق ببئر تحت أشجار ضخمة تحفظه باردًا على الدوام. ويوجد داخل مخزن البئر قطع كبيرة من لحم بقرى ولحم الخنازير والضأن بما يكفى لغذاء أسرة خمسة أضعاف عددهم لمدة سنة أو سنتين أو ثلاث.. وهناك أيضًا ممخضة لبن وصندوق جبن أبيض وعلب معدنية كبيرة لملئها باللبن.

فى اليـوم الرابع تمدد (درو إريكسـون) فى سريره وهو ينظر إلى المنجل وعرف أن الوقت قد حان لكى يبدأ العمل لأن السنابل نضجت فى الحقل الكبير كما رآها بعينيه؛ إنه لم يرد أن يتكاسل أو تضعف قواه.. وبالطبع ثلاثة أيام من الاسترخاء كافية جدًا لأى رجل. ولذلك أيقظ نفسه منذ أول انبلاج للفجر وأخذ المنجل وخرج إلى الحقل، وأمسكه بيديه عاليًا ولفه إلى أسفل.

كان أمامه حقل قمح فسيح، بحيث يصعب على رجل واحد العناية به، ومع ذلك كان هنا من قبل رجل واحد يعنى به. وفى نهاية يوم العمل



FB@3abeth

الأول دخل المنزل حاملاً المنجل فوق كتفه بهدوء، وعلى وجهه ترتسم علامات القلق والحيرة. كان حقل القمح هذا يختلف عن أى حقل قمح عرفه أو رآه، فلقد نضج القمح فى بعض أماكن متفرقة عن بعضها البعض، ولا يمكن للقمح أن يفعل مثل هذا، لذلك قرر ألا يخبر (موللى) به ولا أن يخبرها بالأشياء الأخرى الخاصة بالحقل.. مثلا: كيف أن القمح تعفن بعد بضع ساعات من قطعه، والمعروف أن هذا أيضًا لا يحدث للقمح.. لكنه فى الحقيقة لم يكن قلقًا بأكثر مما يلزم، فقبل كل شىء يوجد طعام كاف فى المتناول.

وفى اليوم التالى، كانت هناك مفاجأة فى انتظاره.. فقد وجد أن القمح الذى قطعه بالأمس وتعفن قد ثبت فى الأرض مرة أخرى ونمت له أفرع وبراعم خضراء صغيرة لها جذور دقيقة وكل ذلك ولد من جديد!

حك (درو إريكسون) ذقنه وتساءل: كيف ولماذا تصرف القمح هكذا وما فائدة ذلك بالنسبة إليه، فإنه لن يستطيع بيعها. وفى هذا اليوم نفسه صعد مرتين إلى أعلى التل، حيث يوجد قبر الرجل العجوز فقط ليتأكد من أن العجوز مازال هناك، ولعله يخرج هناك بفكرة معينة عن حقل القمح.

نظر إلى أسفل التل ورأى مساحة الأرض التى يملكها.. كان القمح يمتد إلى مسافة ثلاثة أميال[٣] ناحية الجبل، ويعرض فدانين[٤] تقريبًا.

---

(٣) الميل يساوى نحو ١,٦ كيلو متر. (المترجم).

(٤) الفدان يساوى نحو ٤٢٠٠ متر مربع. (المترجم).



FB@3abeth

وبعض بقع منها فيها نبتات صغيرة وبقع نمت وعلاها اللون الذهبى البهيج وبقع ثالثة بها نباتات خضراء وبقع منها قطعها لتوه بالمنجل بيد أن الرجل العجوز لم يقل شيئًا بهذا الخصوص، والآن هو فى باطن الأرض ووجهه مكسو بكثير من التراب والأحجار وبعض الحصى والاتساخات. كان قبره معرضًا للشمس والرياح ويسوده سكون تام.. ولذلك هبط (درو إريكسون) من التل وعاد إلى استخدام المنجل وهو حائر وفى نفس الوقت مستمتع لأن ذلك بدا له مهمًا.. لم يعرف قط لماذا؟ ولكنه كان مقتنعًا بأنه مهم للغاية.

لم يكن ليترك القمح لفترة طويلة. فقد كانت بعض المساحات الجديدة منه تنضج باستمرار. وأثناء تفكره فى الموقف صاح بصوت عال، ليس لشخص معين بالذات "إذا واصلت قطع سنابل القمح طوال السنوات العشر القادمة بمجرد نضجه، فلا أعتقد أننى سوف أرجع إلى نفس البقعة مرة أخرى، يا له من حقل ضخم غريب!".

هز رأسه وأردف: "إن هذا القمح العجيب، ينضج بطريقة غير طبيعية، على الرغم من أنه لا ينضج سوى القليل منه، ومن ثم لا أستطيع أن أحصده كل يوم، ومعنى ذلك أننى لن أترك سوى السنابل الخضراء. وفى الصباح التالى سوف أجد بالتأكيد بقعًا ناضجة جديدة وهكذا ....".

كان من الحماقة قطع السنابل، لأنها تتعفن بمجرد سقوطها، وفى نهاية الأسبوع قرر أن يتركها لتنمو لبضعة أيام. ونام فى سريره متأخرًا، وهو ينصت إلى السكون السائد فى المنزل، الذى لم يكن يشبه



FB@3abeth

صمت القبور، ولكنه صمت الأشياء المفعمة بالحياة، التى تشعر بالبهجة والسعادة.

نهض من سريره وارتدى ملابسه وتناول طعام الإفطار بتؤدة. لم يكن ينوى الذهاب إلى العمل، ولكنه خرج ليحلب الأبقار ثم وقف عند مدخل المنزل المسقوف، يدخن سيجارة. وتمشى فى الفناء الخلفى قليلاً ثم رجع وسأل (موللى) عما تريد أن يفعله فى الخارج.

قالت له: "احلب الأبقار".

قال: "آه، نعم".

ثم خرج من جديد. ووجد الأبقار تنتظر الحلب وهى ممتلئة الضروع، حلبها ووضع اللبن فى أوعية عثر عليها فى المخزن بجانب البئر، بيد أنه كان يفكر فى أشياء أخرى.. القمح.. المنجل.

جلس طوال فترة الصباح بالمدخل الخلفى للمنزل، يلف السجائر ويدخنها، وصنع قارباً كلعبة لـ(درو) الصغير وآخر لـ (سوزى)، ثم خض بعض اللبن لعمل الزبد وقام بتصفية اللبن المخيض. لكنه شعر بصداع فى رأسه، من أشعة الشمس المتقدة. لم يكن جائعًا ليتناول طعام الغذاء، وظل يحدق فى القمح الذى كان يهتز ويتمايل وينثنى تحت تأثير الريح.

التوت ذراعاه وأصابعه، التى استقرت على ركبتيه، عندما جلس من جديد فى المدخل الخلفى للمنزل، يلوح بقبضته فى الهواء الخالى، من فرط غضبه.



FB@3abeth

شعر بحكة وأكال فى باطن كفيه. استوى واقفًاومسح يديه فى بنطلونه ثم جلس وحاول لف سيجارة أخرى، ولكنه لم يتمكن من خلط التبغ كما يجب، وتعب من حشوها، فاستشاط غضبًا وألقى بها متذمراً.

تولّد فى داخـــله إحساس غريب، بأن ذراعـًا ثالثـــة قد بترت منه، أو أنه فقد قطعة من نفسه، قطعة من يديه أو ذراعيه!

أخذ ينصت إلى همس الريح التى تهب على حقل القمح.

وعند الساعة الواحدة دلف إلى المنزل، ثم خرج منه يرتدى حذاء خفيفًا وجالت فى ذهنه فكرة حفر قناة لرى الحقل، ولكنه - فى واقع الأمر - كان يفكر طوال الوقت فى سنابل القمح ومدى نضجها وجمالها الأخاذ، وأنها تتوق إلى الحصاد.

وهتف أخيراً "اللعنة! ليذهب هذا الحقل إلى الجحيم!".

أسرع الخطى إلى داخل حجرة النوم، وانتزع المنجل من ماسكاته بالجدار. ووقف ساكنًا وهو يحكم قبضته عليه. أحس ببرودة تسرى فى جسمه، ولم يعد يشعر بالحكة والأكال فى باطن كفيه، ولا بالصداع فى رأسه. لقد عادت إليه ذراعه الثالثة، وأصبح سليماً من جديد.

كان شيئًا غريزيًا، غير منطقى كالبرق الذى يومض ولكنه لا يؤذى.

عليه أن يحصد سنابل القمح كل يوم. يجب أن تحصد يوميًا. لكن لماذا؟ حسنًا، ذلك ما يجب أن يحدث، هذا كل ما فى الأمر. وضحك لمنظر



FB@3abeth

المنجل فى يديه الضخمتين. عندئذ، حمل المنجل وهو يصفر بشفتيه، وخرج من المنزل إلى حيث حقل القمح الناضج الذى ينتظره، ليؤدى عمله. واعتقد (درو) أنه أحمق لحد ما. عجبًا! إنه حقل قمح عادى. أليس كذلك؟

بلى، إلى حد ما.

مرت الأيام سريعة متلاحقة، كما يمر قطيع من الجياد الرشيقة المنطلقة.

وبدأ (درو إريكسون) يفهم طبيعة عمله باعتباره ضربًا من الصداع البسيط والجوع والحاجة. هكذا استقرت تلك المعارف فى ذهنه.

وفى ظهيرة أحد الأيام، كانت (سوزى) و(درو) الصغيران يقهقهان ويلهوان بالمنجل، بينما كان والدهما يتناول طعام الغذاء فى المطبخ. وتناهى إلى سمعه ما أحدثاه من ضجيج، فخرج إليهما وأخذ المنجل منهما، ولكنه لم يصرخ فيهما، غير أنه بدا قلقًا للغاية، واعتاد بعد ذاك أن يغلق ماسكات المنجل بالقفل، فى الوقت الذى لا يستخدمه فيه.

لم يمر عليه يوم واحد، إلا واستخدم فيه المنجل لحصاد القمح. ولم ينس ذلك قط. إلى أعلى وإلى أسفل وجانبيًا. قطع . قطع، إلى أعلى وإلى أسفل، إلى أعلى.

تراءى لذهنه الرجل العجوز - المالك الأصلى للمنزل والحقل - وهو ممسك بسنبلة القمح فى يده عندما مات. وجه المنجل إلى أسفل.



FB@3abeth

وأخذ يمعن التفكير فى هذه الأرض الجدباء، ومع هذا فالقمح ينمو فوقها. دفع بالمنجل إلى أعلى. وجال بخاطره، تلك الأشكال الغريبة للقمح الناضج والأخضر، وكذلك فى الطريقة غير الطبيعية التى ينمو بها! المنجل إلى أسفل. فكر فى.....

التف القمح وانساب فى شكل موجة صفراء ذهبية عند كاحليه، وتلبدت السماء بالغيوم. وأسقط (درو إريكسون) المنجل من بين يديه، وانحنى إلى الأمام ممسكًا ببطنه. وعيناه تدوران فى محجريهما، وشعر بالعالم كله يتقوض من حوله.

شهق بصوت مخنوق وأمسك بصدره متألمًا ثم تهاوى على ركبتيه بجوار المنجل وقال بتفجع: "لقد قتلت شخصًا ما! بل قتلت الكثير من ....."

ودارت السماء من حوله كأرجوحة دوارة زرقاء بمعرض بإحدى مقاطعات ولاية "كنساس"، ولكن بدون أية موسيقى مصاحبة، فقط طنين ودوى فى أذنيه.

كانت (موللى) تجلس أمام منضدة المطبخ الزرقاء، تقشر حبات البطاطس، عندما اقتحم (درو) المطبخ مترنحًا وهو يجر المنجل خلفه. هتف "(موللى)!" تطلعت إليه بنظرات عميقة وغاصت فى بحور دموع عينيه، وقبعت ساكنة وذراعاها مفتوحتان، منتظرة منه أن يكشف لها عن كل ما يعانيه.



FB@3abeth

قال لها بينما كان ينظر إلى أرضية المطبخ "حزمى حقائبنا واجمعى متاعنا فوراً".

تساءلت والدهشة تعقد لسانها: "لماذا؟!".

قال بتؤدة: "سنغادر هذا المنزل الآن".

قالت متعجبة "تغادر المنزل.. ماذا تعنى؟".

أجابها قائلاً: "(موللى) هل تعرفين ما الذى فعله الرجل العجوز هنا؟ إنه القمح وهذا المنجل! ففى كل مرة تستخدمين فيها المنجل اللعين فى حصاد القمح وقطع سنابله، يموت آلاف الناس! إنك تقطعينهم و....".

نهضت (موللى) ووضعت السكين على المنضدة والبطاطس جانباً وهى لا تكاد تعى شيئاً، ثم قالت بعد أن تفهمت الموقف: "لقد سافرنا كثيراً يا حبيبى ولم نتناول طعاماً جيداً حتى آخر شهر قضيناه فى هذا المكان.. وأنت تعمل كثيراً كل يوم لذلك أنت مجهد..".

"إنك لا تفهميننى، أنا أسمع أصواتاً.. أصواتاً حزينة فى الخارج هناك، فى حقل القمح.. وهذه الأصوات تطالبنى بأن أتوقف.. أن أتوقف عن قتلها!".. فقالت: "(درو)!". لم أسمع ما قلته وأردف: "القمح فى الحقل ينمو بشكل شرير ومعوج كشىء مجنون.. إننى لم أخبرك بذلك من قبل.. ما نفعله هنا خطأ جسيم".



FB@3abeth

حدقت فيه ووجدت أن عينيه تبدوان كزجاجتين زرقاوين جامدتين، ولا شيء أكثر من ذلك..

قال لها: "أنت تظنين أنني قد جننت.. لكن انتظرى حتى أخبرك بكل شيء.. آه، يا إلهي، ساعديني يا (مولى).. لقد قتلت أمى لتوى!".. فقالت له بجد شديد: "توقف عن هذا الهراء".

"لقد قطعت أحد سيقان القمح وقتلتها.. نعم، شعرت بها وهي تموت.. وهذا ما تأكدت منه لتوى..".

صاحت فيه بصوت متهدج وغاضب وينم عن الخوف: "اصمت ولا تقل أي شيء!".. فغمغم قائلاً: "أوه.. أنت لا تدركين حقيقة الأمر يا (مولى)....".

سقط المنجل من يديه مقعقعًا على الأرضية.. والتقطته هي في نوبة من الغضب ووضعته في أحد الأركان.. ثم قالت: "لقد عشت معك عشر سنوات، وأحيانًا لم نكن نجد شيئًا سوى التراب والصلوات التي تترنم بها شفاهنا.. ثم فجأة حالفنا الحظ الجيد، ولكنك لا تستطيع أن تتقبله وتتحمل مشقته!".

أحضرت الإنجيل من حجرة المعيشة وأخذت تقلب صفحاته مصدرة حفيفًا خفيفًا..

وكان ذلك يشبه صوت سنابل القمح وهي تحدث حفيفًا عندما تهب ريح بطيئة محدودة، قالت: "اجلس وانصت".



FB@3abeth

جاء صوت من المكان الذى تغمره أشعة الشمس. كان الأطفال يضحكون وهم يلعبون فى ظل شجرة "البلوط الحى"، التى تقع بجانب المنزل. راحت تقرأ فى الإنجيل، ومن حين لآخر كانت ترفع وجهها، لترى ما الذى يحدث لوجه (درو).

وبعد ذلك، راحت تقرأ فى الإنجيل كل يوم. وفى يوم الأربعاء التالى، بعد مرور أسبوع،عندما ذهب (درو) إلى المدينة البعيدة، ليبحث فى دائرة حفظ البريد(٥)، عن رسائل له وبالفعل وجد خطابًا وعاد إلى منزله، وقد بدا عليه أنه تقدم فى العمر، مائتى عام!

أعطى الخطاب لـ (موللى)، وأبلغها بما جاء فيه، بصوت بارد ومتهدج "ماتت أمنا فى الساعة الواحدة من بعد ظهيرة يوم الثلاثاء، كان قلبها ...".

كل ما استطاع (درو إريكسون) أن يقوله "ضعى الأولاد فى السيارة، وحمليها بالأطعمة. إذ إننا سوف نذهب إلى (كاليفورنيا)".

قالت زوجته وهى تمسك بالخطاب: "(درو)..".

"إنك تعلمين حق العلم، أن هذه الأرض فقيرة فى إنتاج الحبوب، ومع هذا فإنها تنتج محصولاً وافراً. إننى لا أخبرك بكل الأشياء، إنها تنتج فى رقع، إنتاجاً صغيراً فى كل يوم. وهذا ليس صحيحًا. إذ عندما

---

(٥) قسم فى مركز بريد تحفظ فيه الرسائل والطرود حتى يتسلمها أصحابها. (المترجم).



FB@3abeth

أحصد المحصول، يتعرض للتحلل العضوى! وفى صباح اليوم التالى تعود الحبوب إلى النمو من جديد، دون أية مساعدة! ويوم الثلاثاء الأخير - منذ أسبوع - عندما حصدت محصول الحبوب، شعرت وكأننى أقطع من لحمى! ثم سمعت شخصًا ما يصرخ. نعم بدا لى الأمر على هذا النحو.. والآن فى هذا اليوم، ذلك الخطاب".

قالت: "سوف نبقى هنا، ولن نغادر هذا المكان".

"(موللى)!".

"أجل سوف نبقى هنا، حيث نضمن غذاءنا ونومنا، وأننا نحيا فى بحبوحة من العيش، ويطول عمرنا. إننى لن أعرض أبنائى للحرمان أبدًا!

كانت السماء تبدو زرقاء من خلال النوافذ. وأشعة الشمس تمس نصف وجه (موللى) الرزين، وتنعكس على إحدى عينيها الزرقاوين فتتألق وتساقطت أربع أو خمس قطرات ماء كانت معلقة فى صنبور ماء المطبخ، تلالأت، قبل أن يتنهد (درو). كانت آهة مبحوحة تعبر عن الإذعان والإرهاق. أومأ برأسه، ونظر بعيدًا وهو يقول "حسنًا، سوف نبقى".

رفع المنجل بضعف. وكانت الكلمات المحفورة على المعدن تتألق بشكل واضح:

"من يستخدمنى بمهارة، سوف يسيطر على العالم".

ردد بضعف: "سوف نبقى هنا....".



FB@3abeth

فى صباح اليوم التالى، ذهب إلى قبر والده، وكان ثمة نبتة وحيدة وحديثة من القمح، تنمو فى منتصفه. لعلها نفس النبتة - وقد ولدت من جديد - التى أمسك بها والده بين يديه منذ أسابيع.

وأخذ يتحدث إلى والده، دون أن يحصل على أية إجابات!

"لقد عملت فى الحقل طوال حياتك، لأنه كان عليك القيام بهذا العمل، وذات يوم صادفت حياتك كلها تنمو هناك، وكنت تعلم يقيناً أنها حياتك. وقمت بقطعها. وذهبت إلى المنزل، وارتديت كفنك، فتوقف قلبك وفارق الحياة. هذا ما حدث، أليس كذلك؟ وورثت الأرض لى. وعندما أموت، أعتقد أننى سوف أورثها بدورى إلى شخص ما آخر".

وأصبح صوت (درو) ينم عن الروع وهو يقول: "كم مضى من الوقت على حدوث هذا الأمر؟ دون أن يعرف أى شخص عن هذا الحقل واستخداماته، إلا الرجل الذى يحمل المنجل...؟".

وعندئذ شعر فجأة بأنه أصبح عجوزاً للغاية. وظهر له الوادى قديماً، جافاً كالمومياء، متكتماً، مجدباً وملتوياً ولكنه عظيم.

وعندما رقص الهنود(٦) فوق الأرض العشبية، كان هذا الوادى هنا، تحت نفس السماء، وتهب عليه الريح ذاتها، وتنبت القمح عينه. لقد كان الوادى هنا، حتى قبل الهنود! ولعل إنساناً "كرومانيونيا"(٧) متجهم الوجه

---

(٦) يقصد الهنود الحمر، سكان أمريكا الأصليين (المترجم).

(٧) إنسان كان يعيش فى أواخر العصر الحجرى القديم فى أوربا. (المترجم).



FB@3abeth

من العمل، وأشعث الشعر، يستخدم منجلاً خشبيًا غير متقن الصنع، يطوف بخفة متلبثًا، خلال سنابل القمح النامية التى تنبض بالحياة...

عاد (درو) للعمل، أعلى وأسفل، أعلى وأسفل. مستحوذاً على تفكيره بشكل كبير، الاعتقاد الراسخ، بأنه يستخدم المنجل بمهارة، هو، بنفسه!

سيطرت عليه الفكرة بعنف نتيجة الضغط الداخلى، فى شكل موجة عارمة مجنونة وجامحة، من القوة والرعب.

ارتفع المنجل فى يده! إن من يستخدمنى بمهارة! ثم هبط المنجل! يمكنه أن يسيطر على العالم!

كان عليه أن يقبل العمل بنظرة فلسفية، ومن خلال الأهداف المنطقية والأخلاقية. لقد كان هذا - ببساطة - أسلوبه فى الحصول على الغذاء والمأوى لأسرته. وجال بخاطره، أنهم يستحقون الطعام الجيد والحياة الكريمة. بعد كل هذه السنين.

وارتفع المنجل وهبط. إن كل حبة قمح عبارة عن حياة يقسمها - بإتقان - إلى جزءين، وإذا خطط لحياتهم بعناية - ونظر إلى نباتات القمح - فيمكن له ولزوجته (موللى) وأولادهما، أن يعيشوا إلى الأبد!

وإذا وجد مكانًا فى الحقل، تنمو فيه سنابل قمح يعتقد أنها تمثل (موللى) و(سوزى) و(درو) الصغير، فإنه لن يحصدها أبداً!

عندئذ، جاءت ببطء وكأنها نذير شؤم.



FB@3abeth

ها هنا، أمامه مباشرة.

ضربة أخرى بالمنجل، وسوف يبترهم. (مولى) و(درو) الصغير و(سوزى). هذا أمر مؤكد. أصابته رعدة، فركع ونظر إلى حبات القمح القليلة، التى توهجت عندما لمسها. أصدر صوتًا يعبر عن الراحة، ماذا يحدث لو أنه قطع هذه الحبات، إنه لا يستطيع أن يخمن؟

تنفس بعمق ونهض وأمسك بالمنجل وذهب بعيداً عن القمح، ووقف هناك لمدة طويلة، ينظر إلى أسفل.

اعتقدت (مولى) أنه أمر بالغ الغرابة، عندما جاء زوجها مبكراً وقبلها فوق وجنتها، دون أى مبرر على الإطلاق.

وعندما كانوا يتناولون وجبة الغذاء، قالت (مولى) "لقد تركت الحقل مبكراً اليوم! هل.. هل مازال القمح يتلف عندما يسقط؟".

أومأ (درو) برأسه وأخذ المزيد من اللحم.

قالت "يجب أن تكتب للمسئولين بوزارة الزراعة، واطلب منهم الحضور لمعرفة السبب ومعالجته".

قال: "لا".

قالت: "إنه مجرد اقتراح".

اتسعت عيناه وهو يقول: "علىّ أن أبقى هنا طوال عمرى. إذ إن أى أشخاص آخرين يمكن أن يسببوا فوضى عند حصاد محصول القمح،



FB@3abeth

حيث إنهم لا يعرفون الأجزاء التى يقطعونها، والأخرى التى تظل دون قطع. وربما يقطعون الأجزاء الخاطئة".

"ماذا تقصد بالأجزاء الخاطئة؟".

أخـذ يفكـر مليًا فى الأمر بتـؤدة ثم قال "لا شىء. لا شـىء على الإطلاق".

ألقى بشوكته بعنف فوق المنضدة، واستطرد قائلاً: "... من يدرى ما الذى ينويه رجال الحكومة هـؤلاء؟ إنهم حتى قد يريدون حـرث الحقل بأكمله، وإحداث فوضى شديدة، وبالتأكيد سوف يقلبون الحقل رأسًا على عقب!".

أومأت (موللى) برأسها دلالة على الموافقة "هذا هو ما يحتاج إليه الحقل بالفعل. لتبدأ زراعته مرة ثانية، مستخدمين بذورًا جديدة".

نهض من على المائدة، ولم يكن قد انتهى من غذائه بعد، وقال بحدة "إننى لن أكتب إلى وزارة الزراعة أية خطابات مهما حدث. إذ إننى لن أسلم هذا الحقل لأى غريب ليحصد المحصول، هذا رأيى النهائى".

هرع إلى الباب وصفقه من خلفه بعنف.

انعطف حول ذلك المكان الذى شهد أولاده وهم يشبون عن الطوق تغمرهم أشعة الشمس، وزوجته وهى تتقدم فى السن، واستخدم منجله فى الجانب البعيد من الحقل، فى الموضع الذى كان متأكدًا أنه لن يرتكب فيه أية أخطاء.



FB@3abeth

بيد أنه لم يعد يحب العمل، وبعد ساعة، أدرك أنه تسبب فى موت ثلاثة من أصدقائه القدامى المحببين إلى قلبه، فى (ميسورى)[٨]. لقد قرأ أسماءهم فوق سنابل القمح التى حصدها بمنجله، ومن ثم لم يستطع الاستمرار فى حصد المحصول.

وضع المنجل فى المخزن وأغلق الباب وألقى المفتاح بعيداً.

لقد سئم تماماً من الحصاد، ولا يريد أن يقوم به أبداً.

فى ذلك المساء جلس فى الشرفة الأمامية، يدخن غليونه. وراح يحكى للأولاد قصصاً مرحة، حتى يسمعهم يضحكون. لكنهم لم يضحكوا ملء أشداقهم، كما عهدهم. بدوا له غير متجاوبين معه، ومرهقين وغرباء، وكأنهم - من الآن فصاعداً - لم يعودوا أولاده.

أصيبت (مولى) بصداع وتحركت ببطء وبجهد فى أرجاء المنزل لمدة قصيرة، ثم ذهبت مبكرة إلى فراشها، وراحت فى سبات عميق. لقد كان هذا - أيضاً - أمراً غريباً غير مألوف. إذ كان من عادة (مولى) أن تسهر دائماً لوقت متأخر، ممتلئة بالحيوية والهمة والنشاط.

كان حقل القمح يترقرق بلون فضى وضوء القمر يغمره، ويبدو وكأنه بحر متماوج. كان يحتاج إلى الحصاد، وبعض أجزاء الحقل المزروعة تحتاج إلى القطع تواً.

---

(٨) إحدى الولايات الأمريكية. (المترجم).



FB@3abeth

استلقى (درو إريكسون) على مقعده، يجرع شراباً فى صمت، ويحاول جاهداً ألا ينظر إلى حقل القمح. ما الذى سوف يحدث للعالم، إذا لم يذهب قط إلى الحقل مرة أخرى؟ ما الذى سوف يجرى للأشخاص المتقدمين فى السن الذين يشرفون على الموت، وينتظرون المنجل ليحصد أرواحهم؟ إنه سوف ينتظر ويرى.

كانت (مولى) تتنفس بهدوء، عندما أطفأ المصباح الزيتى وآوى إلى فراشه. لم يستطع النوم. وأخذ يصغى لصوت الريح وهى تتخلل حبات القمح، وشعر بالتوق للقيام بالعمل، فى أصابعه وذراعيه.

وفى منتصف الليل، وجد نفسه يمشى عبر الحقل، والمنجل بين يديه. كان يسير مثل رجل فقد عقله، خائفاً ونصف مستيقظ، إنه لا يتذكر فتح باب المخزن وإخراج المنجل من داخله، ولكن ها هو ذا يسير بين حبات القمح المغمورة بضوء القمر.

وبين حبات القمح هذه كان هناك الكثير منها مسنة ومنهكة، وتتوق للرقاد والموت. رقاداً طويلاً وهادئاً تكتنفه الظلمة دون أن يضيئه ضوء القمر.

كان المنجل هو الذى يتحكم فيه، وينمو فى راحتى يديه، ويرغمه على السير، وبطريقة ما، وبعد أن بذل جهداً عضلياً عنيفاً، استطاع أن يتحرر من سطوة المنجل، ألقى به فوق الأرض، ثم أخذ يركض بين سنابل القمح، وبعد فترة توقف وركع على ركبتيه.



FB@3abeth

قال بصوت متهدج "لا أريد أن أقتل المزيد. إذا ظللت أستخدم المنجل، سوف أقتل (موللى) وأبنائى. لا أحد يرغمنى على هذا الفعل الشنيع".

كانت النجوم رابضة فى السماء، متألقة.

عندئذ، سمع من خلفه صوتًا مكتومًا وكليلاً.

شىء ما أطلق من فوق التل فى اتجاه السماء. كان يبدو وكأنه ينبض بالحياة، بأذرع حمراء اللون، وأخذ يتحرك بسرعة بين النجوم.

وتساقط الشرر بالقرب من وجهه. وصاحب الشرر رائحة نيران، نفاذة وتشع حرارة.

المنزل!

أطلق صرخة مروعة، ونهض من فوق الأرض مذهولاً يعتريه اليأس، وهو يشاهد النيران المتأججة. كان المنزل الصغير الأبيض مع أشجار البلوط الحى، تهدر فى لجة النيران الوحشية.

اندفعت الحرارة اللافحة فوق التل، وعندما وصل إليها وامتزج بها شملته، وعندما تعثر غمرت كل جسمه، بدءًا من رأسه.

وعندما وصل إلى أسفل التل، لم يجد لوحًا واحدًا من الخشب، أو مزلاجًا أو عتبة باب فى المنزل، لم تتلظ باللهب. وصدر عنها كلها أصوات بقبقة(٩) وقرقعة وطقطقة.

---

(٩) مثل صوت انفجار الفقاعات فى الماء. (المترجم).



FB@3abeth

لم يكن ثمة صراخ بداخل المنزل. لم يركض أحد إلى الخارج أو يصدر صيحات عالية تنم عن الألم أو الخوف.

صرخ بقمة انفعاله وهو يقف فى فناء المنزل "(موللى)! (سوزى)! (درو)!".

لم يجبه أحد، ركض فى اتجاه المنزل، حتى تقلص حاجباه بتأثير الحرارة اللافحة حتى امتدت أيضاً إلى جلده، فأصبح مثل الورق المحترق، وصار يابساً وجعداً، وتكونت فوقه تغضنا صغيرة مشدودة.

عاد يصرخ "(موللى)! (سوزى)! (درو)!".

خفت حدة النيران، بعد أن أكلت الأخضر واليابس.

ركض (درو) حول المنزل مرات عديدة. لقد كان وحيداً. يحاول أن يجد منفذا للداخل، ثم جلس فى المكان الذى شوت فيه النيران جسمه، وانتظر حتى تهاوت كل جدران المنزل، وسقطت فى شكل دمار مروع، والتوى السقف الأخير الذى بقى، مغطياً الأرضيات بالجص(١٠) المصهور واللاطات(١١) المحترقة سطحياً، والتى تغير لونها.

تريث حتى خمدت النيران وتصاعد الدخان، وجاء اليوم الجديد بتؤدة، ولم يكن هناك إلا بقايا جمر بين الرماد، وبعض الأشياء التى تحترق بدخان قليل ومن غير لهب، وتصدر عنها رائحة لاذعة.

---

(١٠) يطلق عليه أيضا (الجبس) وهو مادة صلبة مكونة من "ثنائى هيدرات كبريتات الكالسيوم" وتستخدم كثيراً فى البناء. (المترجم).

(١١) خشبات رقيقة توضع على سقوف وجدران المنازل لتجميلها. (المترجم)



FB@3abeth

تجاهل (درو) الحرارة، التى تشع من كل مستويات المبنى، واندفع إلى داخل الأنقاض، كانت الظلمة مازالت تكتنف المكان، ومن ثم كان من الصعب عليه أن يرى الكثير.

توهج الضوء الأحمر للنيران، فوق عنقه الذى يتصبب عرقًا. كان يقف كغريب فى أرض جديدة ومختلفة. هنا.. المطبخ، وبداخله الطاولات المتفحمة، والمقاعد، والموقد الحديدى، وخزانات حفظ الطعام والأوانى، وهناك.. الردهة وغرفة الاستقبال، وغرفة النوم، حيث..

حيث (مولى) لا تزال على قيد الحياة.

كانت تنام بين كتل الخشب المتساقطة، وقطع من أسلاك التوابض المحترقة والمعدن، ذات الألوان المشوهة بفعل النيران.

كانت تنام ملء جفونها وكأن شيئًا لم يحدث. واضعة يديها الصغيرتين البضاويين تحت جنبيها، والمكسوتين بالرماد المتطاير من الاحتراق. كان وجهها الساكن فى سبات عميق، وإحدى وجنتيها مغطاة بشريحة رقيقة من الخشب الملتهب.

توقف (درو) مشدوهًا، إذ إنه لم يصدق ما يراه. فبين أنقاض حجرة نومها التى يتصاعد منها الدخان، كانت (مولى) ترقد على فراش يلتمع بالجمرات التى تغطيه، لم يصب جلدها بأى أذى، وكان صدرها يعلو ويهبط، يتنفس الهواء.

هتف: "(مولى)"!



FB@3abeth

إنها على قيد الحياة، وتغط فى النوم بعد الحريق، بعد أن تهاوت الجدران، وبعد أن تقوضت السقوف فوقها، وتأججت النيران فى كل مكان حولها.

تصاعد الدخان من حذائه، بينما كان يندفع خلال أكوام من الرماد. لعل هذا تسبب فى حدوث حروق سطحية بقدميه فى الأسفل عند الكعبين. إنه لم يعرف قط.

عاد يناديها "(مولى)!...".

وانحنى فوق جسمها المستلقى على الفراش، ولكنها لم تتحرك أو تسمعه، كما أنها لم تتكلم معه. إنها ليست ميتة، ولا على قيد الحياة! إنها تتمدد فقط فوق فراشها، والنيران تحيط بها، ولكنها لا تمسسها، ولا تؤذيها بأى شكل من الأشكال. كان قميص نومها القطنى ملطخ بالرماد، إلا أنه لم يكن محترقًا. كان شعرها البنى يتوسد قطع متناثرة من الجمرات الحمراء الساخنة.

لمس وجنتها، وشعر بها باردة، وسط الحريق الذى يشبه نار الجحيم! كانت شفتاه نصف مبتسمتين، إلا أنهما ارتعدتا بسبب ترددات أنفاسها البالغة الضعف.

كانت (سوزى) و(درو) الصغير، هناك أيضًا، تلفهما غلالة من الدخان، مجرد جسمين أصغر حجمًا، متعانقين ونائمين بين الأنقاض.



FB@3abeth

قـام بحملهم جميعًا إلى الخـــارج، ووضـعـهم برفــق عند حـافة حقل القمح.

وقال بصوت متهدج "(مولى) استيقظى! (سوزى)، (درو)، استيقظا!".

كانوا يتنفسون ولكنهم لم يتحركوا وواصلوا الاستغراق فى النوم.

"(سوزى). (درو). استيقظا! إن أمكما..".

.. قد فارقت الحياة! لا، إنها ليست ميتة. لكنها..

وأخذ يهز (سوزى) و(درو)، كما لو أنهما مسئولان عما حدث. ولكنهما لم يلتفتا إليه أو يصغيا لما يقول. فقد كانا مشغولين بأحلامهما. وقف بجوارهم، ووجهه مغضن، لما يعانيه من حزن وألم.

عندئذ أدرك ما الذى جعلهم ينامون أثناء الحريق واندلاع النيران، وأنهم مازالوا مستغرقين فى النوم الآن. وعرف لماذا ترقد (مولى)هنا، دون أن تكون لديها الرغبة فى الضحك من جديد.

إنها قوة سنابل القمح والمنجل!

كان من المفروض أن تنتهى حياتهم بالأمس الموافق ٣٠ مايو ١٩٣٨، ولكنها طالت - ببساطة - لأنه رفض أن يحصد سنابل القمح!

كان يجب أن يلاقوا حتفهم فى الحريق بين النيران، هذا ما كان مقررًا أن يحدث. ولكن طالما أنه لم يستخدم المنجل، فلا شىء يمكن أن يسبب لهم أى أذى. شب الحريق فى المنزل، وتقوض. إلا أنهم مازالوا على قيد الحياة، فى منتصف المسافة بين الموت والحيـاة، فلا هم موتى



FB@3abeth

ولا هم أحياء. إنهم - ببساطة - ينتظرون، وفى كل أنحاء العالم، هناك الآلاف مثلهم تماماً، إنهم ضحايا للحوادث والحرائق والأمراض، وحالات الانتحار، ينتظرون. نائمون مثل (مولى) و(سوزى) و(درو) الصغير. لا يمكنهم الموت ولا الحياة. كل هذا حدث، لأن رجلاً اعتراه الخوف من أن يحصد سنابل القمح الناضجة. كل هذا بسبب أن أحد الرجال، تصور أنه يمكنه أن يتوقف عن استخدام المنجل فى الحصاد، وأنه لن يعود - أبداً - لاستخدام هذا المنجل من جديد. تطلع إلى ابنته وابنه. إنه يجب أن يؤدى العمل كل يوم دون أى توقف بل بشكل مستمر ومتواصل، وبلا استراحة أو تلكؤ، الحصاد دائماً، وإلى أبد الآبدين.

همس لنفسه "حسنا. حسناً. سوف أستخدم المنجل".

لم يقل وداعًا لأفراد عائلته، الراقدين عند حافة حقل القمح. استدار والغضب يتصاعد ببطء داخله، وجد المنجل، وسار مسرعًا ثم أخذ فى الهرولة لفترة، بعدها ركض بخطوات واسعة مترنحة فى اتجاه الحقل، وكان يهذى باهتياج شديد، ويشعر بالتوق إلى العمل فى ذراعيه، بينما كانت سنابل القمح تدق رجليه وتضربها بعنف، هاجمها بضربات متتالية قوية بمنجله، وهو يصيح عاليًا ثم توقف.

صاح وهو يرفع نصل(١٢) المنجل ويؤرجحه ليوجه بها ضربات بحركة دائرية للذراع، إلى أسفل حيث سنابل القمح.

---

(١٢) الحافة المسطحة القاطعة. (المترجم).



FB@3abeth

واستمر فى الصياح "(سوزى)! (درو)!" وراح يؤرجح نصل المنجل من جديد.

صرخ شخص ما. لم يلتفت ليرى منزله الذى تقوض بفعل الحريق.

حينئذ، أخذ يبكى بحرقة، وهو يقف بجانب سنابل القمح ويقطعها من اليسار إلى اليمين وهكذا دواليك، دون توقف! محدثًا ندبات كبيرة وعميقة فى القمح الأخضر والسنابل المكتملة النمو. دونما اختيار أو عناية، كان يلفظ الشتائم والسباب، مرارًا وتكرارًا، يلعن أحيانًا ويضحك أحيانًا أخرى.

كان نصل المنجل يلتمع فى الشمس، بينما كان يتأرجح ويسقط - مصدرًا صفيرًا يصاحبه أزيز - إلى أسفل حيث سنابل القمح.

سقطت القنابل فوق لندن، موسكو، طوكيو!

أخذ نصل المنجل يتأرجح بطريقة جنونية واشتعلت الحرائق بعنف وكأنها الأفران - اللافحة لمعسكرات الاعتقال النازية فى الحرب العالمية الثانية، والتى كان يلقى فيها بالسجناء.

وكان نصل المنجل يصفر ويئز، مبللاً باللون القرمزى، وتقيأت نباتات الفطر العملاقة(١٣) وشموس مبهرة فى الرمال البيضاء(١٤)

(١٣) يقصد المؤلف بها القنابل الذرية التى تشبه نواتج انفجاراتها نباتات فطر عملاقة (المترجم)

(١٤) منطقة جبلية ترتفع نحو ١٢٩١ مترًا بولاية نيو مكسيكو التى تقع فى جنوب غرب الولايات المتحدة، وتشتهر برمالها البيضاء، وهى منطقة سياحية. (المترجم).



FB@3abeth

و(هيروشيما)[١٥] وجزر (البكيني)[١٦] وغيرها في كل اتجاه، حتى سماوات (سيبيريا)[١٧] الأوروبية.

بكت سنابل القمح، في شكل أمطار خضراء بلون المروج، أخذت تتساقط، وارتعدت أراضي (كوريا) و(الهند الصينية)[١٨] و(مصر) و(الهند)، واضطربت (آسيا) وفزعت (أفريقيا) من نومها أثناء الليل.

وتوالت ضربات نصل المنجل، كان يرتفع في الهواء، ثم يسحق ويدمر ويقطع ويبتر سنابل القمح، مستمداً قوته الماحقة من اهتياج ونوبة غضب شديدة لرجل فقد الكثير، إلى الحد أنه لم يعد يكترث بما قد يفعله للعالم.

كان على بعد مجرد عدة أميال من الطريق الرئيسي العام، عبر درب مترب غير ممهد، ويؤدي إلى لا مكان. مجرد أميال قليلة من الطريق الرئيسي العام، المزدحم بحركة المرور، المتجهة إلى (كاليفورنيا).

---

(١٥) المدينة اليابانية التي دمرتها أول قنبلة ذرية أمريكية في ٦ أغسطس ١٩٤٥. (المترجم).

(١٦) تقع في المحيط الهادي، أجريت بها إحدى التجارب النووية. (المترجم).

(١٧) جزء من القطب المتجمد الشمالي. (المترجم).

(١٨) ممتلكات فرنسية سابقًا، أصبحت الآن "فيتنام الشمالية" و"فيتنام الجنوبية" و"لاوس" و"كمبوديا". (المترجم).



FB@3abeth

وعبر سنوات طويلة - وبين حين وآخر - تخرج سيارة عتيقة بالية، عن الطريق الرئيسى العام، ثم تتوقف - وهى تنفث دخانًا - أمام أنقاض منزل أبيض صغير متقحم، يقع فى نهاية الدرب المترب، ويطلب أصحاب السيارة معلومات، من مزارع شاهدوه، وراءهم تمامًا. كان يعمل بجنون ووحشية، دون أن يتوقف أبدًا، ليل نهار فى حقول القمح اللامتناهية. بيد أن أصحاب السيارة، لم يحصلوا منه على أية مساعدة أو إجابة عن تساؤلاتهم. إن المزارع فى حقل القمح، مشغول للغاية، حتى بعد كل هذه السنين، منهمك فى قطع وبتر القمح الأخضر بدلاً من السنابل الناضجة.

وتقدم (درو إريكسون) إلى الأمام مع منجله، فى ضوء الشمس، المبهرة وبنظرة تنم عن الخوف المروع فى عينيه الناعستين، أخذ يتقدم.. ويتقدم.. ويتقدم..



FB@3abeth

# وكانت هناك امرأة عجوز

"لا، ليس هناك جدال عنيف بحسن نية.. لقد عاد إلىّ عقلى بعد أن شرد طويلاً مع صندوقك المصنوع من الخوص المجدول.. يا إلهى، من أين جئت بتلك الأفكار الغريبة؟.. يجب أن تنصرف يا هذا من هنا ولا تزعجنى بعد ذلك.. إن لدىّ تطريزا وحياكة لأقوم بهما، ولن أتهاون أبدًا مع أى سادة سمر البشرة طويلى القامة يطرحون أفكارًا مريبة".

وقف الشاب الطويل الأسمر هادئًا لا يتحرك أبداً.. وبادرته العمة (تيلدى) قائلة له: "لقد سمعت ما قلته لك!.. فإذا كان لديك كلام معقول لتقوله لى، هيا تكلم ولكن أثناء ذلك أستميحك عذراً فى أن أصب لنفسى فنجانًا من القهوة.. آه، ها هو ذا. ولو كنت أكثر تهذيبًا لقدمت لك فنجانًا، لكنك تطفلت على هنا بشكل سيئ ولم تطرق الباب قط أو أى شىء من هذا القبيل.. ترى، هل تظن أنك تملك هذا المنزل؟".

حركت العمة (تيلدى) يدها فى حجرها بشكل أحدث جلبة، ثم أردفت: "الآن قد جعلتنى أخطئ فى العد!.. أنا أصنع لنفسى كوفية للرقبة، فهذا الشتاء قارص البرودة وليس من المناسب لسيدة عظمها



FB@3abeth

ضعيف أو هش مثلى أن تجلس فى منزل قديم فيه تيارات هواء بدون أن تدفئ نفسها".

جلس الرجل الطويل الأسمر صامتًا وواصلت العمة (تيلدى) محذرة إياه: "لعلمك هذا كرسي أثرى.. والآن ابدأ مرة أخرى وقل لى الأشياء التى تريد أن تخبرنى بها، وسوف أنصت إليك باحترام. ولكن عليك أن تكون مهذبًا ولا تحدق فىّ بعينيك النفاذتين هاتين.. يا إلهى، إنهما تصيبانى بآلام فى المعدة".

أنهى المنبه الخزفى أبيض اللون المصمم على شكل وردة والموضوع على رف المدفأة دقاته الثلاث، ووقتها كان مجتمعًا فى القاعة أربعة رجال حول الصندوق المجدول ينتظرون بهدوء وسكون كما لو أنهم تماثيل جامدة.

قالت العمة (تيلدى): "والآن فيما يتعلق بصندوق الخوص المجدول، أرى أن طوله أكثر من ستة أقدام[1]، ومن أول نظرة أرى أنه ليس مخصصًا لوضع الغسيل به.. وأولئك الرجال الأربعة الذين جاءوا معك إلى هنا، بالطبع أنت لست محتاجًا إليهم لحمل الصندوق، لماذا؟.. لأنه خفيف مثل الريشة!".

كان الرجل الأسمر الشاب متكئًا إلى الأمام على الكرسى الأثرى.. وشىء ما بوجهه يوحى بأن الصندوق المجدول لن يكون خفيفًا بعد قليل.

---

(١) القدم حوالى ثلاثين سنتيمترًا. (المترجم).



FB@3abeth

فكرت العمة (تيلدى) قليلاً وقالت: "تبًا!.. أين رأيت صندوقًا مجدولاً كهذا من قبل؟.. لعل ذلك كان منذ عامين.. يبدو لى أن.. أوه!.. أظن أن ذلك كان عندما ماتت السيدة (ديوار) بالمنزل المجاور".

وضعت العمة (تيلدى) فنجانها وهي متجهمة وأردفت: "إذن هذا هو السبب في مجيئكم إلى هنا؟.. لقد ظننت أنكم تريدون أن تبيعونى شيئًا ما.. والآن انتظروا هنا حتى تأتى (إميلى) إلى المنزل من كليتها التى ذهبت إليها في العصر!.. لقد كتبت لها مذكرة الأسبوع الماضى.. لم أعترف لها بالطبع بأننى لست فى خير حال، وإنما قلت لها إننى أريد رؤيتها وحسب، فقد كانت آخر مرة رأيتها فيها منذ عدة أسابيع.. وفى الواقع هى تعيش فى نيويورك، وأنا أعتبرها تقريبًا مثل ابنتى".

وأردفت بعد برهة: "والآن سوف تعتنى بك أيها الشاب.. وسوف تصحبك إلى الخارج عن طريق هذه القاعة وسوف....".

نظر إليها الشاب الأسمر كما لو كانت تعانى من تعب شديد، فبادرت بالقول بصوت حاد: "لا، اطمئن، لست متعبة بالمرة!".

تأرجح الرجل إلى الأمام والخلف على مقعده وهو مغمض نصف عينيه ومستريح.. وبدا أنه يغمغم: "ألا تريد هذه المرأة أن تستريح؟.. استريحى.. استريحى جيداً".

قالت العجوز: "يا أبنائى، إن لدى هنا مئات الكوفيات ومائتى سويتر وستمائة مساكة للأوانى الساخنة أضعها حول أصابعى، حتى لو كانت



FB@3abeth

ضيقة!.. والآن، انصرفوا وتعالوا عندما أنتهى وربما أتكلم معكم وقتئذ".. وغيرت العمة (تيلدى) الموضوع وقالت: "دعونى أكلمكم قليلاً عن (إميلى)، طفلتى الجميلة الوديعة".

أومأت العمة (تيلدى) برأسها وهى تفكر فى (إميلى) بشعرها الأصفر الذى يشبه شرشوبة الذرة فى جماله ودقته ونعومته. ثم أردفت: "أتذكر اليوم الذى ماتت فيه أمها منذ عشرين عامًا تاركة (إميلى) بمنزلى.. ولذلك فأنا متضايقة من صندوقكم المجدول وكل تلك الترهات.. فمن الذى سمع عن أناس يموتون دفاعًا عن قضية نبيلة؟.. أيها الشاب أنا لا أحب ذلك، وأتذكر أن...". توقفت العمة (تيلدى) عندما مست الذكريات الحزينة أوتار قلبها.. فقد تهدج صوت أبيها ذات مرة فى عصر يوم من الأيام منذ خمسة وعشرين عامًا وهو يهمس لها:

"(تيلدى)، ماذا سوف تفعلين فى حياتك يا ابنتى؟.. أنا أرى أن الطريقة التى تتصرفين بها لا تجعل الرجال يوافقونك.. فأنت تقبلين أحدهم بعض الوقت ثم لا تلبثين أن تفرى منه مذعورة.. لماذا لا تقررين أن تستقرى وتتزوجى وتربى أطفالاً ككل النساء؟".

صاحت فيه (تيلدى): "بابا، أنا أحب اللهو والضحك واللعب والغناء.. أنا لست من النوع الذى يتزوج.. لا أستطيع أن أجد الرجل الذى له نفس فلسفتى".

"وما هى - يا ترى - فلسفتك العظيمة هذه؟".



FB@3abeth

"إن الموت شيء سخيف ومضحك!.. فقد انقض على ماما عندما كنا في أمس الحاجة إليها.. هل تسمين ذلك ذكاء؟".

ابتلّت عينا بابا بالدموع ولمست فيهما نظرة مكتئبة وقال: "أنت دائمًا على حق يا ابنتي.. ولكن ماذا بوسعنا عمله يا (تيلدى)؟.. الموت لابد أن يصل في وقت ما إلى كل إنسان".

صاحت: "إذن نقاومه!.. نضربه من تحت الحزام!.. لا نؤمن به أبدا!".

قال بابا بحزن: "لا نستطيع أن نفعل ذلك يا ابنتي.. فكل منا يواجه الموت بمفرده حيث لا حول له ولا قوة أمامه".

"لابد أن يكون هناك تغيير في وقت ما يا بابا.. وأنا أبدأ فلسفتي هذه الآن من هنا!.. من الغريب أن يعيش الناس لبضع سنوات ثم تحفر لهم حفرة في الأرض ويجرفون فيها كحبوب عطنة، لكنهم لا يتبرعمون بالطبع.. ما الشيء الجيد الذي يفعلونه؟.. يتمددون هكذا لملايين السنين ولا يساعدون أحداً. ومعظمهم أناس ممتازون ولطيفون ومهذبون، أو على الأقل يحاولون ذلك".

غير أن أبيها لم يكن يصغي إليها.. فقد شحب لونه وبدأ جسمه يذبل كصورة ضوئية بهتت من طول تركها معرضة لأشعة الشمس.. وحاولت أن تخرجه من تلك الحالة بالكلام معه لكنه قضى نحبه في ذلك الوقت.. ووقتها استدارت وجرت.. لم تستطع البقاء بعد أن برد جسمه، لأن برودته هذه كانت تنكر وتدحض فلسفتها.. كما أنها لم تحضر دفنه.



FB@3abeth

لم تفعل (تيلدى) أى شىء سوى افتتاح محل للآثار والأنتيكات بمقدمة منزل قديم والعيش هناك وحيدة لسنوات طويلة، وتحديداً حتى جاءت (إميلى) إليها. ولم تكن (تيلدى) تريد أخذ الطفلة، لأن (إميلى) كانت تؤمن بالموت، غير أن أمها كانت صديقة قديمة لها كما أن (تيلدى) وعدتها بمساعدتها.

واصلت العمة (تيلدى) حديثها إلى الرجل المرتدى ملابس سوداء: "(إميلى) هى أول من عاش معى فى هذا المنزل طوال كل تلك السنوات.. فأنا لم أتزوج قط.. وكنت أخشى من فكرة الحياة مع رجل لمدة عشرين أو ثلاثين عامًا عندما أوقظه يومًا ما أجده يسقط ميتًا.. إن أفكارى ومعتقداتى سوف تنهار وقتئذ كمنزل من أوراق اللعب.. إننى فقط أتجنب العالم وأبتعد عنه.. وكنت دائمًا أصرخ فى الناس عندما يذكرون الموت أمامى".

أنصت الشاب إليها بصبر وأدب، ثم رفع يده وبدا أنه يعرف كل شىء بعينيه السوداوين الباردتين النفاذتين، قبل أن تفتح فمها. كان يعرف كل شىء عنها وعن الحرب العالمية الثانية عندما أقفلت مذياعها إلى الأبد وأوقفت شراء الصحف بل ضربت رجلاً على رأسه بمظلتها وطردته من محلها عندما أصر على وصف غزو الشواطئ وموجات الموتى البطيئة الطويلة الذين تتقاذفهم الأموج تحت ضوء القمر الهادىء الصامت.



FB@3abeth

نعم، ابتسم الشاب الأسمر من كرسيه الهزاز الأثرى، وعرف أن العمة (تيلدى) منجذبة إلى إسطواناتها المسجلة القديمة. كان (هارى اودر) يغنى "التجول وقت الغسق"، مدام (شومان هاينك) وأغانى تنويم الأطفال.. إنها تنعم بالسكينة مع تلك الأغانى بدون أية مضايقات أو مقاطعات أو كوارث أجنبية أو جرائم قتل أو تسمم أو حوادث سيارات أو حالات انتحار.. إنها تستمع إلى نفس الموسيقى يوماً تلو الآخر. وهكذا تمضى بها السنون، بينما تعلم (تيلدى) (إميلى) فلسفتها. إلا أن عقل (إميلى) كان مهتماً بالفضيلة والأخلاقيات، لكنها كانت تحترم طريقة العمة (تيلدى) فى التفكير ولم تكن تذكر أمامها كلمة "خلود" قط!".

كان الشاب الأسمر الهادىء يعرف ذلك كله.. وتشدقت العمة (تيلدى) وقالت: "قل لى بربك كيف تعرف كل تلك الأشياء؟.. حسناً، إذا اعتقدت أنه بإمكانك أن تقنعنى بذلك الصندوق المجدول المقيت فأنت مخطىء تماماً.. ولو وضعت يدك علىّ، فسوف أبصق مباشرة فى وجهك!".

ابتسم الشاب بهدوء وتشدقت العمة (تيلدى) مرة أخرى وأردفت: "لا تتصنع الابتسام ككلب مريض.. وأنا عجوز للغاية ولا يستحسن التحبب إلىّ أو مغازلتى.. فجسمى هذا قد تيبس ونشف، كأنبوبة دهان قديمة متجمدة تركت فى العراء لسنوات".

ارتفع صوت ضجيج.. المنبه الموضوع على رف المدفأة دق ثلاث دقات.. برقت عينا العمة (تيلدى) وهى تنظر إليه.. عجباً؟، ألم يدق ثلاث دقات منذ خمس دقائق؟.. كانت تحب المنبه أبيض اللون الذى تتدلى



FB@3abeth

حول قرصه المدرج بالأرقام ملائكة من الذهب، والذى يصدر صوتًا رقيقًا وبعيداً كأجراس الكاتدرائية المجاورة.

"هل تنوى الجلوس طـويلاً هكذا أيها الشــاب؟".. وكانت إجابتـه هى صمته.

"إذن لا أظــن أنك تمانع أن آخذ سنة قصيرة من النــوم.. ولذلك لا تهز كرسيك ولا تتحرك منه.. ولا تزحــف آتيًا تجاهى أو حولى.. سوف أغمض عينى لبرهة.. هذا جيد.. هذا جيد....".

إنه وقت جميل وهادئ من اليوم ليستريح فيه المرء.. وساد الصمت.. فقط المنبه يتكتك باستمرار كمجموعة من النمل النشط فى نخر الخشب.. فقط الغرفة تفوح فيها رائحة الخشب الماهوجنى والجلد الطرى بمقعد موريس والكتب المتخشبة القابعة على أرفف المكتبة.. نعم، كل شىء هادئ وساكن.

"إنك تقوم الآن من مقعدك يا سيد، أليس كذلك؟.. الأفضل ألا تفعل.. فإحدى عينى مفتوحة لك.. نعم، هذه حقيقة، نعم.. أنا، آه، همممم!".

إن نومها خفيف للغاية وهى تكاد أن تكون نائمة الآن تحت الماء تقريبًا!.. أوه، لا بأس.

"من الذى يتحرك فى الظلام، أنا مقفلة عينى؟.. من هذا الذى يقبل خدى؟.. أأنت (إميلى)؟، لا، لا.. أظــن أنها مجرد أفكار خطرت لى..



FB@3abeth

لا ريب إننى أحلم.. يا إلهى، نعم.. هذا هو. إننى أبتعد إلى بعيد بعيد.. آه، ماذا يقول؟.. أوه!".

"انتظر حتى أرتدى نظارتى.. آه، ها هى ذى!".

دق المنبه ثلاث دقات مرة أخرى.. تبًا، يا له من منبه قديم.. ياللعار، يجب على أن أصلحه.

وقف الشاب الذى يرتدى ملابس سوداء بالقرب من الباب، وأومأت إليه العمة (تيلدى) برأسها.

"ما بالك تنصرف مبكراً أيها الشاب؟.. يبدو أنك استسلمت، أليس كذلك؟.. لم تستطع أن تقنعنى، لا.. أنا عنيدة كالحمار.. لن يستطيع أحد إخراجى من هذا المنزل.. لذلك لا تتعب نفسك بالمجىء إلىّ للمحاولة مرة أخرى".

انحنى الشاب للسيدة بقليل من الاحترام، والحقيقة أنه لم يكن لديه نية للعودة مرة أخرى على الإطلاق.. وقالت العمة (تيلدى): "حسناً.. لقد كنت دائماً أقول لأبى إننى سأنتصر!.. ولا غرابة فى ذلك، إذ إننى سوف أخيط ملابسى أمام هذه النافذة طوال الألف عاماً القادمة!.. ولابد لهم أن يحطموا هذه الألواح فوقى لكى يخرجونى من هنا".

لمعت عينا الشاب الأسمر بينما صاحت هى: "إنك تبدو كقط متخم، أكل لتوه طائراً كبيراً.. هيا أخرج هذا الصندوق اللعين بعيداً عنى!".



FB@3abeth

خطا الرجال الأربعة خارجين من الباب الأمامى، وتأملت (تيلدى) الطريقة التى تعاملوا بها مع الصندوق الفارغ، ولم تلبث أن ترنحت ساقطة من جراء وزنها.. ثم وقفت فى حالة من الارتعاش والسخط وقالت: "هل سرقتم أشيائى الأثرية؟.. كتبى؟.. المنبهات؟.. ماذا وضعتم فى هذا الصندوق اللعين؟".

صفر الشاب الأسمر بمرح وأدار ظهره لها ثم سار خلف الرجال الأربعة الذين يسيرون بتؤدة.. وعند الباب أشار إلى الصندوق وأعطى غطاءه إلى (تيلدى). ولمح لها بتمثيل صامت عما إذا كانت تريد أن تفتح الصندوق وتحدق فيما بداخله.

صاحت العمة (تيلدى): "شىء غريب؟.. أنا أفتح الصندوق؟.. أف!.. هيا اغربوا عن وجهى!".

وضع الشاب الأسمر قبعته على رأسه وحياها بجفاء، فقالت وهى تصفق الباب خلفهم: "مع السلامة!".

هناك، هناك.. كان هذا أفضل.. ذهبوا!! إنهم حفنة من الرجال الأغبياء الذين لديهم أفكار موسوسة غريبة.. لا تهاون فى موضوع الصندوق.. وإذا كانوا سرقوا شيئًا منى، فلا يهم طالما أنهم انصرفوا وتركونى لحالى.

ابتسمت العمة (تيلدى) وقالت: "انظروا، ها هى ذى (إميلى) قادمة إلى المنزل من كليتها.. هذا هو وقت عودتها.. إنها فتاة رائعة،



FB@3abeth

انظروا كيف تسير.. لكن، يا إلهى، إنها تبدو شاحبة وغريبة اليوم وتمشى ببطء.. إننى أعجب ماذا يكون حدث لها؟! لابد أنها متضايقة أو قلقة من شىء ما.. يا لها من فتاة مسكينة.. سوف أعد لها بعض القهوة وطبقًا من الكيك لتتناوله".

سمعت (إميلى) وهى تصعد على السلالم الأمامية.. وهرولت العمة (تيلدى) لتسمع وقع أقدامها جيدًا.. ما الذى أمرض الفتاة المسكينة؟.. إذ بدت ضعيفة وليس لها نشاط وافر كسحلية الحديقة.. وانفتح الباب الأمامى على مصراعيه، ووقفت (إميلى) فى الصالة وهى متشبثة بقوة بمقبض الباب النحاسى.

صرخت العمة (تيلدى): "(إميلى)؟".. غير أن الفتاة جرت قدميها إلى البهو ورأسها منحنية إلى الأمام.. وصاحت العمة (تيلدى): "(إميلى)!.. لقد كنت أنتظرك!.. كان هذا مجموعة من الرجال الحمقى ومعهم صندوق كبير.. كانوا يحاولون أن يبيعونى شيئًا لا أريده.. أنا سعيدة لأنك عدت إلى المنزل.. ستجدينه الآن دافئًا ومريحًا و....".

"(إميلى)، ماذا بك يا حبيبتى؟.. توقفى عن التحديق فىّ هكذا.. خذى هذا.. لقد أعددت لك فنجانًا من القهوة اللذيذة.. ها هو ذا!.. ولكن لماذا تبتعدين عنى؟! توقفى عن الصراخ يا طفلتى.. لا تصرخى يا (إميلى)!.. لو ظللت تصرخين هكذا فسوف يصيبك الجنون.. (إميلى)، انهضى من على الأرض وابتعدى عن هذا الجدار.. (إميلى)، لا تنكمشى حول نفسك هكذا يا طفلتى، أنا لن أؤذيك أبدًا!".



FB@3abeth

"يا إله السماوات!.. لابد أن شيئًا ما أو آخر ألم بها.. (إميلى)، ماذا بك يا طفلتى؟".

تأوهت (إميلى) وهى تضع يديها حول رأسها. وهمست العمة (تيلدى): "يا طفلتى.. ها هو ذا كوب من الماء.. اشربيه فوراً فأنت محتاجة إليه".

اتسعت حدقتا عينى (إميلى) ورأت شيئًا ما ثم أقفلتهما وهى ترتعد من شيء ما وانكمشت حول نفسها وصاحت: "عمتى (تيلدى)، عمتى (تيلدى)، عمتى...".

صفعتها العمة (تيلدى) وصاحت فيها: "قلت لك توقفى عن هذا.. ما الذى يوجعك أو يزعجك هكذا؟"...

ضغطت (إميلى) على نفسها لكى تنظر إلى أعلى من جديد ودفعت أصابعها إلى الأمام وسرعان ما غرستها فى جسم العمة (تيلدى).

صاحت (تيلدى): "يا لها من فكرة حمقاء!.. ابعدى يديك عنى!.. أقول لك ابعديها عنى!".

انهارت (إميلى) جانبيًا وهزت رأسها وتموج شعرها الذهبى كزلزال لامع وهمست: "أنت لست هنا عمتى (تيلدى).. إننى أحلم.. أنت ميتة!".

قالت العمة: "اصمتى يا فتاة".. فقالت (إميلى): "لا يمكن أن تكونى هنا".



FB@3abeth

يا إله السماوات!.. ما هذا الذى تقولينه يا (إميلى)؟".

أمسكت بيد (إميلى) التى تركتها لها بسهولة.. وعلى الفور قامت العمة (تيلدى) وضربت الأرضية بقدمها وصاحت بغضب: "تبًا!.. هذه الأَلياف!.. وهذا اللص المتسلل!". وتحولت يداها الرفيعتان المتغضنتان إلى قبضتين سلكيتين قويتين وأردفت: "هذا الشيطان الأسود اللعين، لقد سرقها!.. لقد حملها إلى بعيد، نعم هو فعل ذلك!.. ولكن لماذا؟ أنا...".. وانتابها غضب عارم واحمرت عيناها الزرقاوان الشاحبتان كجمرتين متقدتين، وتمتمت هامسة بكلمات سخط شديد.. ثم استدارت إلى (إميلى) وقالت لها: "انهضى يا طفلتى.. أنا محتاجة إليك الآن".. ولكن (إميلى) قبعت مكانها وهى ترتعد.

صاحت العمة (تيلدى): "إن جزءًا منى موجود هنا!.. ياربى، إن ما تبقى منى هنا يكفى لبعض الوقت.. لأحضر قبعتى الآن!".

اعترفت (إميلى) أخيراً: "أنا خائفة للغاية يا عمتى".

"نعم ولكن بالطبع يا طفلتى هذا الخوف ليس منى، أليس كذلك؟".. فأجابتها: "بلى".. وقالت العمة (تيلدى): "ما معنى هذا؟".. أنا لست شبحًا!.. أنت تعرفيننى أكثر فترات حياتك!.. والآن ليس لدينا وقت للكلام أو العويل.. قفى على قدميك وإلا فإننى سوف ألطمك على وجهك!".

قامت (إميلى) ووقفت كشىء آلى انتهى أمره وحاولت تحديد أى اتجاه تسير فيه.



FB@3abeth

"أين سيارتك يا (إميلى)؟".

"فى الجراج بأسفل يا أمى".

قالت العمة (تيلدى) وهى تهرول باتجاه الباب الأمامى: "حسنًا.. والآن...".

وحركت عينيها إلى يمين ويسار الطريق وقالت: "أى اتجاه هو ناحية مستودع جثث الموتى؟".

تشبثت (إميلى) بدرابزين الدرج وهى تترنح وقالت: "ما الذى تنوين فعله يا عمتى (تيلدى)؟".

صاحت العمة (تيلدى) وهى تترنح خلفها وفكاها يرتجفان بغضب شديد: "أفعله؟.. ما هذا الهراء يا طفلتى؟.. لكى أستعيد جسمى بالطبع من هناك!.. نعم لأستعيد جسمى الذى أخذوه معهم إلى هناك.. هيا يا فتاة!".

دمدمت السيارة و(إميلى) متشبثة بعجلة القيادة وتحدق أمامها فى الطريق المنحنى المبلل بمياه الأمطار.. وهزت العمة (تيلدى) مظلتها وصاحت: "أسرعى يا طفلتى، أسرعى قبل أن يضخوا سوائل فى جسمى ثم يقطعونه إربًا إربًا كما يفعل الحانوتية الجزارين عادة!.. إنهم يقطعون الجثث ثم يخيطونها مرة أخرى حيث لا تفيد أحداً بعد ذلك!".

تنهدت الفتاة وقالت: "أوه يا عمتى.. أرجوك اعفينى من القيادة!.. إن ذلك لن يجدى نفعًا يا عمتى، لن يجدى نفعًا أبدا!".



FB@3abeth

"ها قد وصلنا".. واقتربت من الرصيف وأوقفت السيارة وانهارت على عجلة القيادة.. ولكن العمة (تيلدى) كانت قد انطلقت من السيارة وهرولت بتنورتها الأنيقة إلى مدخل مستودع الجثث ثم لفت من الخلف إلى حيث كانت تقف عربة نقل موتى سوداء لامعة وبعض الناس يتزلون منها صندوقًا من الخوص المجدول.

وجهت هجومها إلى أحد الرجال الأربعة الممسكين بالصندوق وصاحت فيه: "أنت يا هذا!.. ضع هذا الصندوق على الأرض!".

نظر إليها الرجال الأربعة باندهاش وقال أحدهم: "ابتعدى جانبًا يا سيدتى، نحن نقوم بعملنا".

لوحت لهم مهددة بمظلتها وقالت: "ولكن الجثة القابعة فى هذا الصندوق هى جثتى!".

قال رجل ثان: "أنا لا أفهم شيئًا مما تقولين يا سيدتى.. والآن أرجوك لا تعطلى المرور.. فهذا الصندوق ثقيل.. دعينا نعمل".

صاحت وهى مجروحة الفؤاد: "سيدى!.. أريد أن تعلم أن وزنى يبلغ مئة وعشرة أرطال(٢) فقط".

نظر الرجل إليها مشدوهًا وقال: "إن وزنك لا يهمنى أبدًا يا سيدتى.. وعلىّ أن اذهب إلى المنزل لتناول طعام العشاء، ولو تأخرت فسوف تقتلنى زوجتى".

---

(٢) الرطل يبلغ نحو ٤٥٤ جرامًا. (المترجم).



FB@3abeth

تحرك الرجال الأربعة، ووراءهم العمة (تيلدى) ودخلوا فى قاعة واسعة ومنها إلى غرفة تجهيز الموتى. وكان ينتظر وصول الصندوق رجل يرتدى بالطو أبيض اللون، ترتسم على وجهه الطويل الملهوف ابتسامة سرور.. ولكن العمة (تيلدى) لم تعبأ قط بوجهه البشوش أو حتى بشخصيته كلها.. ثم تم وضع الجثة هناك ولم يلبث الرجال الأربعة أن تفرقوا.

تأمل الرجل ذو البالطو الأبيض العمة، وقال لها: "سيدتى، هذا ليس مكان السيدات النبيلات".

ردت عليه بسرور: "حسنًا.. يسرنى أنك تشعر هكذا.. هذا هو بالضبط ما حاولت أن أقوله للشاب ذى الملابس السوداء".

تحير الحانوتى وقال: "من هو هذا الرجل ذو الملابس السوداء يا سيدتى؟".

"إنه الرجل الذى طفق يحوم حول منزلى ومعه الصندوق المجدول".

"لا يوجد رجل بهذا الوصف يعمل عندنا".

"مهما يكن.. فكما قلت بذكاء لتوك، هذا ليس مكان السيدات النبيلات، وأنا لا أحب أن أبقى هنا.. أريد أن أذهب إلى المنزل لأطبخ لحم الخنزير لضيوف يوم الأحد، وهو كما تعلم قريب من عيد الفصح.. فعندى (إميلى) ويجب أن أطعمها، كما أن لدى سويترات لأخيطها ومنبهات ملأها و....".



FB@3abeth

"أنت فيلسوفة حقًا يا سيدتى ومحبة للخير أيضًا.. لا شك فى ذلك بالمرة، ولكن أرجوك لدى عمل هنا يجب أن أنجزه.. فقد وصلت جثة إلى هنا"..

وقال الكلمات الأخيرة بشيء من الاستمتاع، وهو يضع جانبًا بعض السكاكين والأنابيب والقوارير والأدوات.

انتصب شعر (تيلدى) من الرعب وصاحت: "لا شك أنك ستضع بصماتك على هذه الجثة وأنا سوف...".

أزاحها الرجل جانبًا كما لو كانت حشرة حقيرة ونادى بشيء من التهذيب: "(جورج).. اصحب هذه السيدة إلى الخارج من فضلك".

حملقت (تيلدى) بغضب فى (جورج) القادم نحوهما ولم تلبث أن صاحت فيه: "أرنى ظهرك يا رجل.. لف إلى الناحية الأخرى عد من حيث أتيت!".

أمسك (جورج) بمعصميها وقال: "من هذه الناحية من فضلك".. بيد أن (تيلدى) تمكنت من تخليص نفسها منه بسهولة.. ولكن يبدو أن لحمها اختفى فجأة، وذلك أدهشها هى نفسها.. وهذه مهارة رائعة وغير متوقعة فى مثل هذا الوقت المتأخر من اليوم!

قالت وهى سعيدة بقدرتها: "انظر؟.. لا يمكنك أن تزحزحنى قيد أنملة!.. فقط أنا أريد أن أستعيد جسدى!".



FB@3abeth

فتح الحانوتى غطاء الصندوق بشكل عادى، وبعد أن دقق النظر فيما بداخله أكثر من مرة أدرك أن الجثة الموجودة بداخله هى... أو يبدو أنها.. أيمكن حدوث ذلك؟.. ربما.. نعم.. لا.. لا.. لا يمكن أن يحدث ذلك ولكن آه!".

وفجأة أخرج نفساً عميقاً واستدار واتسعت حدقتا عينيه ثم ضاقتا بسرعة.. وقال بحذر: "سيدتى.. هذه السيدة هى - أحد - أقربائك.. أليس كذلك؟".

"بلى، إنها قريبة للغاية منى".

حاول أن يتمسك بشىء من المنطق وقال: "ربما تكون شقيقتك".

"لا أيها الغبى.. إنها أنا!.. هل تسمعنى؟.. مرة أخرى: إنها أنا!".

دور الحانوت هذه الفكرة فى عقله ثم قال بهدوء: "لا.. أشياء كهذه لا تحدث أبداً".. وأخذ يعبث بأدواته، وقالت له: "(جورج)، أنت محتاج لمساعدة من الآخرين.. لا يمكننى أن أستمر فى الكلام مع شخص مخبول".

عاد الرجال الأربعة، ووضعت العمة (تيلدى) ذراعاً فوق أخرى علامة التحدى وصرخت فيهم: "لن أتزحزح من هنا أبداً!".. بينما كانوا ينقلونها، كمن ينقل جندياً بلوحة شطرنج، من غرفة التجهيز إلى غرفة سبات الموتى إلى القاعة ثم إلى غرفة الانتظار وإلى بهو الجنازات، حيث قذفت بنفسها على أحد المقاعد هناك فى منتصف البهو تماماً..



FB@3abeth

وكان هناك مجموعة من الأشخاص الجالسين على مقاعد في صمت وتفوح من حولهم رائحة الزهور النفاذة.

قال أحد هؤلاء الرجال لها: "أرجوك يا سيدتي.. هذا المكان ستستقر فيه الجثة في قداس الغد".

"أنا قابعة في مكاني هنا لا أبرحه إلا بعد حصولي على ما أريد".

جلست (تيلدي) وأصابعها الشاحبة تعبث في الشريط الذي يحيط برقبتها، وتشنج فكها.. وأخذت تدق بحذائها ذي الأزرار العلوية في الأرضية بضيق.. وإذا اقترب منها أحد فإنها لا تتردد في ضربه بمظلتها.. وعندما أمسكوا بها، لم تلبث أن انسلت من بين أيديهم.

سمع السيد (كارينجتون) مدير مستودع حفظ الجثث، الجلبة خارج مكتبه؛ فخرج يهرول في الممر ليستكشف الأمر وهمس إلى الجميع وهو واضع أصبعه على فمه: "هس!.. يجب أن يكون هنا تقدير واحترام كبيرين للموتى.. لكن ما هذا؟.. أوه، سيدتي، هل أستطيع مساعدتك؟".

نظرت إليه من أعلى ومن أسفل وردت عليه: "نعم، يمكنك ذلك".

"إذن أخبريني كيف أستطيع مساعدتك؟".

"اذهب إلى الغرفة الموجودة في الخلف هناك".

وأضافت بعد عدة ثوان:

"وقل لهذا المحقق الشاب المتحمس أن يتوقف عن العبث بجسمي!.. إنني مازلت آنسة.. إن الشامات والوحمات والندبات والخصائص



FB@3abeth

الشخصية الأخرى بما فيها التواء كاحلى هى أسرار خاصة بى.. ولا أريده أن ينتزع أو يتفحص أو يقطع أو يزيل أو يفسد أيًا منها بأى حال من الأحوال.

بدا ذلك غامضًا جداً للسيد (كارينجتون) الذى لم يكن ربط بعد بين الجسمين.. ونظر إلى المرأة العجوز بعجز تام وقلة حيلة.. وأردفت قائلة له: "لقد وضعنى على طاولة هناك مثل حمامة جاهزة لتشريحها وإخراج أحشائها ثم حشوها!".

هرول السيد (كارينجتون) لكى يتحقق من الأمر، وبعد خمس عشرة دقيقة من الانتظار الصامت والجدل الرهيب ومقارنة ملاحظاتها بالحانوتى الواقف خلف أبواب مقفلة، عاد (كارينجتون) ووجهه أكثر شحوبًا عن ذى قبل.

سقطت نظارة (كارينجتون) الذى أسرع بالتقاطها ثم قال: "إنك تصعبين الأمور علىّ يا سيدتى".

غضبت العجوز وصاحت: "أنا؟.. يا إله السماوات!.. انظر إلى جيداً يا سيد، إلى الدماء والعظام وما شابه ذلك.. أنت تقول لى إن....".

"إننا مازلنا نصفى الدم من الـ......".

"ماذا؟.. تصفون الدم من ماذا؟".

"نعم، نعم.. أؤكد لك هذا يا سيدتى.. والآن عليك أن تبتعدى عن هنا لأنه لا يوجد أى شىء يمكن أن أفعله لك".



FB@3abeth

وضحك الرجل بعصبية وأردف: "الحانوتى العامل هنا يقوم الآن بتشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة".

وثبت العمة واقفة على قدميها فجأة وهى تحتدم غيظًا وصاحت: "لا يمكنه أن يفعل هذا!.. لا يسمح بذلك إلا للمحققين الجنائيين فى أسباب الوفاة!".

"الحقيقة أننا فى بعض الأوقات نسمح ببعض الـ .....".

"تكلم مباشرة وقل لهذا الجزار أن يضخ الدم الأزرق النقى فى نيو انجلاند مرة أخرى داخل تلك الجثة الناعمة العارية، وإذا كان قد أخرج أى شىء منها قل له أن يعيده فورًا إليها بحيث تعمل بطريقة سليمة!.. ثم يجعل تلك الجثة نضرة كالطلاء الحديث ويعيدها إلىّ لأعتنى بها. هل تسمعنى؟".

"سيدتى لا يوجد شىء أستطيع أن أفعله.. لا شىء أبدا".

"إذن اعلم يا سيدى أننى سوف أقبع هنا طوال المائتى عام القادمة.. هل أنت مصغٍ إلىّ؟.. وفى كل مرة يصل إلى هنا أحد زبائنكم، فسوف أبصق البلازما الداخلية فى منخاريه مباشرة!".

دور (كارينجتون) هذه الفكرة المثيرة فى عقله المتهاوى ثم أطلق تأوهًا قويًا.. وقال: "إنك سوف تدمرين عملنا.. ألست تفعلين ذلك؟".

ابتسمت المرأة العجوز وقالت: "أليس علىّ أن أفعل ذلك؟".



FB@3abeth

ركض (كارينجتون) فى الممر المظلم، ومن بعد يمكنك أن تسمعه وهو يطلب رقمًا بالهاتف مراراً وتكراراً.. وبعد نصف ساعة زمجرت السيارات خارج مستودع جثث الموتى.. وسرعان ما أقبل من الممر ثلاثة من نواب رئيس مستودع حفظ الجثث بصحبة رئيسهم الذى أصبح يتصرف بطريقة هستيرية!

"ما سبب المشكلة هنا فى رأيك يا سيدتى؟".

أخبرتهم العمة ببضعة أشياء ضايقتها وأزعجتها. وعقدوا على الفور اجتماعًا، وأثناء الاجتماع طلبوا من الحانوتى التوقف عن عمله على الأقل حتى يتوصلوا إلى اتفاق حول أمر ما.. وخرج الحانوتى من غرفته ووقف يبتسم فى ود ويدخن سيجاراً أسود كبيراً.

صاحت المرأة فى هلع: "أين ستضع رماد هذا السيجار يا ترى؟!".

ابتسم الحانوتى بهدوء وبرود ونفخ من فمه هبة من الدخان. وعندئذ توقف الاجتماع.. وقال أحدهم: "سيدتى، ما هذا الضجيج؟.. هل تريديننا أن نخرج إلى الشارع لكى نكمل عملنا هذا؟".

فكرت العمة لبرهة وقالت: "لا مانع لدىَّ على الإطلاق".

مسح (كارينجتون) العرق من على وجهه وقال: "تستطيعين أن تستعيدى جسدك الآن".

صاحت العمة: "ها!".. ثم أردفت بحذر: "ولكن هل هو سليم كما كان؟"..



FB@3abeth

قال: "نعم".

"بدون فورمالديهايد"[٣] فقال: "بدون فورمالديهايد".

"والدم موجود بداخله؟". فقال: "نعم والدم موجود بداخله.. هلاّ أخذت الجسد الآن وانصرفت من هنا!".

هزت رأسها بتكلف وقالت: "هذا معقول جداً.. قم بالإصلاح.. اتفقنا!".

طرقع (كارينجتون) أصابعه ونظر باتجاه الحانوتي وقال له: "لا تقف هناك أيها المتخلف عقليًا.. أصلح الأمر!".

وقالت المرأة العجوز: "وانتبه لسيجارك هذا!".

وأردفت العمة (تيلدى): "على مهلكم، على مهلكم.. ضعوا الصندوق على الأرض حيث أستطيع أن أدخل فيه".

لم تنظر إلى الجسد كثيراً، وكان تعليقها الوحيد هو "يبدو طبيعيًا".. وعلى الفور عادت مرة أخرى إلى الصندوق.

شعرت ببرودة هائلة تسرى فى بدنها.. ثم أصابها غثيان ودوار شديد.. كانت عبارة عن قطرتين من المادة تندمجان فى بعضهما البعض.. كماء يحاول أن يرشح فى خرسانة.. وكان ذلك يتم ببطء وصعوبة..

---

(٣) غاز عديم اللون يستخدم لحفظ الجثث لفترة قصيرة. (المترجم).



FB@3abeth

كانت كفراشة تحاول أن تتسلل عائدة إلى داخل شرنقة خرجت منها خادرة[٤]!

راقب نواب الرئيس العمة (تيلدى) بشىء من الرهبة والخوف، وعصر السيد (كارينجتون) أصابعه وحاول المساعدة برفع ودفع أصابعه وذراعيه.. وشاهد الحانوتى ما يحدث وهو منتبه ومتشكك فى نفس الوقت.

نشعت المرأة فى حجر جرانيت صلب وبارد.. تسربت إلى داخل تمثال قديم متجمد.. وكانت تنضغط طوال ذلك الوقت.

صاحت العمة (تيلدى) لنفسها قائلة: "عودى إلى الحياة أيها اللعينة!.. قومى قليلاً".

وفجأة قام الجسد نصف قيام وهو يخشخش فى الصندوق الجاف.

"اثنى رجليك يا امرأة!".

صعد الجسد وهو يتلمس طريقه بدون أن يبصر شيئًا.. وصاحت العمة (تيلدى): "انظرى!".. ودخل النور فى العينين الكفيفتين!".

"اشعرى!".. وفى الحال أحس جسد المرأة بدفء الغرفة وحقيقة طاولة التجهيز التى تستند إليها وهى تشهق.

---

(٤) الحشرة فى الطور الذى يعقب اليرقة. (المترجم).



FB@3abeth

"تحركى!".. وتحرك جسد المرأة مسافة قصيرة محدثًا صريراً.

"اسـمـعى!".. وفى الحال دخلت أصوات المكان فى الأذنين الصماوين.. الأنفاس المتلاحقة المتقطعة للحانوتى ونشيج السيد (كاترينجتون) وطقطقة صوتها ذاته.

"سيرى!".. وعندئذ تحرك جسد المرأة.

"فكرى!".. وبدأ العقل يعمل من جديد.

"تكلمى!".. وتكلم جسد المرأة وهو ينحنى للحانوتية.. وقال: "أنا ممتنة لكم، أشكركم جداً".

وفى النهاية قالت العجوز: "ابكى!".. وفى الحال أخذ جسد المرأة يبكى وانسابت على خديها دموع السعادة.

والآن فى الساعة الرابعة من عصر أى يوم إذا أردت زيارة العمة (تيلدى) فما عليك إلا أن تذهب إلى محل العاديات الذى تملكه وتطرق على الباب، وستجد عند الباب إكليلاً من الزهور الجنائزية السوداء.. لكن لا تهتم كثيراً بذلك!.. فقد تركتها العمة (تيلدى) هناك، فهى تتمتع بروح الدعابة دائمًا.. إذن عليك طرق الباب، وهذا الباب مقفل دائمًا بمزلاجين وأيضًا بثلاث لفات من المفتاح.. وبعد الطرق ستسمع صوتها الحاد متجهاً إليك: "هل هذا هو الرجل المرتد ملابس سوداء؟".

وستضحك وتقول: "لا، لا، إنه أنا أيها العمة (تيلدى)".. وستضحك هى أيضًا وتقول: "إذن ادخل بسرعة!".. وستفتح لك الباب على مصراعيه



FB@3abeth

ثم تقفله خلفك مباشرة حيث لا يمكن لأى رجل يرتدى ملابس سوداء أن يدخل معك. ثم تجلسك وتصب لك بعض القهوة وتريك آخر سويتر حاكته بنفسها. إنها لم تعد سريعة كما كانت من قبل، كما أنها لا ترى جيداً كما كانت من قبل، ولكن تدبر أمورها على كل حال.

وتقول لك العمة (تيلدى): "وإذا كنت جيداً حقًا، فسوف أعطيك مفاجأة صغيرة".

وعادة ما يسألها الزائر: "وما هذه المفاجأة؟".

تقول العمة وهى مسرورة بغرابة ما تقوله أو بالأحرى بنكتتها الصغيرة: "هذه".

ثم بحركات بسيطة من أصابعها سوف تفك شريطاً أبيض من حول رقبتها وصدرها وتريك اللحظة ما يوجد بالداخل.

وسترى جرحًا أزرق طويلاً هو مكان التئام القطع الجراحى الذى حدث أثناء تشريح الجثة لمعرفة سبب الوفاة.

وسوف تقول لك بمرح: "إنها ليست خياطة سيئة لامرأة، أليس كذلك؟.. أوه، يجب ألا أنسى واجبات الضيافة.. هل أصب لك مزيداً من القهوة.. آه، ها هى ذى!".



FB@3abeth

# سوف تسقط أمطار خفيفة

فى غرفة المعيشة، أطلقت الساعة الناطقة صوتًا شجيًا، تك توك.

الساعة السابعة صباحًا، حان وقت الاستيقاظ، حان وقت الاستيقاظ إنها تمام السابعة صباحًا. وكأن الساعة الناطقة تخشى ألا يستجيب أحد لندائها. كان المنزل فى الصباح الباكر فارغًا. أخذت الساعة الناطقة تصدر أصواتها الخفيضة الحادة مرارًا وتكرارًا، لتضيع فى الخواء. الساعة السابعة وتسع دقائق، حان وقت الإفطار، السابعة وتسع دقائق!

أصدر موقد الإفطار صوت صافر حاد، وقذف من باطنه الدافئ، ثمانى قطع من الخبز البنى المحمص بالكامل، وثمانى بيضات مقلية على جانب واحد، وست عشرة شريحة من لحم الخنزير المملح والمقدد وفنجانين من القهوة وكوبين من الحليب البارد.

انطلق صوت ثان من سقف المطبخ "اليوم هو الرابع من أغسطس عام ٢٠٢٦، فى مدينة (أولنديل) بولاية (كاليفورنيا)" وأخذ الصوت يكرر التاريخ ثلاث مرات، حتى يثبت فى ذاكرة من قد يستمع إليه.



FB@3abeth

"اليوم عيد ميلاد السيد (فيذرستون). اليوم الاحتفال بذكرى زواج (تيليتا). قسط التأمين مستحق الدفع وكذلك فواتير المياه والغاز والكهرباء".

في مكان ما غير معروف داخل الجدران، أخذت المشغلات الكهربائية تصدر صوتًا رتيبًا، ودارت أشرطة ذاكرة وتحركت بسلاسة وسهولة، تحت رقابة عيون كهربائية.

الساعة الثامنة صباحًا ودقيقة واحدة، تك توك. الساعة الثامنة ودقيقة واحدة، هيا إلى المدرسة، هيا إلى العمل، أسرعوا، أسرعوا، فالساعة الثامنة ودقيقة واحدة! بيد أنه لم يُصفق باب، ولم يدس أحد بنعومة بكعب حذائه المطاطي فوق السجاد، وكان المطر ينهمر خارج المنزل. غرد صندوق معرفة والتنبؤ بالطقس المعلق فوق الباب الأمامي، بصوت شجي هادئ "المطر ينهمر، المطر ينهمر، هيا اذهبوا، وارتدوا أحذيتكم المطاطية ومعاطفكم الواقية من المطر، لأن اليوم طقس سيئ.." وأخذ المطر ينقر على المنزل الخالي، فيحدث صدى.

وفي الخارج، أصدر الجراج صوتًا موسيقيًا بقرع مجموعة من الأجراس، ورفع بابه ليكشف عن السيارة المنتظرة في الداخل. وبعد ترقب طويل، تأرجح الباب وأغلق من جديد.

وفي الثامنة والنصف، تجعدت البيضات من الجفاف، وأصبح الخبز المحمص كالحجر. امتد وتد من الألومنيوم، وألقى بها في البالوعة، حيث قامت مياه ساخنة بالتحرك فوقها بشكل دائري وباتجاهات عشوائية،



FB@3abeth

ودفعتها إلى أنبوب معـدنى، ليحولها إلى مركبـات كيميـائية أبسـط، ثم يقذف بها بعيداً فى البحر.

وألقيت الأطباق المتسخة فى آلة غسيل بها مياه ساخنة، وبعد فترة برزت منها وهى جافة ونظيفة.

فى التاسعة والربع، أصدرت الساعة الناطقة صوتاً شجياً "حان وقت التنظيف". ومن مناطق معينة فى الجدران، اندفعت كالسهام فئران آلية دقيقة الحجم. وسرعان ما امتلأت حجرات المنزل بحيوانات التنظيف الآلية الضئيلة. كانت كلها مصنوعة بالكامل من المطاط والمعدن. أخذت تحوم حول المقاعد محدثة صوتاً مكتوماً، وتمد شواربها الرفيعة الطويلة، وتدلك السطح الناعم للسجادة، لتمتص التراب الذى يتوارى فى كل مكان. ثم عادت بسرعة إلى مخابئها مثل غزاة غامضين أتموا مهمتهم، وخبت عيونها الوردية الكهربائية، بعد أن أصبح المنزل نظيفاً.

الساعة العاشرة. بزغت الشمس من خلف المطر. كان المنزل منتصباً بمفرده فى مدينة تمتلئ بكسارة الحجر والرماد. كان هذا هو المنزل الوحيد الذى ظل قائماً، وفى الليل أطلقت المدينة وهجاً إشعاعياً، كان يمكن رؤيته من مسافة أميال عديدة.

الساعة العاشرة والربع. أطلقت مرشات الحديقة نافورات دوارة من المياه الذهبية، التى ملأت نسيم هواء الصباح المنعش بتألقات منتشرة باتجاهات عشوائية متباينة. وانهالت المياه على الألواح الزجاجية للنوافذ، وتساقطت على الجانب الغربى المتفحم من المنزل، الذى احترق بطريقة



FB@3abeth

متوازنة، وزال طلاؤه الأبيض، أصبحت الواجهة الغربية بأكملها سوداء، إلا من خمسة مواضع. هنا صورة جانبية غامقة اللون مرسومة بالطلاء، لرجل يجز العشب في مرجة خضراء، وفي مكان آخر، امرأة تحني ظهرها لتقطف الزهور، وتبدو وكأنها في إطار صورة. وعلى البعد، ظهرت صور محترقة على الخشب تمثل لحظة مروعة، إحداها لطفل صغير امتدت يداه عاليًا في الهواء، وفي جزء آخر من الصورة كرة تقذف إلى أعلى، وفي مواجهة الطفل الصغير فتاة ارتفعت يداها لالتقاط الكرة، التي لم تسقط قط. ظلت مواضع الطلاء الخمسة باقية - الرجل والمرأة والطفل الصغير والفتاة والكرة - أما المتبقي من واجهة المنزل، فكان طبقة رفيعة من الفحم.

ملأت الحديقة القطرات المندفعة من المرشات، بضوء متساقط.

وحتى ذلك اليوم، لا يدري أحد كيف ظل المنزل محتفظًا بهدوئه وأمنه، وكيف تساءل بحذر "من هذا الذي هناك؟ ما هي كلمة السر؟"، وعندما لم يسمع أية إجابات من الثعالب الشاردة ولا من القطط العاوية، قام المنزل بغلق نوافذه وأسدل ستائره بطريقة محكمة، كما تفعل العانس الوحيدة، التي يستحوذ على فكرها حماية ذاتها، وهي على وشك الإصابة باضطراب نفسي بسبب المنظومة الآلية التي تتعايش معها.

وكان المنزل يختلج عند صدور أي صوت، فإذا مس أحد العصافير الصغيرة نافذة برفق، ارتفعت الستائر بحركة خاطفة، مما يؤدي إلى فزع العصفور وطيرانه بعيدًا! لا، يجب ألا يلمس هذا المنزل أي شيء، حتى لو كان عصفورًا صغيرًا!



FB@3abeth

كان داخل المنزل بمثابة مذبح[١]، يقوم عشرة آلاف من التابعين الآليين، كباراً وصغاراً بأداء الطقوس والخدمة وكأنهم جوقة من المرتلين في كنيسة. واستمرت الطقوس الدينية - بلا معنى وبدون جدوى - على الرغم من رحيل الآلهة[٢] عن المنزل.

الساعة الثانية عشرة ظهراً.

عوى كلب وأخذ يرتجف عند المدخل المسقوف الأمامي للمنزل. تعرف الباب الأمامي على صوت الكلب، فانفتح آليًا. دلف الكلب إلى المنزل، كان قويًا وسمينًا في يوم ما، أما الآن فقد أصبح خائر القوى بارز العظام ومغطى بالقروح، أخذ يتحرك في المنزل وعبر حجراته وقاعاته، مخلفًا وراءه آثار طين على الأرضيات والسجاد.

وانطلقت خلفه الفئران الآلية الغاضبة، لأنه كان عليها أن تلتقط حبيبات الطين وبسبب ما أحدثه الكلب من إزعاج. لم يكن غضبها من أجزاء من أوراق الأشجار، اندفعت من فتحة الباب، ولكن من أجل ألواح الجدران التي فتحت بحركة خاطفة، واندفع من داخلها على الفور الفئران الآلية المصنوعة من فضلات النحاس.

وكانت المخلفات المزعجة كالغبار أو الشعر أو الورق، تمسك بها أسنان ضئيلة من الصلب، وتنطلق بها عائدة إلى جحورها. وهناك عبر

(١) بناء تقام فيه الطقوس الدينية وتقدم القرابين حسب معتقدات بعض الديانات. (المترجم).
(٢) يقصد المؤلف هنا أصحاب المنزل. (المترجم).



FB@3abeth

أنابيب سفلية تؤدى إلى قبو، يتم إلقاء القمامة فى فتحة - تصدر صوتاً آليًا خافتًا - لفرن حرق المخلفات، الذى يقبع فى ركن مظلم وكأنه إله الشر (بعل)[٣].

ركض الكلب إلى الأدوار العليا، وراح ينبح بطريقة هستيرية عند كل باب، وأخيراً أدرك - كما فعل المنزل من قبل - أنه ليس ثمة شيء إلا الصمت. تشمم الهواء وأنشب مخالبه فى باب المطبخ. وخلف الباب كان الموقد يصنع فطيراً من الطحين والحليب والبيض، عبقت رائحته أنحاء المنزل، إنها رائحة خبز شهى، والنكهة المميزة لشراب سكر (القيقب)[٤]. راح الكلب يرغى ويزبد من فمه، ويتشمم الهواء، واحمرت عيناه وكأنها تأججت بالنيران. وأخذ يدور حول نفسه بسرعة واهتياج، وراح يعض ذيله على نحو جامح، وترنح بعنف ثم رقد جثة هامدة!

تمدد جسده فى حجرة الاستقبال لمدة ساعة.

وفى الساعة الثانية، غرد صوت..

شعرت الفئران الآلية المنظفة أخيراً بالتحلل، فانطلقت "كتيبة عسكرية" طنانة منها، من جحورها بداخل الجدران، بسلاسة وخفة وكأنها أوراق الأشجار الرمادية التى تذروها رياح عاتية.

(٣) إله وثنى فى الأساطير الآشورية القديمة. (المترجم).

(٤) عصارة ذات طعم سكرى لونها بنى ذهبى، تستخرج من أشجار القيقب التى تنمو فى روسيا وأوروبا وكندا. (المترجم).



FB@3abeth

الساعة الثانية والربع..

لم يعد للكلب أي أثر..

فجأة توهج القبو وفرن حرق المخلفات، وانطلق شرر في شكل دوامة سريعة من المدخنة.

الساعة الثانية وخمس وثلاثون دقيقة.

برزت من جدران الفناء المرصوف[٥] مناضد لعبة (البريدج)[٦]، وخفقت بسرعة أوراق اللعب فوق اللباد الأخضر الذي يغطي المناضد، مثل شلال مياه. ثم ظهرت كؤوس (المارتيني)[٧]، فوق طاولات طويلة من خشب البلوط، مع شطائر من البيض والسلطة. وعزفت الموسيقى. بيد أن المناضد كانت صامتة، كما لم يمس أحد أوراق اللعب.

في الساعة الرابعة، طويت المناضد - وكأنها فراشات عملاقة - عائدة إلى مخابئها في الجدران ذات الألواح المتحركة.

الساعة الرابعة والنصف.

تألقت جدران حجرة الأطفال بالمنزل.

---

(٥) مساحة مرصوفة مجاورة للمنزل تستخدم خصوصًا لتناول الطعام في الهواء الطلق. (المترجم).

(٦) لعبة ورق غالبًا يشارك فيها أربعة لاعبين. (المترجم).

(٧) شراب مسكر. (المترجم).



FB@3abeth

واتخذت دمى الحيوانات أشكالاً: زرافات صفراء وأسود زرقاء وظبيان حمراء وردية ونمور أرجوانية تثب مرحًا في مادة بلورية شفافة.

كانت الجدران من الزجاج تطل على مشهد رائع من الألوان والخيال الجامح، وأخذت أفلام سينمائية تسجل الوقائع، وهي تدور على حافة عجلة مسننة، تم تزييتها بدقة، وبدت الجدران وكأنها تنبض بالحياة.

وصنعت أرضية حجرة الأطفال، بحيث تشبه مرجًا أخضر متموجًا مزروعًا بنباتات حبيّة[8]. وفوق الأرضية جرى صراصير من الألومنيوم وحشرات أخرى متنوعة من الحديد، وفي داخل الحجرة حيث الهواء الساكن الساخن، طارت فراشات ذات أنسجة حمراء رقيقة، وتأرجحت بين الشذا الذي تخلف عن آثار الحيوانات الدمى!

وكان ثمة صوت مثل ذلك الذي يصدر عن خلية نحل صفراء ضخمة، تقبع داخل قبو مظلم، والطنين الرتيب لأسد يهر[9]. بالإضافة إلى صوت خطى سريعة خفيفة الوقع لأقدام حيوان (الأكاب)[10]، والصوت الخفيض لسيل من أمطار الغابة، التي تتساقط دائمًا على العشب ونباتات الذرة والبطاطا والقمح والأرز وغيرها.

(٨) أي التي تنتج الحبوب كالذرة. (المترجم).

(٩) صوت ناعم شبيه بصوت القطة. (المترجم).

(١٠) حيوان يشبه الزرافة ولكن رقبته قصيرة. (المترجم).



FB@3abeth

وتلاشت الجدران، وظهرت مساحات كبيرة من الأعشاب الضارة، تمتد ميلاً بعد آخر، تحت سماء دافئة لا نهاية لها. وتوقفت الحيوانات لتقتات على النباتات الشوكية وتشرب من برك الماء.

لقد كان هذا وقت المرح واللعب للأطفال.

الساعة الخامسة، امتلأ حوض الاستحمام بالماء النقى الساخن.

الساعة السادسة، السابعة، الثامنة.

أعدت أطباق وجبة العشاء وعندما لم يتناول محتوياتها أحد، أزيلت من فوق مائدة الطعام، وكأنما بطريقة سحرية، وصدرت قرقعة من غرفة المكتب بالمنزل.

ومن الحامل المعدنى - الذى يواجه المدفأة حيث تتوهج نيران وقودها الخشب - برز سيجار من فوق قمة الحامل على نحو مفاجئ، نصف بوصة منه عبارة عن رماد ناعم، ينتظر من يأخذه ويقوم بتدخينه.

الساعة التاسعة، أخذت مضاجع حجرات النوم، تدفئ دوائرها الكهربية الخفية، إذ إن الليالى كانت باردة فى تلك النواحي.

الساعة التاسعة وخمس دقائق، تحدث صوتًا من سقف حجرة المكتب.

"السيدة (ماكليلان)، ما القصيدة التى تودين سماعها هذه الليلة؟".

كان الصمت مطبقًا فى المنزل كله.



FB@3abeth

بعد فترة استطرد الصوت قائلاً "طالما أنك لم تختارى قصيدة بعينها، فسوف أختار لك قصيدة بطريقة عشوائية".

تصاعدت موسيقى هادئة لتتناغم مع الصوت.

"سوف أقرأ لك إحدى قصائد الشاعرة (سارة تسديل)[11]، وهى المفضلة لديك على ما أذكر..".

"سوف تسقط أمطار خفيفة، لتجعل الأرض تفوح بشذاها".

"وتحلق طيور السنونو فى دوائر، صادحة بصوتها العذب".

"وتغنى الضفادع من البرك ليلاً".

"وتكتسى أشجار البرقوق والخوخ البرية، بأردية بيضاء مرتجفة".

"وترتدى طيور السنونو ريشًا متوهجًا".

"وتغرد تعبيراً عن نزواتها الخيالية فوق سياج منخفض من السلك".

"ولن يعرف أى شخص شيئًا عن حرب، أى شخص على الإطلاق".

"لهذا لن يهتم أحد إذا اندلعت الحرب فى نهاية الأمر".

"ولن يكترث أى مخلوق، لا طائر ولا شجرة".

"إذا هلك الجنس البشرى تمامًا".

---

(١١) شاعرة أمريكية (١٨٨٤ - ١٩٢٣). (المترجم).



FB@3abeth

"حتى الربيع ذاته، إذا استيقظ فجراً".

"سوف يعرف بالكاد، إن الجنس البشرى قد انقرض".

انتهى الصوت الصادر من السقف من إلقاء القصيدة ثم توقف.

وكانت نيران المدفأة قد استهلكت وقودها وانطفأت، وسقط السيجار فوق صينية، تحيط به كومة من الرماد الناعم. كانت المقاعد الخالية تواجه بعضها بعضاً، وتحيط بها الجدران الصامتة، حينئذ عزفت الموسيقى.

فى الساعة العاشرة، بدأ المنزل يعالج سكرات الموت.

هبت الريح. انكسر غصن رئيسى فى شجرة وهوى فوق نافذة المطبخ فحطمها. تهشمت زجاجات محلول التنظيف وتناثرت فوق الموقد. وتأججت الحجرة بالنيران فى لحظة واحدة!

صرخ صوت "حريق!" أضاءت فجأة أنوار المنزل، وانبثقت المياه فى مضخات مثبتة فى السقف. وانتشر محلول التنظيف فوق شمع الأرضية، يدمرها ويحدث بها ثقوباً، ثم وصل إلى تحت باب المطبخ، بينما كانت الأصوات ترتفع وكأنها صادرة من جوقة المغنين والمنشدين "حريق، حريق، حريق!".

حاول المنزل جاهداً أن ينقذ نفسه. انصفقت الأبواب وأغلقت بإحكام، إلا أن الحرارة اللافحة كانت قد حطمت النوافذ، وهبت الريح فزاد تأجج النيران. وتراجعت آليات الدفاع عن المنزل مهزومة،



FB@3abeth

أخذت النيران - المكونة من عشرة بلايين شرارة غاضبة - تتحرك بسرعة وسهولة في شكل لهب لافح، من حجرة إلى أخرى ثم صعدت إلى الأدوار العليا.

وانطلقت فئران الإطفاء الآلية من جحورها في داخل الجدران، بصرير حاد، وأخذت تطلق رشاشات قوية من المياه على النيران ثم عادت لتملأ خزاناتها بعد أن فرغت.

وانبثقت من الجدران نافورات من المياه لإطفاء النيران، مثل أمطار غزيرة آلية. ولكن سبق السيف العزل؛ ففي مكان ما بالمنزل، توقفت مضخة محدثة صريراً خافتًا، وخمدت مياه إطفاء الحريق. ونضب خزان المياه الاحتياطي، الذي ملأ من قبل الحمامات وغسل الأطباق لأيام عديدة سادها السكون والهدوء.

اندفعت النيران إلى الأدوار العليا عبر الدرج، محدثة صوت قرقعة. وفي القاعات التهمت لوحات (بيكاسو)(١٢) و(ماتيس)(١٣)، كطعام شهي مخبوز بألوان الرسم الزيتي، وجعدت بتؤدة اللوحات الزيتية المرسومة على قماش الكنفا(١٤)، وحولتها إلى شظايا رقيقة سوداء فاحمة.

---

(١٢) بابلو بيكاسو (١٨٨١-١٩٧٣) رسام ونحات إسباني مؤسس الحركة التكعيبية في الفن. (المترجم).

(١٣) هنرى ما تيس (١٨٦٩-١٩٥٤) رسام فرنسي ينتمي إلى المدرسة الوحشية في الفن. (المترجم).

(١٤) قماش غليظ من القطن أو الكتان تستخدم قطعاً منه للرسم الزيتي. (المترجم).



FB@3abeth

وصلت النيران إلى المضاجع واشتعلت فيها بأكملها، كما تأججت فى النوافذ، وغيرت الألوان المبهجة للستائر المسدلة إلى ألوان قاتمة كئيبة!

عندئذ جاءت التعزيزات لدعم جهود المنزل فى مواجهة الحريق..

فمن عليّة[١٥] المنزل فتحت أبواب بمفصلات، لتنطلق منها روبوتات ذات وجوه خالية من العيون، وهرعت إلى مواضع النيران المشتعلة، وأخذت تقذف من أفواهها المفتوحة، بمادة كيميائية خضراء. وهنا تراجعت النيران، كما يفعل الفيل عندما يشاهد أمامه ثعبانًا ميتًا. وقتئذ كان هناك عشرون ثعبانًا آليًا - فى شكل روبوتات - تغرق الأرضيات بالمادة الكيميائية المقاومة للحريق، وتقتل النيران المتأججة بالرغوة الخضراء، وكأنها سم زعاف بارد.

بيد أن النيران كانت بارعة، إذ إنها أطلقت أحد ألسنة لهبها إلى الخارج، عبر عليّة المنزل إلى حيث مضخات المياه. عندئذ حدث انفجار مروع! وتناثر العقل الآلى فى العليّة - الذى يتحكم فى مضخات المياه - فى شكل شظايا برونزية فوق الدعامات الرئيسية الخشبية للمنزل.

اندفعت النيران عائدة إلى كل خزانة ثياب، لتدمر كل الملابس المعلقة بها.

---

(١٥) موضع تحت سطح المنزل مباشرة (المترجم).



FB@3abeth

ارتجفت أوصال المنزل، واهتزت عظامه التى من خشب البلوط، وانكمش إلى الخلف هيكله المكشوف للعيان، مرتعداً من الحرارة اللافحة للحريق.

كما انكشفت أسلاكه - التى تمثل خلاياه العصبية - وكأنما قام جراح بشق جلده ليمكن الأوعية الدموية الحمراء والشعيرات الدموية(١٦) أن تختلج فى الهواء شديد الحرارة. صرخت أصوات آلية من أماكن عدة بالمنزل:

"النجدة، النجدة! حريق! اهربوا!، اهربوا!".

أدت الحرارة اللافحة إلى تهشيم المرايا، كما يحدث لأول ثلوج الشتاء القصيفة.

أخذت الأصوات تعلو مدوية ونائحة "حريق، حريق، اهربوا بسرعة".

كانت عبارة عن إيقاعات مأساوية فى حجرة الأطفال، عشرات الأصوات، عالية ومنخفضة، كأنها تصدر عن أطفال وحيدين يموتون فى غابة. وخبت الأصوات عندما ظهرت الأسلاك فجأة، خارجة من أغلفتها وكأنها ثمار القَسْطل(١٧) الساخنة.

توقف صوت وصوتان وثلاثة أصوات وأربعة أصوات ثم خمسة أصوات.

---

(١٦) شعيرات دقيقة تتكون من طبقة واحدة من الخلايا. (المترجم).

(١٧) (أبو فروة). (المترجم).



FB@3abeth

وفى حجرة الأطفال، كانت الغابة الآلية تحترق. زأرت الأسود الزرقاء، وتقدمت الزرافات الأرجوانية بوثبات عالية وركضت النمور السوداء فى دوائر، وهى تغير ألوانها، وجرى عشرة ملايين حيوان أمام النيران ثم اختفت فى اتجاه نهر بعيد يتصاعد منه البخار..

تلاشت عشرة أصوات أخرى داخل المنزل، وفى اللحظات الأخيرة، تحت تيهور[١٨] النيران، أمكن سماع أصوات جوقات من المغنين والمنشدين، غافلين عن الحريق، تعلن عن الوقت وتعزف الموسيقى الشجية، كما قامت معدات آلية بالمنزل، بقطع عشب الحديقة بواسطة حاصدة تعمل بالتحكم عن بعد، ونشر مظلات ضخمة خارج وداخل المنزل لوقايته من حرارة الشمس وفتح وانصفاق الباب الأمامى. هنا يجرى ألف حدث، مثلما يحدث داخل متجر لبيع وتصليح الساعات، عندما تدق كل ساعة معلنة عن الوقت لحظياً، قبل أو بعد ساعة أخرى، إنه مشهد مروع من الاضطراب الجنونى، حيث الأوقات متداخلة نظراً لأنها غير منضبطة.

ومع هذا فقد كان ثمة نشاط ما فى داخل المنزل، غناء، وصراخ، وبعض من آخر الفئران الآلية المنظفة يندفع بسرعة بالغة وبشجاعة إلى الخارج ليقذف بالرماد الكريه بعيداً!

(١٨) انهيار ثلجى أو صخرى أسفل الجبل. (المترجم).



FB@3abeth

وقام صوت وحيد، ينم عن مستوى فكرى وأخلاقى وروحى رفيع، بقراءة قصائد شعرية بصوت مرتفع فى حجرة المكتب الملتهبة، دون أن يكترث بالدمار الذى أحدثته النيران، إلى أن احترقت الملفات عن آخرها، وحتى تجعدت كل الأسلاك وتكسرت، وتصدعت الدوائر الإلكترونية والكهربائية.

أدى الحريق إلى انفجار المنزل بعنف نتيجة الضغط الداخلى، وسقوطه فجأة مثل كومة من التراب، تنفث شرراً ودخاناً. وفى المطبخ، وما يقرب من لحظات قبل هطول أمطار النيران والخشب، كان يمكن رؤية الموقد يقوم بإعداد وجبة الإفطار بمعدل جنونى، مئة وعشرين بيضة وستة أرغفة من الخبز المحمص، ومئتين وأربعين شريحة من لحم الخنزير المملح والمقدد، وعندما أتت عليها نيران الحريق، بدأ الموقد فى إعداد الوجبات من جديد، بطريقة هستيرية وهو يصدر صوت صافر حاد!

حينئذ حدث الانهيار المروع للمنزل. حطمت العليّة المطبخ وغرفة الاستقبال، وانهارت غرفة الاستقبال فوق المخزن، وحطم المخزن القبو، وتداعت المجمدات وتكومت المقاعد ذات الذراعين. وتمزقت أشرطة تسجيل الأفلام، وتصدعت الدوائر الإلكترونية والكهربائية وتفسخت المضاجع وانهارت كل هياكل البناء تحت الأنقاض.

دخان وسكون. كمية هائلة من الدخان المتصاعد.



FB@3abeth

وبزغ الفجر خافتًا في المشرق. وانتصب جدار وحيد بين الدمار. وفي داخل هذا الجدار، قال صوت أخير، مراراً وتكراراً والمرة تلو المرة، على الرغم من أن الشمس ارتفعت في السماء، وأخذت تشع ضوءها على أكوام الحجارة والأنقاض والبخار المتصاعد "اليوم هو الخامس من شهر أغسطس عام ٢٠٢٦، اليوم هو الخامس من شهر أغسطس عام ٢٠٢٦، اليوم هو......".



FB@3abeth

# الجنة فوق المريخ

هبطت السفينة الفضائية من السماء، جاءت من بين النجوم المتألقة والدوامات المروعة داكنة السواد للكون والتحركات المتوهجة للأجرام السماوية والهوات الصامتة للفضاء.

سفينة فضاء حديثة وجديدة وفريدة، كانت تعمل بالوقود المشع، تضم رواد فضاء فى خلاياها المعدنية، كانت تتحرك بانسياب وسلاسة وفى سكون، حارة متقدة حيث يشتعل الوقود ولكنها دافئة فى داخلها.

تحوى بين جنباتها سبعة عشر رائد فضاء، من بينهم قائدهم عندما أقلعت من الميناء الفضائى بولاية (أوهايو) الأمريكية، شيعها حشد من المودعين بالهتاف والتحية برفع أيديهم عاليًا فى ضوء الشمس، وقذف الصاروخ الضخم الذى حملها إلى الفضاء، بألسنة لهب جبارة أشبه بزهور عملاقة من الحرارة والألوان، وهكذا انطلقت إلى الفضاء فى ثالث رحلة إلى كوكب المريخ!

والآن، أخذت السفينة الفضائية تخفض سرعتها فى الأجواء العليا للمريخ بفاعلية وكفاءة، وبتحكم كامل فى أجهزتها المعدنية. كانت لاتزال شيئًا رائعًا يعبر عن الجمال والقوة.



FB@3abeth

كانت قد أبحرت فى محيطات الكون حالكة السواد، مثل حية بحر أسطورية باهتة. وبعد أن اجتازت القمر ذا البراكين والفوهات الموغلة فى القدم، أخذت تشق طريقها فى نسيج الفضاء إلى الأمام، من خواء إلى آخر. وقد لاقى رواد الفضاء بها عذابًا شديدًا، أثناء تلك الرحلة، إذ أثخنتهم الجراح وتعرضوا للكسور بسبب الارتجاجات العنيفة للسفينة الفضائية، كما أصابتهم الأمراض وتم شفاؤهم منها، الواحد تلو الآخر، كل بدوره، ومات منهم واحد، فأصبح عددهم الآن ستة عشر فقط. أخذوا جميعًا يحدقون عبر الكوات ذات الزجاج السميك ووجوههم ملتصقة بها، وعيونهم متسعة من فرط الدهشة. لقد كانوا يراقبون عن كثب كوكب المريخ، يتأرجح أسفلهم.

صاح الملاح الفضائى (لوستج): "إنه المريخ!".

قال عالم الآثار (صامويل هنكستون): "كوكب المريخ العزيز!".

قال الكابتن (جون بلاك): "لقد وصلنا أخيرًا إلى هدفنا".

هبطت السفينة الفضائية فوق مرج من العشب الأخضر، وخارج المرج كان هناك تمثال حديدى لغزال، وعلى مسافة من العشب، شيد منزل مرتفع بنى اللون على الطراز الفكتورى[1] ساكنًا فى ضوء الشمس، مزين بالكامل بالحليات الحلزونية وفن الرُكوك[2]، ونوافذه صنعت من الزجاج الملون، الأزرق والأحمر الوردى والأصفر والأخضر.

---

(١) فن العمارة الذى اشتهر فى القرن التاسع عشر فى إنجلترا. (المترجم)

(٢) فن يتميز بالإفراط فى الزخرفة والتعقيد. (المترجم)



FB@3abeth

وعند مدخل المنزل الرئيسى نمت نباتات "إبرة الراعى" ذات الزغب والأزهار بنفسجية اللون، وبجانبها انتصبت أرجوحة قديمة مثبتة فى سقف المدخل، راح يؤرجحها النسيم العليل، إلى الأمام وإلى الخلف مراراً وتكراراً.

وفى قمة المنزل، كان هناك سطح مقبب به نوافذ من الزجاج المصفح بالرصاص، وسقف شبه مخروطى!

ومن خلال النافذة الأمامية، كان يمكن مشاهدة نوتة موسيقية بعنوان "(أوهايو) الجميلة"، موضوعة على مسند "فوق آلة موسيقية تشبه البيانو". وحول السفينة الفضائية - من كل الاتجاهات - تمتد المدينة الصغيرة، خضراء وساكنة فى الربيع المريخى. كانت ثمة منازل بيضاء وأخرى مشيدة بالطوب الأحمر، تتخللها أشجار "الدردار" التى تهتز مع النسيم، وأشجار "القبقب" الباسقة ونباتات "الكستناء البرية". وعلى البعد كانت هناك كنيسة ذات أبراج عالية تعلوها أجراس ذهبية ساكنة.

شاهد رواد الفضاء كل هذا ثم نظروا إلى بعضهم البعض فى دهشة بالغة، وعادوا يحدقون فيما حولهم من جديد، كانوا ملتصقين ببعضهم البعض، وهم يشعرون فجأة - أو هكذا خيل إليهم - بأنهم غير قادرين على التنفس. وأصبحت وجوههم شاحبة.

همس (لوستج)، بينما كان يحك وجهه بأصابعه فاقدة الحس: "اللعنة. اللعنة!".



FB@3abeth

قال (صامويل هنكستون) بذهول: "إن ما نراه حولنا مستحيل".

قال الكابتن (جون بلاك): "يا إلهى".

هتف الكيميائى: "سيدى، إن الجو رقيق ولكن به أكسوجين كاف، يصلح للتنفس. إنه آمن".

قال (لوستج): "لنغادر السفينة الفضائية إذنًا".

صاح الكابتن: "توقفوا. كيف يمكننا تفسير هذا الشيء العجيب الذى نراه؟".

عاد الكيميائى يقول: "سيدى، إنها مدينة صغيرة هواؤها رقيق ولكنه صالح للتنفس".

قال عالم الآثار (هنكستون): "إنها مدينة صغيرة شبيهة بمدن كوكب الأرض! إنه أمر لا يصدق. ومستحيل وجوده، ولكن ها هى ذى ماثلة أمامنا كحقيقة واقعة".

نظر إليه الكابتن بحدة وقال: "(هنكستون)! أتظن أنه يمكن أن تتطور حضارتا كوكبين بنفس المعدل والطريقة؟".

رد (هنكستون) قائلاً: "سيدى، لم أكن أتصور إمكان حدوث هذا الأمر!".

وقف الكابتن عند كوة زجاجة وقال "انظر إلى هذه الجهة التى يزدهر فيها نبات "إبرة الراعى".. إنه نبات يتطور بحيث يصبح متكيفًا مع بيئة محددة بعينها.



FB@3abeth

إن هذا النبات بالذات - بكل أنواعه - لم يُعرف إلا منذ خمسين عامًا فقط، فوق كوكب الأرض. فكر فى آلاف السنين التى يستغرقها تطور النباتات. ثم أخبرنى، إذا كان من المنطقى أن المريخيين يكون لديهم: أولاً نوافذ ذات زجاج مصفح بالرصاص، وثانيًا سطوح مقببة وثالثًا أرجوحات فى المداخل الرئيسية للمنازل، ورابعًا آلة موسيقية تشبه البيانو، وربما كانت بالفعل بيانو، وخامسًا إذا نظرت بدقة من خلال تلك العدسات التلسكوبية، سوف تتساءل دون ريب: هل من المنطقى أن موسيقارًا مريخيًا يؤلف مقطوعة موسيقية - وهذا أمر بالغ الغرابة - معنونة (أوهايو الجميلة)؟ إذا صحت كل تلك الأشياء، فلن نعجب إذا وجدنا (نهر أوهايو) فوق كوكب المريخ!".

هتف (هنكستون) قائلاً: "سيدى! إن لدىّ تفسيرًا".

"أبلغنى به".

"البعثتان السابقتان للمريخ. الكابتن (وليامز) وطاقمه المكون من ثلاثة رواد فضاء! أو ربما (ناثانيل يورك) وزميله. إن هذا يفسر الأمر".

"إن هذا لا يفسر شيئًا على الإطلاق. على قدر ما يمكننا إدراكه، إن سفينة (يورك) الفضائية، انفجرت فى اليوم الذى هبطت فيه فوق المريخ، وقتل فى الحادث (يورك) وزميله. أما بالنسبة إلى الكابتن (وليامز) وطاقمه، فقد انفجرت سفينتهم الفضائية فى اليوم الثانى لوصولهم إلى المريخ. أو على الأقل، توقفت نبضات أجهزتهم اللاسلكية فى غضون ذلك الوقت، ومن ثم فقد أدركنا أنه لو كان رواد الفضاء على قيد الحياة بعد تلك



FB@3abeth

الحادثة. لحاولوا الاتصال بنا بوسيلة أو بأخرى، وعلى أية حال، لقد كانت بعثة (يورك) منذ سنة مضت، بينما هبط الكابتن (وليامز) وطاقمه فوق سطح المريخ، وفي وقت ما خلال شهر أغسطس الماضى. وإذا افترضنا أنهم لايزالون على قيد الحياة، فهل بمقدورهم - بمساعدة جنس مريخي متقد الذكاء - أن يشيدوا مثل هذه المدينة، وأن يجعلوها متطورة بهذا الشكل، في غضون هذه المدة القصيرة؟ دقق النظر فى المدينة بكل أرجائها، سوف تكتشف أنها ظلت قائمة هنا لمدة سبعين سنة. تطلع إلى تلك الأخشاب التى تدعم المداخل الرئيسية للمنازل. ودقق النظر فى الأشجار التى تحف بالمنازل، إن عمرها كلها نحو قرن من الزمان. كلا. إن هذا ليس من عمل (يورك) ولا (وليامز). إنه شيء آخر، لا يرضيني. وأنا لن أغادر هذه السفينة حتى أتبين تماماً حقيقة هذا الأمر العجيب".

قال (لوستج) وهو يومئ برأسه: "فيما يتعلق بهذا الموضوع. ربما هبط (وليامز) وطاقمه وكذلك (يورك)، فى الجانب الآخر من المريخ. أما نحن فقد كنا حريصين على الهبوط على هذا الجانب من الكوكب".

"نقطة رائعة جديرة بالمناقشة، إن لدينا تعليمات بالهبوط فى موضع بعيد، عن المكان الذى ربما قامت قبيلة عدائية مريخية بقتل (يورك) و(وليامز) فيه، كإجراء وقائى لعدم حدوث مثل هذه الكارثة المروعة. بناء على ذلك، ها نحن أولاء - على قدر المعلومات المتوفرة لنا - فى الأراضى التى لم يشاهدها (وليامز) و(يورك) على الإطلاق".



FB@3abeth

همس (هنكستون) بنفاد صبر: "اللعنة!" ثم استطرد قائلاً: "سيدى! إننى أريد موافقتك على الذهاب إلى تلك المدينة. ربما وجدت فيها نماذج فكرية وخرائط حضارية تبين مراحل التطور التى تمت بها، وكل كواكب المجموعة الشمسية. ولعلنا على شفا التوصل إلى أعظم اكتشاف نفسى وفلسفى فى عصرنا!".

قال الكابتن (جون بلاك): "إننى على استعداد للتريث قليلاً".

"لعلنا يا سيدى نشاهد ظاهرة تثبت للمرة الأولى وبشكل قاطع، وجود الله".

"سيد (هنكستون)! هناك الكثير من الناس يعمر قلوبهم الإيمان العميق، بحيث لا يحتاجون إلى هذا الدليل".

"سيدى! إننى أحد هؤلاء المؤمنين. ولكن بالتأكيد إن مثل هذه المدينة بكل تفاصيلها، لا يمكن أن توجد إلا بمعجزة إلهية. إن مشاهدتها تملأ جوانحى بمشاعر متضاربة، ولا أدرى هل أضحك ملء شدقى أم أنخرط فى نوبة بكاء!".

"عليك أن تتحكم فى مشاعرك، حتى نتبين حقيقة الأمر، وإذا كان ثمة خطر يهددنا".

تدخل (لوستج) فى الحديث قائلاً: "أى خطر يا كابتن؟ ليس هناك خطر على الإطلاق. إنها مدينة مسالمة وهادئة وذات مساحات خضراء شاسعة، إنها تشبه إلى حد كبير، تلك المدينة القديمة التى ولدت فيها. إننى أحب مظهرها الرائع".



FB@3abeth

تساءل الكابتن: "متى ولدت يا (لوستج)؟".

"عام ألف وتسعمائة وخمسين يا سيدى".

"وأنت يا(هنكستون)؟".

"عام ألف وتسعمائة وخمسة وخمسين يا سيدى. بمدينة (جرينيل) بولاية (إيوا). وبالنسبة إلىّ، فإن هذا المكان يشبه وطنى".

عاد الكابتن يقول: "(هنكستون)! وأنت يا (لوستج). إننى بمثابة أب لكل منكما. إننى أبلغ من العمر ثمانين عاماً فقط. فقد ولدت عام ١٩٢٠ بولاية (ألينوى)، وبفضل الله ورحمته، والتقدم العلمى والتكنولوجى فى الخمسين سنة الأخيرة، أمكن إعادة الشباب من جديد لبعض المتقدمين فى السن، وها أنا ذا فوق سطح المريخ، لا أشعر بالتعب تماماً مثلكم، ولكنى مرتاب أكثر منكم بشكل كبير. إن هذه المدينة التى تتراءى لكم هناك، تبدو مسالمة للغاية وهادئة، وتشبه مدينة (جرين بلف) بولاية (إلينوى)، إن هذا يثير مخاوفى، إذ إنها تشبه إلى حد بعيد مدينة (جرين بلف)!".

استدار الكابتن إلى فنى اللاسلكى وقال: "ابعث بإشارة إلى مركز المتابعة بكوكب الأرض. أبلغهم بأننا هبطنا فوق سطح المريخ بسلام. هذا كل ما فى الأمر. وأخبرهم بأننا سوف نبث تقريراً كاملاً ومفصلاً غداً".

"أمرك يا سيدى".



FB@3abeth

تطلع الكابتن إلى الخارج، عبر الكوة الزجاجية للسفينة الفضائية، وعلى الرغم من سنين عمره الثمانين، كان وجهه نضراً كرجل فى الأربعين.

قال: "سوف أخبركما بما سوف نفعله. أنت يا (لوستج) وأنا و(هنكستون)، علينا الذهاب إلى المدينة، لنستطلع الأمر. وليبق باقى الرجال فوق متن السفينة، وإذا حدث أى طارئ، عليهم بالإقلاع على الفور إلى كوكب الأرض. إن خسارة ثلاثة رجال أفضل من فقد السفينة الفضائية بأكملها. وفى حال وقوع أى مكروه، فإن على رجالنا تحذير البعثة التالية، التى سوف يرأسها الكابتن (وايلدر). وعلى ما أعتقد، سوف تكون جاهزة للإقلاع فى عيد الميلاد القادم. وإذا تبين لنا وجود أية مظاهر عدائية من المريخيين، فإننا بالتأكيد سوف نطلب من البعثة التالية أن تكون جيدة التسليح".

"سيدى! إننا نمتلك أيضًا أسلحة. إن لدينا الترسانة المعتادة من مختلف أنواع الأسلحة".

"إذن أبلغ الرجال أن يتواجدوا بجانب المدافع، ويكونوا على أهبة الاستعداد، (لوستج) (هنكستون) هيا بنا".

خرج الرجال الثلاثة معًا عبر مستويات السفينة الفضائية إلى سطح المريخ.. كان يومًا ربيعيًا مشرقًا. وجثم طائر أبو الحناء، على أحد الأغصان المزدهرة لشجرة تفاح، وأخذ يغرد دون انقطاع وانهمرت



FB@3abeth

زخات من بتلات النباتات - وكأنها ندف من الثلج، عندما لامست الريح - على أفرع الأشجار الخضراء، وسرى فى الهواء شذا الإزهار.

وفى مكان ما من المدينة المريخية، كان شخص ما يعزف على البيانو، وتنامت إلى أسماعهم النغمات الموسيقية، تارة مرتفعة وتارة أخرى منخفضة متلاشية، ولكنها دائمًا كانت ناعمة ورقيقة. كانوا يعرفون الأغنية إنها "الحالمة الجميلة". ومن مكان آخر، كانت اسطوانة الحاكى - القديمة التى تحدث صريراً ويخبو صوتها كل حين - تعزف تسجيلاً سيئًا، يتخلله صفير حاد، لأغنية "تجول أثناء الغسق" للمغنى (هارى لودر)[٣].

وقف رواد الفضاء الثلاثة خارج السفينة الفضائية. يمتص ويتنفس بصعوبة، ذلك الهواء الخفيف للغاية. وتحركوا بتؤدة فوق رمال المريخ، وكأنهم لا يريدون إرهاق أنفسهم.

وقتئذ كانت اسطوانة الحاكى تغنى:

"أوه، أعيدوا لى ليلة من شهر يونيو".

".. حيث ضوء القمر وأنت بجانبى".

بدأ (لوستج) يرتعد. وكان (صامويل هنكستون) فى نفس الحالة. وكانت سماء المريخ صافية ومشرقة، وفى مكان ما انساب جدول مياه،

(٣) مغنى اسكتلندى عالمى شهير (١٨٧٠-١٩٥٠). (المترجم).



FB@3abeth

عبر الكهوف الباردة وظلال الأشجار التي تنمو في الأودية الصغيرة الضيقة شديدة الانحدار، وفي مكان ما، كان يمكن سماع عربة يجرها حصان، يسير خببا[٤] ويتحرك متقدماً بارتجاج.

قال (صامويل هنكستون) للكابتن: "سيدى! أعتقد أننى عرفت على وجه اليقين، حلاً لهذا اللغز. إن الرحلات الفضائية إلى كوكب المريخ، بدأت قبل عدة سنوات من الحرب العالمية الأولى[٥]".

رد الكابتن قائلاً: "كلا!".

"إذن كيف تفسر يا سيدى هذه المنازل، وتمثال الغزال الحديدى، والبيانوهات، والموسيقى والأغانى القديمة؟".

أمسك (هنكستون) بمرفق الكابتن محاولاً إقناعه، ثم تطلع إلى وجهه واستطرد قائلاً: "لنفترض أن أناساً فى عام ١٩٠٥، كانوا يكرهون الحرب واستطاعوا التعاون سراً مع بعض العلماء، لبناء سفينة فضائية، وجاءوا بها إلى كوكب المريخ..".

"كلا. كلا. يا (هنكستون). إن هذا هراء!".

"ولِمَ لا؟ لقد كانت الدنيا مختلفة فى عام ١٩٠٥، وكان يمكن للأناس الكارهين للحرب، أن يحتفظوا بالسر بسهولة ويسر".

---

(٤) أى يقدم القائمتين المتعاكستين فى نفس الوقت. (المترجم).
(٥) (١٩١٤-١٩١٨) (المترجم).



FB@3abeth

"ولكن ثمة صعوبة فى الاحتفاظ بسر صناعة سفينة فضائية، فهذا أمر بالغ التعقيد".

وأردف (هنكستون) وكأنه لم يسمع ما قاله الكابتن: "لقد جاءوا إلى هنا فوق المريخ، ليعيشوا ولتزدهر الحياة، ومن الطبيعى إذن أن تكون المنازل التى شيدوها مشابهة لمنازل كوكب الأرض، لأنهم أحضروا ثقافتهم وحضارتهم معهم".

رد الكابتن بعدم اقتناع: "وعاشوا هنا كل هذه السنوات؟".

"أجل بسلام وهدوء. ولعلهم قاموا ببعض الرحلات إلى كوكب الأرض، لجلب المزيد من البشر الذين يكون عددهم كافيًا لإعمار مدينة واحدة صغيرة، ثم توقفوا عن هذه الرحلات، خوفًا من اكتشاف أمرهم. وهذا هو السر فى أن هذه المدينة تبدو عتيقة الطراز للغاية، إن الرأى عندى - يا سيدى - أنه ليس هناك أى شىء فى هذه المدينة، يرجع تاريخه إلى ما بعد عام ١٩٢٧، أليس كذلك؟ أو ربما - يا سيدى - أن السفر فى الفضاء أقدم مما نظن، لعله بدأ فى مكان ما بكوكب الأرض منذ عدة قرون مضت، واحتفظ بسره نفر قليل من البشر، الذين جاءوا إلى المريخ ثم قاموا برحلات نادرة إلى كوكب الأرض، عبر القرون".

"إنك تجعل الأمر يبدو معقولاً!".

"إن الأمر يجب أن يكون على هذا النحو. إن الدليل موجود هنا أمامنا فى هذه المدينة الصغيرة. وكل ما علينا أن نجد بعض السكان ونتأكد من الحقيقة.



FB@3abeth

لم يسمع أى صوت لأحذيتهم ذات الرقبة، وهم يطئون العشب الأخضر الكثيف، الذى أظهرت رائحته أنه قُصّ حديثًا. وعلى الرغم من المشاعر التى كانت تعتمل فى نفس الكابتن (جون بلاك)، فإنه أحس بسلام عظيم يملأ جوانحه. لقد مضى أكثر من ثلاثين عامًا منذ أن كان يعيش بين جنبات مدينة صغيرة مثل هذه. وقد هدأ من روعه ولطف من انفعالاته طنين نحل الربيع فى الهواء.

وكانت غضاضة وعذوبة المشاهد التى يراها من حوله، كأنها بلسم لروحه المعنوية.

وصلوا إلى المدخل الرئيسى لأحد المنازل، وتردد صدى عميق أجوف، تحت ألواح الخشب العريضة، عندما ساروا عليها فى طريقهم إلى الباب ذى الإطار السلكى. وفى الداخل، أمكنهم رؤية ستارة مصنوعة من الخرز، معلقة عبر الردهة، وثريا من الكريستال ولوحة للرسام (ماكسفيلد باريش)(٦) ذات إطار أنيق، فوق جدار أعلى مقعد مريح بظهر مائل ومسندين إلى الذراعين.

- كان المنزل عتيق الطراز له الرائحة المميزة للبيوت القديمة، وكانت له عليّة، وبالتأكيد كان مريحًا للغاية. ومن مطبخه البعيد، كان يمكن سماع Tinkle قطع الثلج فى إبريق شراب الليمون المحلّى، لابد أن هناك من يعد

---

(٦) رسام أمريكى عرف بأعماله الخيالية (١٨٧٠-١٩٦٦). (المترجم)



FB@3abeth

مشروبًا باردًا، ذلك أن اليوم كان قائظ الحرارة. سمعوا امرأة تدندن بكل هدوء، بصوت مرتفع وعذب.

دق الكابتن جرس الباب.

جاءت خطوات رقيقة وخفيفة، على طول الردهة، ثم حدقت فيهم سيدة ذات وجه عطوف فى الأربعينيات من عمرها، كانت ترتدى فستانًا يرجع طرازه إلى عام ١٩٠٩.

تساءلت السيدة: "كيف أستطيع مساعدتكم؟".

قال الكابتن (بلاك) بصوت متردد: "أرجو المعذرة يا سيدتى. إننا نبحث عن.. لو استطعت مساعدتنا.." ثم توقف عن الحديث. حملقت فيه السيدة بعينين سوداوين تعلوهما الدهشة.

بدأت تقول: "إذا كنتم تبيعون شيئًا ما...".

صاح مقاطعًا: "كلا. أرجوك استمعى إلىّ. ما اسم هذه المدينة؟".

نظرت إليه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه، وتساءلت فى دهشة: "ماذا تعنى بسؤالك هذا؟ كيف تكون فى مدينة دون أن تعرف اسمها؟".

بدا على أسارير الكابتن تعبير يدل على أنه يتمنى ترك هذا المكان، والجلوس تحت ظل شجرة تفاح قريبة، قال: "إننا غرباء، ونريد أن نعرف كيف شيدت هذه المدينة هنا، وكيف جئت إلى هذا المكان؟".



FB@3abeth

تساءلت: "هل أنتم من موظفى التعداد؟"(٧).

"كلا".

قالت بنفاد صبر: "كل شخص يعرف أن هذه المدينة شيدت عام ١٨٦٨، هل هذه مسابقة أم لعبة؟".

صاح الكابتن قائلاً: "لا مسابقة ولا لعبة! إننا من الأرض".

تساءلت فى دهشة: "هل تقصد أنكم قادمون من باطن الأرض؟!".

"كلا. إننا قادمون من الكوكب الثالث - الذى يطلق عليه (كوكب الأرض) - داخل سفينة فضائية. وقد هبطنا هنا فوق سطح الكوكب الرابع.. المريخ..".

أخذت تشرح له، وكأنها تخاطب طفلاً: "هذه مدينة (جرين بلف) ولاية (إلينوى)، فوق قارة (أمريكا) التى يطوقها المحيطان الأطلسى والهادى، فى مكان يطلق عليه العالم وأحياناً الأرض، والآن اذهبوا من هنا. وداعًا".

وأخذت تهرول على طول الردهة، ثم راحت تمر بأصابعها على ستائر الخرز.

نظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم البعض، فى حيرة.

---

(٧) الإحصاء الرسمى للسكان. (المترجم).



FB@3abeth

قال (لوستج): "دعونا نقتحم الباب السلكى".

رد الكابتن بسرعة: "مستحيل، فهذه ملكية خاصة". ثم استطرد متنهداً: "يا إله السماوات!".

ذهبوا وجلسوا فوق إحدى الدرجات المؤدية إلى المدخل.

قال الكابتن فى نبرة مستريبة: "(هنكستون)! ألم يخطر فى بالك قط، أننا ربما - بطريقة أو بأخرى - قد ضللنا مسارنا، وبمحض الصدفة عدنا وهبطنا فوق كوكب الأرض؟".

"كيف يمكن أن يحدث هذا؟".

عض الكابتن على شفتيه وصاح قائلاً: "لا أدرى، لا أدرى، الرحمة يا إلهى. دعنى أفكر ملياً فى الأمر".

قال (هنكستون): "بيد أننا دققنا كل ميل فى طريقنا، وحسبت العدادات عدد الأميال التى قطعناها. ولقد تجاوزنا القمر وبعده انطلقنا فى اتجاه المريخ، وها نحن هنا. إننى على يقين أننا الآن فوق سطح كوكب المريخ".

قال (لوستج): "ولكن لنفترض وقوع حدث غير متوقع فى الفضاء أو فى الزمان، مما أدى إلى أننا أصبحنا مفقودين فى الأبعاد الزمنية، وهبطنا فوق كوكب الأرض قبل ثلاثين أو أربعين عاماً!".

"أوه. ابتعد عنا يا (لوستج) بأفكارك الغريبة!".



FB@3abeth

ذهب (لوستج) إلى باب المنزل، ودق الجرس، وصاح في الغرف الباردة المظلمة:

"في أي سنة نحن؟".

أجابته السيدة التي كانت تجلس على كرسي هزاز، وهي ترتشف جرعة من شراب الليمون المحلي: "إنها ١٩٢٦ بالطبع".

عاد (لوستج) إلى زملائه لاهثًا ومضطربًا: "١٩٢٦! لقد رجعنا في الزمن! إننا الآن فوق كوكب الأرض!".

تهالك (لوستج) فوق درجة المدخل، وأخذ الرجال الثلاثة يحاولون استيعاب هذه الفكرة المروعة والرهيبة. وأخذت أيديهم المتشنجة ترتعد فوق ركبهم.

قال الكابتن: "لم أفكر قط في مثل هذا الأمر. إذ إنه يروعني للغاية، كيف يمكن لهذا الشيء أن يحدث، كنت أتمنى لو أحضرنا أينشتين معنا ليحل هذا اللغز!".

قال (هنكستون) متسائلا: "هل سوف يصدقنا أحد في هذه المدينة؟ وهل نحن نتلاعب بشيء خطير؟ أعني الزمن. أليس من الأفضل أن نستقل السفينة الفضائية ونقلع بها إلى وطننا؟".

"كلا. ليس قبل أن نجرب منزلاً آخر".

ساروا في الطريق، متجاوزين ثلاثة منازل، إلى أن وصلوا إلى كوخ أبيض صغير، قائم تحت شجرة بلوط.



FB@3abeth

قال الكابتن بتؤدة: "إننى أحاول أن أكون منطقيًا، على قدر استطاعتى، ولا أعتقد أننا توصلنا إلى حل اللغز بعد. لنفترض يا (هنكستون) - كما كان اقتراحك منذ البداية - أن السفر فى الفضاء حدث منذ سنوات عديدة مضت! وعندما عاش أهل الأرض فوق المريخ، لعدد من السنوات شعروا بالحنين إلى الوطن أى كوكب الأرض. وبدأ الأمر باضطراب عصبى متوسط، ثم تطور إلى الذُّهان[٨] الكامل وأصبح يهددهم بالجنون. ما الذى يمكنك أن تفعله لو كنت طبيبًا نفسيًا، وواجهتك مثل هذه المشكلة؟".

أخذ (هنكستون) يفكر مليًا فى الأمر ثم قال بتؤدة: "حسنًا، أعتقد أننى سأقوم بإعادة تخطيط وترتيب حضارة المريخ بما فيها حياة المجتمع، حيث تشبه كوكب الأرض أكثر فأكثر كل يوم. ولو كانت هناك طريقة لإعادة إنتاج كل نبات، وشق كل طريق وحفر كل بحيرة وحتى محيط، سوف أقوم بها. كما أننى سألجأ للتنويم المغناطيسى لسكان الكوكب جميعًا، لإقناع كل شخص يقطن مدينة بهذا الحجم، أن هذا الكوكب هو الأرض، وليس كوكب المريخ على الإطلاق".

قال الكابتن بإعجاب: "(هنكستون)! إن ما تقوله شىء رائع فعلاً. أعتقد أننا الآن على المسار الصحيح. إن المرأة التى قابلناها فى ذلك المنزل هناك، كان يخيل إليها فقط أنها تعيش فوق كوكب الأرض،

---

(٨) مرض عقلى. (المترجم).



FB@3abeth

لكى تحمى سلامة عقلها. إنها وكل الآخرين فى هذه المدينة، مرضى يخضعون لأعظم تجربة فى الهجرة والتنويم المغناطيسى، صادفتها فى حياتك".

صاح (لوستج) قائلاً: "سيدى! إن ما تقوله هو عين الصواب!".

قال (هنكستون): "تماماً!".

تنهد الكابتن وقال: "حسناً، ها نحن أولاء قد وصلنا إلى نقطة لبداية فى محاولة حل اللغز، إننى أشعر بالراحة، فهذا التفسير يبدو منطقياً أكثر. فالحديث عن الزمان، والتأرجح إلى الأمام وإلى الخلف، والسفر عبر الزمان، يصيبنى بالغثيان ولكن هذا التفسير..." ثم ابتسم واستطرد قائلاً: ".. سوف يجعل جميع من فى هذه المدينة يرحبون بنا للغاية".

قال ( لوستج) بشىء من التشكك: "أحقاً سوف يرحبون بنا يا سيدى؟".

إنهم مهاجرون جاءوا إلى هنا، هرباً من كوكب الأرض. ربما لن يكونوا سعداء لرؤيتنا. ولعلهم يطردوننا أو يقتلوننا".

"بيد أننا نمتلك أسلحة متطورة نداقع بها عن أنفسنا. دعونا نستقصى الأمر مع سكان هذا المنزل القريب. هيا بنا".

لم يكونوا قد اجتازوا المرجة الخضراء بعد، عندما توقف (لوستج) وأخذ يتطلع عبر المدينة، على طول الشارع الهادئ الحالم فى فترة ما بعد الظهيرة، وقال: "سيدى".



FB@3abeth

رد الكابتن قائلاً: "ما الأمر يا (لوستج)؟".

قال (لوستج) بتأثر: "أوه يا سيدى إن ما أراه هنا..."، وبدأ يذرف الدموع، مد أصابعه، فإذا بها متشنجة مرتعدة، وعبرت قسمات وجهه عن العجب والبهجة والتشكك. وبدا كأنه على وشك الجنون فى أية لحظة، من فرط السعادة التى تملأ جوانحه. نظر على طول الشارع وبدأ يركض، يتقدم متعثرًا بطريقة خرقاء. ويسقط ثم ينهض متحاملاً على نفسه، ويستمر فى الجرى لا يلوى على شىء، وهو يصيح باهتياج: "انظروا، انظروا".

شرع الكابتن يركض بدوره، وهتف قائلاً: "(هنكستون)! أوقفه لا تدعه يبتعد!".

وقتئذ كان (لوستج) يركض بمعدل متسارع، صارخًا بأعلى صوته ثم انحرف فجأة من منتصف الشارع المظلل بالأشجار، إلى فناء، ثم قفز فوق السور، إلى حيث المدخل الرئيسى لمنزل ضخم أخضر اللون، وعلى سطحه تمثال ديك حديدى صغير.

عندما وصل إليه (هنكستون) والكابتن، كان (لوستج) يدق بعنف بقبضتيه على باب المنزل، وهو مستمر فى الصياح والصراخ كطفل صغير: "افتحوا الباب، افتحوا الباب". لقد كانوا جميعًا مرهقين ولاهثين ومجهدين، بسبب الركض فى الهواء الخفيف للكوكب.

صاح (لوستج): "جدى! جدتى!".



FB@3abeth

وقف شخصان مسنان عند مدخل الباب.

"(ديفيد)!" كان صوتهما واهنًا وهما ينطقان باسمه، ثم اندفعا نحوه ليحتضناه ويربتا برفق على ظهره ويلتفا حوله.

صاحا معًا بفرحة غامرة: "(ديفيد)، أوه، يا (ديفيد)، لقد مرت سنوات كثيرة! كم كبرت يا حفيدنا العزيز. لقد أصبحت رجلاً متكاملاً. أوه، يا (ديفيد) الحبيب، كيف حالك؟".

تساقطت عبرات (لوستج) وهو يردد: "جدتي، جدي! إنكما تبدوان في أحسن حال!".

أمسك بهما ودار حولهما. وقبلهما، وعانقهما بحرارة، وذرف دموع الفرحة، ثم عانقهما من جديد. وأمعن النظر في هذين الشخصين المسنين ضئيلي الحجم. كانت الشمس عالية في السماء، والريح تهب على العشب الأخضر، وظل الباب ذو الإطار السلكي، مفتوحًا على اتساعه.

"تفضل بالدخول أيها الحفيد العزيز. تفضل. ثمة شاي مثلج طازج من أجلك. يوجد كمية وافرة منه!".

"هناك أصدقاء معي هنا" استدار (لوستج) ولوّح للكابتن و(هنكستون) وقسمات وجهه مليئة بالمشاعر القوية ثم أخذ يضحك وقال: "كابتن، أرجو أن تأتي إلى هنا".



FB@3abeth

قال الجد والجدة: "مرحبًا! تعالا إلى هنا. إن أصدقاء (ديفيد) هم أصدقاء لنا، أيضًا. لا تقفا هكذا بعيدًا!".

كان الجو منعشًا فى حجرة المعيشة بالمنزل القديم، وثمة ساعة حائط قائمة على الأرض ولها بندول، أخذت تصدر تكات[٩] عالية وطويلة، ولها ركن واحد من البرونز.

كانت هناك وسائد ناعمة وضعت على الأرائك الكبيرة، وجدران عليها رفوف ملأى بالكتب وسجادة على شكل زهرة ضخمة، وأقداح الشاى البارد فى الأيدى تفرز نداوة، وترطب الشفاه الظمأى.

"فى صحتكم جميعًا!"وأمالت الجدة قدحها نحو أسنانها الصناعية البيضاء، توطئة لشرب الشاى البارد.

قال (لوستج): "جدتى! منذ متى وأنت هنا؟".

ردت عليه بلهجة حادة: "منذ أن توفينا!".

بدا الذهول على وجه الكابتن (جون بلاك) ووضع قدح الشاى البارد على منضدة قريبة، وقال: "منذ متى؟!".

أومأ (لوستج) برأسه وقال مؤكدًا: "نعم. لقد توفيا منذ ثلاثين عامًا!".

---

(٩) صوت الساعة المتكرر. (المترجم).



FB@3abeth

صاح الكابتن: "توفيا منذ ثلاثين عاماً، ويجلسان هنا في هدوء! كيف؟!".

صدر عن المرأة العجوز صوت يدل على الضجر والاستنكار ثم غمزت بعينيها وقالت: "من أنت حتى تسأل عما حدث؟ ها نحن أولاء هنا. وعلى أية حال، ما هي الحياة؟ من فعل هذا ولأي سبب ومن أي مكان؟ كل ما نعرفه أننا وجدنا أنفسنا هنا، ننعم بالحياة من جديد، ولم نوجه أية أسئلة، لقد مُنحنا فرصة الحياة ثانية".

ثم مشت بروية وتمهل في اتجاه الكابتن ومدت معصمها النحيل وقالت له: "أمسك معصمي" أطاعها الكابتن، فتساءلت: "قوي، أليس كذلك؟".

أومأ بالإيجاب. قالت بابتهاج: "حسناً، لماذا إذن نلقى الأسئلة؟" قال الكابتن: "حسناً، الحقيقة ببساطة أننا لم نتصور قط، أن نجد مثل هذا الأمر فوق المريخ".

قالت: "والآن وقد وجدتموه! بإمكاني القول بأن الكثير من هذه الأمور تحدث فوق كل كوكب، لتظهر عظمة الخالق جل شأنه".

تساءل (هنكستون) في وجل: "هل هذه هي الجنة؟".

"هراء. كلا. إنه عالم منحنا فيه فرصة ثانية للحياة. لم يخبرنا أحد لماذا وجدنا هنا. مثلما لم يبلغنا أحد لماذا وجدنا فوق كوكب الأرض، أعني الأرض الأخرى، التي جئتم منها. كيف لنا أن نعرف أنه لا يوجد مثلها؟".



FB@3abeth

قال الكابتن: "سؤال وجيه".

استمر (لوستج) يبتسم لجده وجدته ثم قال بابتهاج: "يا إلهي! كم أنا سعيد لرؤيتكما. يا لها من سعادة تلك التي أشعر بها!".

انتصب الكابتن واقفاً وهو يربت على ساقه بحركة لا إرادية: "علينا أن نذهب الآن. شكراً من أجل المشروبات".

قال الجد والجدة: "سوف تعودون إلينا بالتأكيد، لنتناول العشاء معاً".

"سوف نحاول شكراً لكما. ولكن لدينا أعمالاً كثيرة يجب إنجازها. إن رجالي ينتظرونني في السفينة الفضائية و....".

توقف الكابتن عن الكلام وتطلع في اتجاه الباب المفتوح، مروّعاً.

إذ تعالت أصوات من مسافة بعيدة جداً، في ضوء الشمس، كما كانت هناك صرخات عالية وصيحات ترحيب مدوية.

تساءل (هنكستون): "ما هذا؟".

"سوف نتحرى الأمر" وهرع الكابتن (جون بلاك) خارجاً من الباب الأمامي، وأخذ يركض عبر المرجة الخضراء في الحديقة، إلى شارع المدينة المريخية. ثم أخذ ينظر بدهشة إلى سفينته الفضائية. إذ كانت أبوابها كلها مفتوحة، وقد غادرها كل أفراد طاقمه، الذين أخذوا يلوحون بأيديهم، في وسط حشد من الناس. كانوا يتدافعون ويتحدثون ويضحكون،



FB@3abeth

ويتبادلون التحايا. وكان الناس يرقصون وقد زاد عددهم. أما السفينة الفضائية فقد كانت فارغة ومهجورة.

وأخذت فرقة موسيقية تعزف مقطوعات صاخبة بآلات النفخ النحاسية، في ضوء الشمس، كانت تصدر عنها ألحان مرحة وبهيجة من الأبواق النحاسية.

كما كان هناك قرع مدو الطبول ونغمات حادة من آلات الفلوت. وفتيات صغيرات لهن شعر ذهبي، يقفزن في الهواء، وصاح أولاد صغار بعبارات تدل على الاستحسان والابتهاج. وتبادل رجال سمان - فيما بينهم - السيجار الذي يباع بعشرة سنتات. وألقى رئيس البلدية كلمة بهذه المناسبة.

وتأبط كل فرد من الطاقم بإحدى ذراعيه أمًا وبالذراع الأخرى أبًا أو أختًا، وابتعد عن وسط الحشد وسار في الشارع إلى حيث أكواخ صغيرة أو منازل ريفية ضخمة.

صاح الكابتن (بلاك) بقمة انفعاله: "توقفوا!".

ولكن انصفقت أبواب الأكواخ والمنازل خلف أفراد الطاقم، وآبائهم وأمهاتهم وإخوتهم.

وارتفعت درجة الحرارة في السماء الربيعية الصافية، وكان الصمت يبسط جناحيه.



FB@3abeth

حتى الفرقة الموسيقية النحاسية، توقفت عن العزف وتوارت فى أحد الأركان، وبقيت السفينة الفضائية متألقة ورائعة ووحيدة، تحت أشعة الشمس.

قال الكابتن بانفعال: "لقد غادروا السفينة، وتركوها مهجورة. ولم يتبعوا أوامرى. أقسم بالله. أننى سوف أعاقبهم بشدة!".

قال (لوستج) مستعطفًا: "سيدى! أرجو ألا تكون قاسيًا عليهم، لقد كانوا بين أقاربهم وأصدقائهم".

"هذا ليس مبررًا لعدم إطاعة أوامرى".

"كابتن! فكر فى شعورهم وهم يرون وجوهًا عزيزة ومألوفة وطال اشتياقهم إليها، تقف خارج السفينة الفضائية".

"اللعنة! لقد كانت لديهم أوامر يلتزمون بها!".

"سيدى! ضع نفسك مكانهم، ماذا سيكون شعورك؟".

قال الكابتن: "كنت أطيع الأوامر و..." فجأة توقف عن الكلام وفغر فاه.

إذ هناك على طول رصيف المشاه تحت أشعة الشمس المريخية، كان يسير بخطوات سريعة واسعة، شاب طويل القامة فى نحو السادسة والعشرين من عمره، كانت تميزه عينان زرقاوان شديدتا الصفاء، وعلى البعد أفتر ثغره عن ابتسامة وصاح: "(جون)"، وأخذ يركض فى اتجاه الكابتن.



FB@3abeth

قـــال الكـــابتن (جون بلاك) وهو لا يكـــاد يتمالك نفسـه: "يا إلهي! ما هذا؟".

"(جون)! يا أخي العزيز!".

اندفع الشاب نحو الكابتن وأمسك بيده وربت على ظهره.

قال الكابتن (بلاك) بذهول: "أهذا أنت؟".

"بالطبع، من تظنني أكون؟".

قال الكابتن: "(إدوارد)!" ثم نظر إلى زميليه وكأنه يلوذ بهما وأمسك بيـد الغـريب، واسـتطرد قـائلاً: "هـذا هو أخي (إدوارد). (إد) أرجـو أن تتعرف على اثنين من رجالي: (لوستج) و(هنكستون)!".

شـد كل منهما على يد الشـاب، وأمسـك كل من الأخوين بذراع الآخر في شوق ثم تعانقا بحرارة "(إد)!" "(جون) أيها الشحاذ العجوز[١٠]".

"(إد) إنك تبدو في أحسن حال. ولكن ياللعجب، إنك لم تتغير ألبتة على الرغم من مـرور السنين! لقـد فـارقت الحـيـاة - على مـا أذكـر - عندما كنت في السادسة والعشرين من عمرك! وكنت أنا في التاسـعة عشرة. يا إلهي، بعد مرور كل هذه السنين، ها أنت ذا أمـامي بشـحمك ولحمك. يا إلهي، ما الذي يحدث هنا؟".

---

(١٠) عبارة تقال للترحيب خصوصاً بين الأخوة أو الأصدقاء. (المترجم)



FB@3abeth

قال (إدوارد بلاك) وعلى ثغره ابتسامة عريضة: "(جون)! إن أمنا بانتظارك!".

"أمي؟".

"وأبانا أيضاً".

"أبي؟" كاد الكابتن أن يسقط مغشياً عليه، وكأنه أصيب بسلاح قوى. وأخذ يسير متصلب الجسم ودون تحكم فى عضلاته، من هول الصدمة.

"أمى وأبى على قيد الحياة! أين؟".

"فى منزلنا القديم ذاته بجادة[١١] (أوك نول)".

حدق الكابتن أمامه فى ذهول مبهج وهتف "منزلنا القديم! هل سمعتما هذا يا (لوستج) وأنت يا (هنكستون)؟

ولكن (هنكستون) كان قد اختفى فى مكان ما، إذ شاهد منزله على البعد فى أحد الشوارع، وركض لا يلوى على شىء، فى اتجاهه.

أما (لوستج) فكان يضحك ملء شدقيه: "أترى يا كابتن، ما الذى حدث لكل من أفراد طاقم السفينة الفضائية؟ لم يستطيعوا السيطرة على مشاعرهم".

---

(١١) طريق تحفه الأشجار. (المترجم).



FB@3abeth

أغمض الكابتن عينيه وهمس: "أجل. أجل. عندما أفتح عينى، سوف تختفى يا (إد)" فتح عينيه بتؤدة وقال متعجباً: "يا إلهى، إنك مازلت ماثلاً أمامى يا (إد). وأنت فى أحسن حال!".

"(جون)! هيا بنا! إن الغداء جاهز، لقد أبلغت أمى".

قال (لوستج): "سيدى! إذا احتجتنى فسوف أكون مع جدى وجدتى".

رد الكابتن وهو شارد الذهن: "ماذا؟ أوه، حسناً يا (لوستج). سوف أراك إذن فيما بعد".

تأبط (إدوارد) ذراع أخيه ليحثه على السير وقال: "ها هو ذا المنزل. هل تتذكره؟".

"بالطبع أتذكره! هل تسابقنى إلى المدخل الأمامى؟".

وركضا بسرعة، كان حفيف الأشجار واضحاً فوق رأس الكابتن (بلاك)، وكانت الأرض مزدهرة تحت قدميه، وشاهد الجسم الرياضى لشقيقه، وهو يتجاوزه، فى ذلك الحلم العجيب، الذى يبدو كالحقيقة . كما رأى المنزل القديم يقترب منهما بسرعة، والباب ذا الإطار السلكى مفتوحاً على مصراعيه. صاح (إدوارد): "لقد تفوقت عليك".

قال الكابتن لاهثاً: "إننى رجل عجوز. أما أنت فمازلت شاباً. وعموماً، فإنك كنت دائماً تتفوق علىّ. أتذكر!".



FB@3abeth

وفي مدخل الباب، كانت الأم، تقف بوجهها الممتلئ الوردى والمشرق. وخلفها كان يقف الأب بشعره الرمادى، الذى يخالطه شيء من السواد، وغليونه في يده.

قال الكابتن بلهفة: "أمي، أبي!".

وصعد الدرج بسرعة – مثل طفل – ليحتضنهما.

كان بعد ظهيرة طويل ورائع. تناولوا وجبة غداء متأخرة.

جلسوا في غرفة الاستقبال بالمنزل، يتجاذبون أطراف الحديث، أبلغهم كل شيء عن سفينته الفضائية، وكانوا يومئون برؤوسهم ويبتسمون له، لم تكن الأم قد تغيرت على الإطلاق، أما الأب فكان – كعادته دائمًا – يقضم طرف سيجاره، ويشعله وهو مستغرق في التفكير.

وفي الليل تناولوا وجبة عشاء دسمة قوامها ديك رومى كبير، وهكذا كان الوقت يمر سريعًا. وبعد أن أجهزوا على لحم الديك كله، لم يبق سوى عظامه القصيفة، فوق الأطباق.

استرخى الكابتن على مقعده الوثير وأخذ يتنفس بعمق وبارتياح عميق. أسدل الليل أستاره على الأشجار وأعطى للسماء لونًا أسود قاتمًا، وأضيئت المصابيح فصدرت عنها هالات من الضوء الأحمر الوردى، داخل المنزل الهادئ، ومن كل المنازل الأخرى، على طول الشارع، انبعثت أصوات موسيقى رقيقة، وعزف على البيانو، وانصفاق الأبواب.



FB@3abeth

وضعت الأم إسطوانة على حاك، ورقصت مع ابنها الكابتن (جون بلاك)، كانت ترتدى نفس الثوب المعطر - الذى يتذكره - الذى كانت ترتديه فى الصيف، عندما لقيت مصرعها مع والده فى حادث قطار! ولكن ياللعجب أضحت أمه على قيد الحياة وحقيقة واقعة بين ذراعيه وهى ترقص برشاقة على الموسيقى الهادئة.

قالت الأم بصوت خفيض: "لا يتحقق لك كل يوم، أن تُمنح فرصة ثانية للحياة".

قال الكابتن: "سوف أستيقظ غداً صباحًا، لأجد نفسى فى سفينتى الفضائية، وقد انقضى هذا الحلم!".

صاحت الأم ولكن بصوت رقيق: "كلا. لا تفكر بهذه الطريقة، ولا تناقش الأمر. لقد كان الله رحيمًا بنا. دعنا ننعم بالسعادة، ونحن على قيد الحياة".

"أنا آسف يا أمى".

أحدثت الاسطوانة أزيزاً عند دورانها الأخير، ثم توقفت.

أشار الأب بغليونه إلى الكابتن ثم قال: "أنت متعب يا بنى. إن غرفة نومك القديمة بانتظارك، السرير ذو الأعمدة النحاسية وكل الأشياء الأخرى".

"لكنى يجب أن أتأكد من عودة أفراد طاقمى إلى السفينة الفضائية".



FB@3abeth

"لماذا؟".

"حسنًا، فى الواقع إننى لا أدرى. ليس ثمة سبب، كما أعتقد، ليس هناك داع على الإطلاق لكى أتأكد من عودتهم. إنهم إما يتناولون وجبة عشائهم وإما يغطون فى النوم. إن ليلة ينعمون فيها بالنوم ملء جفونهم، لن تضيرهم فى شىء".

قبّلت الأم وجنته وهى تقول بحنان: "طابت ليلتك يا بنى. كم أنا سعيدة بعودتك إلى المنزل".

"أنا أيضًا سعيد بأن أكون بمنزلى معكم".

ترك الروائح المألوفة لدخان السيجار والعطر والكتب والضوء الخافت، وهبط فوق الدرج، وهو يثرثر بلا انقطاع مع (إدوارد) . وعندما وصلا إلى غرفة النوم، فتح (إدوارد) الباب، كان فى الداخل السرير ذو الأعمدة النحاسية الصفراء والرايات المثلثة الصغيرة المعلقة على الجدران والتى تحمل الشعارات المختلفة منذ أيام الدراسة الجامعية، وسترته القديمة من فرو الراكون[١٢]، التى لمسها بحنين بالغ.

قال الكابتن بتأثر: "هذا أكثر مما أحتمل.إننى فاقد القدرة على الإحساس، كما أننى متعب للغاية، إن ما وقع اليوم من أحداث جلل كثيرة، تجعلنى غير قادر على استيعابها. أشعر كما لو أننى تحت أمطار

(١٢) من الثدييات فى أمريكا الشمالية له فرو رمادى مائل للبنى. (المترجم)



FB@3abeth

غزيرة لمدة ثمانية وأربعين ساعة، دون مظلة أو سترة واقية للمطر! إن العاطفة تغمر كل جوانحي!".

أزاح (إدوارد) إلى جانب، شراشف وملاءات السرير المصنوعة من الكتان الأبيض الناصع ورتب الوسائد ثم رفع ستارة النافذة إلى أعلى، وفتحها لكي تعبق غرفة النوم، رائحة الياسمين المزدهر في الليل. كان هناك ضوء القمر الساحر، وأصوات بعيدة لرقص وهمسات حالمة.

قال الكابتن، بينما كان يخلع ملابسه: "إذًا هذا هو كوكب المريخ".

رد (إدوارد) قائلاً، وهو يبدل ملابسه أيضًا بحركات كسولة متأنية، بدأ يخلع قميصه فوق رأسه كاشفًا عن كتفيه الرائعتين وعضلات عنقه القوية: "نعم هذا هو المريخ".

أُطفئت الأنوار، وهما مستلقيان جنبًا إلى جنب فوق فراشهما، كعادتهما من قبل، منذ كم من العقود؟[١٢].

أحس الكابتن بالخدر يتسلل إلى جسمه، وبدأ يشعر بالنعاس يداعب جفنيه، ورائحة الياسمين تنعشه، وأخذ النسيم العليل يدفع الستائر الحريرية إلى داخل غرفة النوم المظلمة.

في الخارج أدار شخص ما إسطوانة في حاك محمول، فتصاعدت كلمات أغنية حالمة "دائمًا معك".

---

(١٢) العقد يساوي عشر سنوات. (المترجم).



FB@3abeth

وقتئذ تذكر الكابتن حبيبته القديمة (مارلين).

تساءل وهو بين النوم واليقظة: "هل (مارلين) موجودة أيضًا فوق سطح المريخ؟".

كان شقيقه ممدداً يغمره ضوء القمر المنبعث من النافذة المفتوحة، تريث لهنيهة ثم قال: "بالطبع إنها هنا. ولكنها خارج المدينة، وستعود فى صباح الغد".

أغمض الكابتن عينيه وهمس: "كم أنا مشتاق إلى رؤية (مارلين)".

كانت غرفة النوم مربعة الشكل ويلفها السكون إلا من صوت تردد أنفاسهما.

"طابت ليلتك يا (إد)".

مرت فترة صمت قصيرة، بعدها قال (إدوارد): "طابت ليلتك يا (جون)".

رقد الكابتن هادئ النفس، قرير العين، وجعل أفكاره تتداعى. ولأول مرة شعر بأن الضغوط الجسدية والتوترات النفسية والإجهادات الذهنية التى أحس بها طوال اليوم، قد انزاحت جانبًا. إذ إنه أصبح يفكر الآن بطريقة منطقية. إن كل ما شاهده اليوم، رؤى هيأتها له عواطفه المشبوبة.

الفرقة الموسيقية النحاسية التى كانت تعزف ألحانها، والوجوه المألوفة.



FB@3abeth

ولكن الآن وقد انقشعت الغشاوة عن عينيه.....

تريث لعدة ثوان ثم تساءل في نفسه متعجبًا: "كيف؟ كيف تقع كل هذه الأحداث الغريبة؟ ولأي غرض؟ أهي رحمة الله التي لا حدود لها، على عباده؟ ولكن كيف حدثت ولماذا وما الهدف منها؟".

ثم أخذ يفكر مليًا ويأخذ بعين الاعتبار، تلك النظريات والآراء التي قال بها (لوستج) و(هنكستون) بعد ظهيرة هذا اليوم. وأخذت كل أنواع النظريات الجديدة تتداعى في ذهنه، مثل فقاعات بطيئة هابطة، وهي تدور وتلقي وميضًا ضوئيًا خافتًا. أمي. أبي. إدوارد. المريخ. الأرض. المريخ. المريخيون!

من الذي كان يعيش هنا فوق المريخ، منذ ألف سنة؟ هل هم المريخيون؟ أم أن الأمر كان دائمًا كما هو اليوم؟

"المريخيون". كرر الكلمة مرارًا وتكرارًا بتؤدة بينه وبين نفسه.

وكاد أن يضحك ملء شدقيه، إذ إنه فجأة توصل إلى أغرب نظرية، جعلته يحس بقشعريرة تجتاح جسمه. إنها في حقيقة الأمر نظرية يجب ألا يأخذها بعين الاعتبار. إنها غير محتملة على الإطلاق، بل هي سخيفة وحمقاء، عليه أن ينساها، لأنها مثيرة للضحك ومدعاة للسخرية!

تريث قليلاً ثم أخذ يفكر من جديد "ولكن.. لنفترض جدلاً، مجرد فرض، أن هناك مريخيين يعيشون فوق المريخ، وأنهم شاهدوا سفينتنا الفضائية تهبط فوق سطح كوكبهم، كما شاهدونا داخلها وكرهونا،



FB@3abeth

ولنفترض مجرد فرض، أنهم أرادوا أن يدمرونا باعتبارنا غزاة لكوكبهم، وأرادوا أن يقوموا بذلك بطريقة بالغة الدهاء والذكاء، بحيث لا نستطيع الدفاع عن أنفسنا أو نشك فى نواياهم الشريرة. حسناً، ما هو أمضى سلاح يمكن أن يستخدمه المريخيون ضد الرجال القادمين من كوكب الأرض، والمدججين بالأسلحة الذرية؟

لقد كانت الإجابة مثيرة للاهتمام، سوف يستخدمون التخاطر والتنويم المغناطيسى والذاكرة والخيال. ولنفترض أن كل هذه المنازل غير حقيقية على الإطلاق وهذا السرير أيضاً غير حقيقى، ولكنه مجرد خيال فى ذاكرتى، اكتسب ماديته ووجوده بالتخاطر والتنويم المغناطيسى اللذين قام بهما المريخيون. هكذا فكر الكابتن (جون بلاك).

ولنفترض أن هذه المنازل لها أشكال أخرى مريخية، ولكن باستغلال رغباتى وأمنياتى المختزنة فى ذاكرتى، تمكن المريخيون أن يظهروها وكأنها مدينتى القديمة فوق كوكب الأرض، ومنزلى القديم، حتى لا يساورنى أية شكوك فى نواياهم الخبيثة. ما هى أفضل طريقة لخداع رجل؟ بالتأكيد هى جعل أمه وأبيه طعماً لاصطياده!

وهذه المدينة بالغة القدم، التى يرجع تاريخها إلى عام ١٩٢٦، قبل أن يولد أى من رجالى. فى هذه السنة كنت فى السادسة من عمرى، وكانت هناك اسطوانات لأغانى (هارى لودر) ولوحات زيتية للفنان (ماكسفيلد باريش) مازالت معلقة على الجدران، وكانت هناك ستائر مصنوعة من الخرز. وكانت أغنية "أوهايو الجميلة" تذاع فى كل مكان،



FB@3abeth

بالإضافة إلى انتشار فن عمارة منعطف القرن. ماذا لو أن المريخيين أخذوا ذكرياتي عن المدينة من عقلي؟ والمعروف أن ذكريات مرحلة الطفولة هي الأنقى والأشد وضوحًا. وبعد أن شيدوا المدينة وفق الذكريات المختزنة في ذهني، قاموا بتزويدها بالسكان، الذين هم أكثر الأشخاص المحبوبين، حسب الذكريات الموجودة في عقول كل أفراد طاقم السفينة الفضائية!

ولنفترض أن هذين الشخصين النائمين في الغرفة المجاورة، ليسا أبي وأمي على الإطلاق ولكنهما مريخيان، على درجة عالية للغاية من الذكاء والدهاء، ولديهما القدرة على أن يجعلاني تحت سيطرة التنويم المغناطيسي طوال الوقت!

وماذا عن هذه الفرقة الموسيقية النحاسية التي كانت تعزف اليوم؟ يا لها من خطة رائعة ومفاجئة ولا تخطر على البال، أولاً خداع (لوستج) ثم (هنكستون)، وبعد هذا جمع حشد من الناس أتوا من ذكريات أفراد طاقم السفينة الفضائية، الذين كانوا يشاهدون أمهاتهم وخالاتهم وعماتهم وأخوالهم وأعمامهم، وأحباءهم، الذين ماتوا منذ عشر وعشرين عامًا، وبالطبع لم يلتزم الرجال بالأوامر، فهرعوا إلى الخارج وهجروا السفينة الفضائية.

لقد كان الأمر طبيعيًا ولا يثير أية شكوك، كما أنه بدا بسيطًا وغير معقد. إن الرجل لا يلقى الكثير من الأسئلة، عندما يرى أمه ماثلة أمامه على قيد الحياة، إذ إنه يشعر بالسعادة المفرطة. والليلة هانحن أولاء



FB@3abeth

جميعاً نوجد في منازل متباينة وفي أسرة مختلفة دون أسلحة ندافع بها عن أنفسنا، والسفينة الفضائية قابعة تحت ضوء القمر، خالية. ألا يكون أمراً مرعباً ومروعاً، أن نكتشف أن كل ما جرى، جزء من خطة عظيمة وبارعة، وضعها المريخيون، لعزلنا عن بعضنا البعض وإخضاعنا بالقوة ثم قتلنا جميعاً! وربما - في وقت ما من هذه الليلة - سوف يغير أخي "المزيف"، الذي يرقد إلى جانبي، من شكله، ليذوب ويبدل من هيئته، ومن ثم يصبح كائناً آخر، مرعباً، مريخياً حقيقياً . سيكون من السهل عليه للغاية، أن يستدير في فراشنا، ويطعنني بمدية في قلبي. وفي كل المنازل الأخرى على طول الشارع، سوف يذوب فجأة عشرات من الإخوة أو الآباء، ويبدلون من هيئتهم ويستلون مدياتهم ويطعنون رجال الأرض النائمين، الذين لا يساورهم الشك في أي شيء.

أخذت يداه ترتعدان تحت الأغطية، وشعر بقشعريرة في جسمه. وفجأة لم يصبح ما كان يفكر فيه، مجرد نظرية. وأحس بخوف مروع على حين غرة. فنهض قليلاً من فراشه وأخذ ينصت إلى ما حوله. كان الليل بالغ السكون، وقد توقفت الموسيقى، وخمدت الريح، وكان "أخوه" يرقد بجانبه يغط في النوم، ومتوخياً أقصى درجات الحذر، رفع الأغطية ولفّها إلى جانب، وانسل من الفراش وأخذ يسير على أطراف أصابعه، عبر الغرفة. حينئذ سمع صوت "أخيه" يقول:

"أين تريد الذهاب؟".

"ماذا؟".



FB@3abeth

كان صوت "آخيه" أجوف باردًا خاليًا من أية عاطفة "كنت أقول: أين تريد الذهاب؟".

"أريد أن أشرب كوبًا من الماء".

"ولكنك لست ظمآن.

"أجل، أجل، إننى أشعر بالعطش".

"كلا، إنك لا تشعر بالعطش".

اندفع الكابتن (جـون بـلاك) إلى الأمام وركض عبر الغرفة. وراح يصرخ.. صرخ مرتين.

ولكنه لم يصل قط إلى باب الغرفة!

وفى صباح اليوم التالى، عزفت الفرقة الموسيقية النحاسية لحنًا جنائزيًا ومن باب كل منزل فى الشارع، خرج موكب مهيب يحمل صناديق طويلة، وسار على طول الشارع المغمور بأشعة الشمس، وكان الجميع يبكون، الجدات والأمهات والأخوات والأخوة والأخوال والأعمام والآباء.

اتجه الموكب إلى مدفن الكنيسة، حيث كانت هناك مقابر جديدة، حفرت حديثًا وعلى كل منها وضع شاهد قبر. كانوا ستة عشر قبرًا، وستة عشر شاهد قبر عليها أسماء المتوفين.

وألقى رئيس البلدية كلمة تأبين قصيرة وحزينة، ويالعجب كان وجهه يبدو أحيانًا كوجه رئيس البلدية، وأحيانًا يظهر كشىء آخر!



FB@3abeth

وكـانت أم الكـــابتن (بـــلاك) وأبوه هناك، مع أخـيــه (إدوارد)، وكانوا جميعًا يبكون، وتذوب وجوههم من وجوه مألوفة، إلى شيء آخر. كما كان هناك أيضًا جد وجدة (لوستج)، يذرفان الدموع على الفقيد، وسرعان ما تبدلت هيئة وجوههم وكـأنها من الشمع، تترقرق مثل كل الأشياء التى تظهر بصورة متموجة فى نهار قائظ الحرارة.

أنزلــت التـوابيت فى القبـــور، وأخـذ شـخـص ما يغـمـغـم عــن "الموت المفاجئ غير المتوقع لستة عشر رجلاً رائعًا، فى غضون الليل".

وأهيل التراب على التوابيت داخل القبور.

وعزفت الفرقة الموسيقية النحاسية مقطوعة "كولومبيا، يا جوهرة المحيط"، أثناء سير أفرادها بثبات ونظام إلى الأمام بآلاتهم الصاخبة، وهم يعودون إلى المدينة، وأخذ كل سكان المدينة بقية اليوم أجازة!



FB@3abeth

# المدن الصامتة

كانت ثمة مدينة صغيرة بيضاء صامتة ومهجورة، قابعة على ضفة بحر مريخي لا حياة فيه على الإطلاق. أما عن متاجرها فقد كانت تضيؤها أنوار موحشة، إلى جانب أن أبوابها كانت مفتوحة على مصراعيها، وكان أصحابها قد هربوا منها دون أن يعنوا بإغلاقها بالمفاتيح. وظلت المجلات - التى جاء بها منذ شهر مضى صاروخ فضى من كوكب الأرض - مرصوصة فوق حوامل من السلك أمام الصيدليات التى يغلفها السكون، لم يلمسها أحد وقد تحول لونها إلى البنى الداكن.

كانت المدينة غير مأهولة تمامًا. أسرتها فارغة وباردة. وكان الصوت الوحيد النابض بالحياة الذى يتردد بين جنباتها هو طنين طاقة الخطوط الكهربائية والمولدات التى تعمل آليًا. وأخذت المياه تنهمر داخل بانيوهات المنازل المهجورة ثم انسكبت وتدفقت عبر غرف المعيشة والأروقة والشرفات لتتساقط فوق أحواض الحدائق الصغيرة، لتروى الزهور التى طال إهمالها. أما فى المسارح التى تكتنفها الظلمة، فقد تناثرت تحت المقاعد المتعددة قطع اللبان التى كادت تتصلب، ومازال عليها آثار أسنان من كانوا يلوكونها.



FB@3abeth

وعلى الجانب الآخرمن المدينة يربض ميناء فضائى لهبوط وانطلاق الصواريخ. وكان يمكنك أن تشم الرائحة النفاذة لاحتراق الوقود، فى المكان الذى انطلق منه - محدثًا صوتًا مدويًا - آخر صاروخ عائد إلى كوكب الأرض. وإذا وضعت قطعة معدنية من فئة العشرة سنتات فى فتحة التلسكوب لتشغيله، وحولت عدسته إلى كوكب الأرض، ربما استطعت مشاهدة الحرب المروعة التى تدور رحاها هناك. لعلك تتمكن من رؤية مدينة نيويورك وهى تنفجر. وقد يمكنك مشاهدة لندن، يغلفها نوع غير مألوف من الضباب الكثيف. وبعد هذا ربما كان من الممكن إدراك السبب فى أن هذه المدينة المريخية الصغيرة قد تم هجرها. وكم كانت سرعة إخلائها؟ وإذا ذهبت إلى أى متجر بهذه المدينة المريخية، لطالعتك لوحات عليها عبارة "لا بيع". كما كانت أدراج ماكينات النقود مفتوحة وتكاد أن تكون فارغة إلا من بعض العملات القليلة. هذا كان دليلاً على أن الحرب فوق كوكب الأرض كانت رهيبة للغاية..

وعلى طول الشوارع العريضة الخاوية لهذه المدينة المريخية، كان يسير شخص رفيع طويل القامة، يصفر بصوت خافت، ويركل علبة معدنية ملقاة أمامه، بمنتهى التركيز، وكانت عيناه تتقدان بنظرة متجهمة كئيبة توحى بما يعانيه من وحدة.

راح يحرك يديه النحيلتين بارزتى العظام، فى جيوبه ليعبث بالعملات المعدنية الجديدة من فئة العشرة سنتات، فتحدث رنينًا خفيفًا. وبين فترة وأخرى متباعدة. يلقى بإحدى هذه العملات فوق الطريق. وكان يضحك بوقار،



FB@3abeth

بينما كان يقوم بهذا، ثم يواصـــل سيره ينثر العملات المعدنية البراقة في كل مكان.

كان يدعى (والتر جريب) ويمتلك منجمًا[١] غرينيا وكوخا على ارتفاع شديد فوق تلال المريخ الزرقاء، واعتاد أن يذهب إلى المدينة مرة كل أسبوعين، لكى يبحث عن امرأة وديعة تتمتع بالذكاء، ليتزوجها.

ولكن على مدى السنوات، كان يعود إلى كوخه وحيداً مخيب الرجاء. وعند وصوله إلى المدينة، منذ أسبوع، وجد ضالته المنشودة بهذه الطريقة! في ذلك اليوم انتابته الدهشة البالغة، لاندفاعه إلى دكان لبيع الأطعمة المغلفة الجاهزة للتقديم، ووضع فوق الخزينة عدة عملات وطلب آليًا شطيرة مكونة من ثلاث شرائح من اللحم البقرى.

ومثل دور النادل، وصاح وهو يضع فوطة فوق ذراعه "الشطيرة قادمة إليك على الفور!".

ونفض الغبار عن إحدى المناضد ثم دعا نفسه للجلوس، واستمتع بطعم لحم جيد وخبز مخبوز في اليوم السابق، واستمر في الأكل حتى شعر بالحاجة إلى تناول مشروب مهضم، فذهب إلى إحدى الصيدليات وطلب بايكربونات الصودا. وكان الموظف الآلي مؤدبا للغاية وهو يعطيه ما طلبه!

(١) المكان الذي تغسل فيه الرواسب الغرينية لاستخراج محتواها المعدني. (المترجم).



FB@3abeth

وراح يحشر بنطاله الجينز بالنقود، كل ما استطاع الحصول عليه، ثم كدس أوراقًا نقدية من فئة العشرة دولارات فى عربة أطفال وجدها بالصدفة، وركض بسرعة بالغة عبر المدينة، إلى أن وصل إلى الضواحى، وهناك أدرك فجأة كم هو أحمق إلى حد مخجل. إذ إنه لا يحتاج إلى النقود. فأعاد الأوراق النقدية ذات العشرة دولارات إلى المكان الذى أخذها منه. وأسقط دولارًا إضافيًا فى خزانة دكان بيع الأطعمة ثم أضاف ربع دولار كإكرامية!

وفى تلك الليلة استمتع بحمام تركى ساخن، وأكل فيليه[٢] مغطى بطبقة رقيقة شهية من الفطر، واحتسى شراب "الشرى"[٣] المستورد، والنبيذ الذى يحتوى على عدد من ثمار الفراولة، واستولى على بدلة جديدة من الفانيلا[٤] الزرقاء، وقبعة أنيقة للرجال، رمادية اللون من اللباد، التى كانت غير مناسبة فوق رأسه النحيل.

ثم أسقط عدة عملات معدنية فى صندوق الموسيقى، فصدعت بأغنية "هؤلاء هم رفقائى القدامى". وأسقط المزيد من العملات المعدنية فى عشرين صندوقا للموسيقى عبر المدينة. عندئذ انسابت هذه الأغنية الحزينة: "هؤلاء هم رفقائى القدامى"، فى جنبات الشوارع المهجورة والليالى الموحشة.

(٢) قطعة من اللحم أو السمك وتكون دون عظم. (المترجم).

(٣) نبيذ قوى. (المترجم).

(٤) نسيج ناعم من الصدف. (المترجم).



FB@3abeth

وكان يسير بخطوات متثاقلة وحيداً بقامته الطويلة النحيلة، وحذاؤه الجديد يصدر صوتاً أثناء السير، ويداه الباردتان في جيبيه.

لكــن ذلك حدث منذ أسبوع.. وكـان يسكن في مـــنزل لا بأس به في شارع المريخ الواسع الذي تحفه الأشجار من الجانبين، وكان ينهض من نومه في التاسعة صباحاً ويأخذ حماماً ثم يتسكع في أحياء البلدة لتناول لحم فخذ الخنزير والبيض.. ولم يكن يمر عليه صباح إلا ويجمد طناً من اللحوم والخضر وفطــائر الكريمة بالليمــون بما يكفي كطعام لمدة عـشر سنوات، انتظاراً لحضـور الصـواريخ من جـديد، إن كـانت ستحضر أصلاً.

والآن في تلك الليــلة هام على وجهــه هنا وهناك ورأى مـوديلات (أو دمى) نسـائية ذات لون وردي جـميل في كل واجـهة عرض بمتجـر كبير.. ولأول مرة عرف أن تلك المدينة خالية وخامدة تماماً.. وأخذ قدحاً من الجعة وأخذ يبكي ويشهق بهدوء.

قال لنفسه: "يا إلهي.. إنني وحيد تماماً".. ودخل (سينما الصفوة) ليعرض على نفسه فيلماً لكي يبعد عن ذهنه فكرة الوحدة هذه.. كانت السينما خالية وفارغة كمقبرة تزحف فيها أشباح رمادية وسوداء على شاشة واسعة.. وأسرع إلى الخروج وهو يرتجف من هذا المكان المسكون.

بعـد أن قـرر العـودة إلى منزله، أخـذ يسـرع أو يكاد يركض في منتصف شـارع جانبي عندما سمع صوت هـاتف.. فأنصت وقال لنفسه:



FB@3abeth

"هذا صوت هاتف يدق في منزل شخص ما".. ثم واصل طريقه بنشاط وقال وهو مستغرق في التفكير: "لابد أن شخصًا ما سيرد على هذا الهاتف".

جلس على أحد الأرصفة لإخراج حصاة من حذائه بهدوء، ثم لم يلبث أن قفز صارخًا: "شخص ما!.. هذا أنا!.. يا إله السماوات، ماذا حدث لي!".. أخذ يصرخ وينطلق ويلف حول نفسه وقال محدثًا نفسه: "أي منزل؟.. لابد أنه هذا المنزل!".. وجرى على نجيل حديقة المنزل وصعد السلم إلى داخل المنزل وسار في قاعة مظلمة.

رفع السماعة وصاح: "آلو!".. لم يسمع سوى (بازززززز) فكرر: "آلو، مرحبًا!".. لقد وضع أحدهم السماعة، فقال صارخا: "آلو!" وألقى السماعة بعنف وصاح لنفسه: "أيها الأحمق الغبي!.. هل تجلس على هذا الرصيف أيها الأبله.. لا ريب أنك غبي ملعون!"، ثم ضغط الهاتف بين يديه وقال: "هيا، دق مرة ثانية! هيا!".

لم يفكر من قبل ما إذا كان هناك آخرون مازالوا يعيشون على كوكب المريخ.. فطوال أسبوع كامل لم ير أي أحد.. ولذلك ظن أن كل القرى والمدن الأخرى مقفرة مثل هذه. عندئذ أخذ يحدق في هذا الهاتف الصغير الأسود المريع وارتعد جسده.. فهناك منظومات اتصال هاتفي متشابكة متصلة بكل مدينة من مدن المريخ.. ولكن من أي مدينة من المدن الثلاثين جاءت المكالمة الهاتفية؟.. ولم يستطع الإجابة عن هذا السؤال.



FB@3abeth

انتظر برهة، ثم اتجه إلى مطبخ المنزل الغريب وسيح بعض التوت الأزرق المثلج ثم التهمها وهو منفطر القلب وغمغم قائلاً: "لم يكن هناك أحد فى الطرف الثانى من هذه المكالمة.. لعل عمود أسلاك الهواتف فى مكان ما اهتز، وبالتالى دق الهاتف من تلقاء نفسه".. لكنه تذكر أنه سمع تكة مما يعنى أن شخصاً ما وضع السماعة.

ظل واقفًا فى القاعة بقية هذه الليلة وقال لنفسه: "ليس بسبب الهاتف.. إننى فقط لم يكن لدىَّ شىء لأفعله".. ثم قال: "إنها لن تتصل مرة أخرى.. ليس من المعقول أن تتصل ثانية برقم لم يجبها.. وربما هى تتصل الآن بمنازل أخرى فى هذه المدينة!.. وها أنا ذا جالس هنا - لكن أنتظر لحظة - وضحك وأردف: "لماذا أستمر فى القول (هى)؟.. لا أدرى".

سار وخرج من المنزل ووقف فى منتصف الشارع المعتم فى وقت مبكر من الصباح.. وأرهف سمعه، لكنه لم يسمع شيئًا.. لم يكن هناك أى طائر ولا سيارة.. لم يكن يسمع شيئًا سوى نبضات قلبه.. فهو ينبض ويتوقف ثم ينبض مرة أخرى وهكذا.. وشعر بألم وتوتر فى وجهه.. وهبت ريح خفيفة، خفيفة للغاية، بحيث خفق بسببها معطفه.

همس لنفسه: "صه.. استمع".. وترنح فى دائرة ببطء، راح يتلفت من منزل صامت إلى آخر.. وفكر فى أنها سوف تتصل بمزيد من أرقام الهواتف، إذ لابد أن تكون امرأة.. لماذا؟.. المرأة فقط هى التى تتصل وتتصل ولا تمل.. أما الرجل فلا يستطيع ذلك.. فالرجل مستقل التفكير



FB@3abeth

والرأى.. أنا مثلاً هل كلمت أحداً بالهاتف؟، لا!.. بل إننى لم أفكر قط فى ذلك.. لابد أن تكون امرأة.. يا إلهى، يجب أن تكون كذلك!".

أنصت جيداً.. وبعيداً جداً تحت ضوء النجوم دق جرس هاتف.. جرى مسرعًا، وتوقف يرهف سمعه.. كانت الدقات خافتة، فجرى لبعض خطوات أخرى.. ازدادت شدة الصوت.. أسرع ينطلق فى الشارع الضيق.. ازدادت شدة الصوت أكثر!.. مر بستة منازل ثم ستة أخر.. الدقات أصبحت الآن أكثر شدة!.. اختار منزلاً بيد أن بابه كان مغلقًا بالمفتاح.. وكان الهاتف يدق بداخله.

هز مقبض الباب وهو يصيح: "افتح أيها اللعين!".

استمر الهاتف يصرخ.. فأخذ مقعداً من الشرفة ورماه على نافذة الردهة فحطمها ثم قفز منها إلى الداخل.. ولكن قبل أن يلمس الهاتف وجده قد صمت تماماً.. وأخذ يطوف ببطء فى المنزل وقام بتكسير المرايا وجذب الستائر وركل موقد المطبخ.. وبعد أن أضناه التعب قام أخيراً بتناول دليل الهواتف الذى يتضمن رقم كل هاتف موجود بالمريخ.. وكان يشتمل على خمسين ألف اسم.

بدأ البحث عند أول رقم.. إميليا آمز.. طلب رقمها فى شيكاغو الجديدة التى تبعد بمسافة مائة ميل عبر البحر الميت.. لا أحد يرد.. الرقم اثنان يعيش فى نيويورك الجديدة التى تبعد بمسافة خمسة آلاف ميل عبر الجبال الزرقاء.. لا أحد يرد.. ثم طلب الأرقام ثلاثة وأربعة



FB@3abeth

وخمسة وستة وسبعة وثمانية، وارتعشت أصابعه ولم تعد قادرة على الإمساك بالسماعة.

وفجأة أجابه صوت امـــرأة: "ألو؟".. وعلى الفور صرخ (والتر) قائلاً لها: "ألو، يا إلهى، مرحباً!".

قال صوت المرأة: "هذه رسالة مسجلة.. الآنسة (هيلين آراسوميان) غير موجودة بالمنزل.. هل تترك رسالة هاتفية مسجلة بحيث يمكنها الرد عليك عند عودتها؟.. هذه رسالة مسجلة.. الآنسة (هيلين آراسوميان) غير موجودة بالمنزل.. هلا تترك رسالة....".

وضع السماعة على الهاتف، وجلس غير مصدق وفمه يختلج.. وعندما فكر مرة ثانية أعاد طلب نفس الرقم وقال: "عندما تعود الآنسة (هيلين آراسوميان) إلى المنزل، قولى لها أن تذهب إلى الجحيم!".

بعد ذلك اتصل بمركز اتصالات المريخ وسنترال كل من (نيو بوسطن) و(أركيديا) ومدينة (روزفلت) متوقعًا بالطبع أن تكون أماكن منطقية يمكن للمرء الاتصال الهاتفى منها، ثم اتصل بقاعات المدن المحلية والمؤسسات العامة الأخرى فى كل مدينة وقرية.. واتصل هاتفياً بأفضل الفنادق.. وترك رسالة عند امرأة تقيم هناك برفاهية.

وفجأة توقف وصفق بيديه الاثنتين مع بعضهما وضحك.. بالطبع!.. وتصفح دليل أرقام الهواتف وطلب مكالمة خارجية طويلة مع أكبر مؤسسة تجميل تجارية بمدينة نيو تكساس.. فإذا تصادف فى مكان ما وجود



FB@3abeth

امرأة تشغل نفسها بأى شىء أو تضع قناعًا من الطين على وجهها وتجلس تحت مجفف الشعر.. فتلك المؤسسات عبارة عن دور تجميل ناعمة ومخملية وراقية!

رن الهاتف.. ورفع شخص ما فى الطرف الآخر السماعة وقال صوت نسائى: "آلو".. فقال (والتر جريب) منبها: "إذا كانت هذه رسالة مسجلة، فسوف أحضر وأفجر المكان بالكامل!".

قال الصوت النسائى: "هذا ليس تسجيلاً.. آلو! يا إلهى، هالو!.. هناك شخص ما حى!.. أين أنت؟" وصرخت المرأة بفرح وسرور.

انهار (والتر) تقريبًا.. وقال: "أنت!".. ثم وقف وهو يترنح وعيناه متقدتان وأردف: "يا إله السماوات، ياللحظ الجميل، ترى ما اسمك؟".

قالت وهى تبكى فى الهاتف: "جنفييف سلسور!.. ياه، إننى سعيدة جدًا بسماع صوتك، مهما تكن!".

- "أنا (والتر جريب)!".

"(والتر)! مرحبًا، (والتر)!".

"مرحبًا! جنفييف!".

"(والتر). يا له من اسم جميل. (والتر)، (والتر)!".

"شكرًا لك".

"(والتر)، أين أنت؟".



FB@3abeth

كان صوتها حنونًا للغاية ورخيمًا ورقيقًا. أحكم وضع السماعة فوق أذنه، حتى يتمكن من سماع همساتها العذبة. وشعر كأن قدمه ترتفع فوق الأرضية، وتضرج وجهه بالحمرة.

قال بلهفة: "إنني فى قرية (مارلن)، وأنا...".

وفجأة صدر طنين من السماعة، "بازززز".. وانقطع الاتصال.

قال: "مرحبًا!".

بازززز

أخذ يهز السماعة بعنف، ولكن دون جدوى.

وهبت رياح من مكان ما. وكما جاءت (جنفييف سلسور) سريعًا، ذهبت بنفس السرعة. حاول أن يتصل، لكن خط الهاتف لم يكن يعمل.

قال: "على كل حال، إننى أعرف أين هى!" واندفع خارجًا من المنزل.

كانت الشمس تتصاعد فى السماء، عندما استقل سيارة صغيرة حصل عليها من جراج المنزل، وملأ مقعدها الخلفى بالأطعمة التى جلبها من المنزل، وانطلق بها بسرعة ثمانين ميلاً فى الساعة عبر الطريق الرئيسى، متجهًا إلى مدينة (نيوتكساس).

فكر فى أن المسافة تبلغ ألف ميل. (جنفييف سلسور) ابقى مكانى لا تتحركى. فإننى فى طريقى إليك!



FB@3abeth

وجعل بوق السيارة يصدر صوتاً كالأوزة البرية، عند كل دوران في الطريق خارج المدينة. وعند غروب الشمس، بعد يوم شاق من القيادة المستمرة، توقف في طريق جانبي، وخلع حذاءه الضيق واسترخى في مقعده، وأمال قبعته الرمادية فوق عينيه المرهقتين. وأصبح تنفسه بطيئاً ومنتظماً. وهبت الرياح وتألقت النجوم برقة في السماء، في ذلك الغسق(٥) الجديد.

تبدو من بعيد مثل قطع الشطرنج، بين التلال الزرقاء. كان (والتر) يرقد بين اليقظة وأضغاث الأحلام. وراح يهمس، (جنفييف)! يا (جنفييف) الرقيقة. ثم أخذ يغنى بصوت خافت، ربما تأتى السنوات أو قد تنقضى، ولكن تبقى (جنفييف)، (جنفييف) الرقيقة. وشعر بالدفء يملأ جوانحه. وسمع صوتها العذب الهادىء يتأوه. مرحباً. أوه. مرحباً، (والتر)! هذا ليس تسجيلاً. (والتر) أين أنت؟ (والتر) أين أنت؟

تنهد، ومد يده ليلمسها، إذ صور له خياله أنها تنساب مع ضوء القمر. شعرها الأسود الطويل الرائع الجمال، يتطاير مع هبات الريح. وكانت شفتاها في لون النعنع البستاني الأحمر. ووجنتاها في نضارة الورود المبللة بالندى، التي تم قطفها في التو. وجسمها مثل ضباب رقيق ناصع.

---

(٥) ظلمة أول الليل. (المترجم).



FB@3abeth

وبينما كان صوتها العذب الهادئ يرنم له، أخذ يغني بصوت خافت. أوه يا (جنفييف)، (جنفييف) الرقيقة. "ربما تأتي السنوات أو قد تنقضي...".

ثم راح في سبات عميق.

وصل إلى مدينة (نيوتكساس) عند منتصف الليل. وأوقف سيارته أمام صالون تجميل (دي لوكس)، وأخذ يصيح بصوت عال. وتوقع أن يجدها وقد اندفعت من الداخل، وهي معطرة وضاحكة. ولكن لم يحدث شيء.

همس لنفسه "لعلها نائمة" ونزل من السيارة وسار إلى باب الصالون وصاح "ها أنا ذا! لقد جئت. مرحبًا (جنفييف)!".

وكانت المدينة هادئة يغمرها ضوء القمر. ومن مكان ما حركت الرياح قماش القنب الموضوع فوق النوافذ لحمايتها ووقايتها. فتح الباب الزجاجي على اتساعه ودلف إلى الداخل.

ضحك بقلق "مرحبًا! لا تختبئي! أعرف أنك هنا!".

وبحث في كل مقصورة داخل صالون التجميل، ثم عثر على منديل نسائي صغير فوق الأرضية. وكانت رائحته بالغة الجمال، حتى أنه كاد أن يفقد توازنه. وهمس قائلاً "(جنفييف)!".

وقاد سيارته الصغيرة عبر الشوارع الخالية، لكنه لم يلمح شيئًا، قال بقلق "إذا كانت هذه مداعبة سمجة..!".



FB@3abeth

أبطأ من سرعة سيارته، وقال لنفسه بصوت خافت: "تمهل قليلاً. لقد انقطع الاتصال الهاتفى بيننا، ربما قادت سيارتها إلى قرية (مارلن)، بينما كنت متجهًا إلى هنا! ولعلها اتخذت طريق (البحر القديم). ولهذا لم نلتق فى الطريق طوال اليوم. ولكنها كيف عرفت أننى قادم إلى مدينة (نيوتكساس)؟ فلم أقل لها إننى آت إليها. وربما انتابها خوف مروع عندما انقطع الاتصال الهاتفى، حتى أنها اندفعت لا تنوى على شىء، إلى قرية (مارلن) للبحث عنى! وها أنا ذا أحاول أن أجدها هنا. يا إلهى! كم أنا أحمق".

وضغط على نفير سيارته، وانطلق خارج المدينة. وظل يقودها طوال الليل. وأخذ يعمل تفكيره. ماذا لو لم تكن فى قرية (مارلن) تنتظرنى عندما أصل إلى هناك؟ إنه لا يريد أن يفكر فى هذا الاحتمال. يجب أن تكون فى القرية. وسوف يهرع إليها ويحتويها بين ذراعيه، وربما يقبلها أيضاً، مرة فوق شفتيها الغضتين.

(جنفييف)، (جنفييف) الرقيقة، وصفر بشفتيه من فرط نشوته، وزاد من سرعة سيارته إلى مائة ميل فى الساعة.

كانت قرية (مارلن) يلفها السكون عند الفجر، كانت الأنوار الصفراء مازالت مضاءة فى عدة متاجر، وصندوق الموسيقى الذى ظل يعزف النغمات بانتظام لمدة مائة ساعة؛ توقف أخيراً بسبب انقطاع التيار الكهربائى، مما جعل الصمت تامًا. أشرقت الشمس وأدفأت الشوارع وكذلك السماء الباردة والخالية.



FB@3abeth

اتجـه (والتـر) إلى شـارع (مين)، وكـانت أنوار سـيـارته مـازالت مضاءة على الرغم من سطوع الشمس، وظل يضغط على بوق السيارة بشكل متقطع فيصدر صوتًا قصيراً متتاليًا، ست مرات فى زاوية من الشـارع، وست مـرات عند زاوية أخـرى. وأخـذ يمعن النظر فى أسـمـاء المتاجر التى تمر عليه. كان وجهه شاحبًا ومرهقًا، ويداه تنزلقان من فوق عجلة القيادة المبللة بالعرق.

ونادى فى الشوارع الخالية (جنفييف)!".

وفتح باب أحد صالونات التجميل.

صاح وهو يوقف السيارة "(جنفييف)!".

كانت (جنفييف سلسور) تقف عند الباب المفتوح لصالون التجميل، نزل من السيارة بسرعة، وركض إليها عبر الشارع، كانت تمسك بعلبة مفتوحة من الشوكولاتة المحشوة بالقشدة، وكانت أصابعها – التى تحتضن العلبة بحنان – منتفخة وذات بشرة شاحبة. وعندما تقدمت سقط عليها الضوء، بدا وجهها مستديراً ومكتنزًا، وكانت عيناها مثل بيضتين كبيرتين مطمورتين فى كتلة بيضاء غير منتظمة من عجينة الخبز. وكانت ساقاها ضخمتين تشبهان جذلتى[٦] شجرة، وتحركت بخطوات خرقاء وهى تجر قدميها على الأرض أثناء المشى. أما شعرها

(٦) أصل الشجرة الباقى بعد قطع جذعها. (المترجم).



FB@3abeth

فكان أشعث ذا لون بنى خفيف، ووضح أنه قد صفف عدة مرات متتالية، ومن ثم بدا مثل عش للطيور.

لم تكن لها شفتان على الإطلاق، وعوضت هذا برسم خطوط حمراء عريضة، وفم ملوث بالشوكولاتة والقشدة، ولكنه الآن مفتوح على آخره فى ابتهاج، ثم فجأة أغلق فى ذعر، وكانت قد انتزعت شعر حاجبى عينيها وتركت مجرد خطين رفيعين للغاية، فبدتا مثل قرنى استشعار الحشرات!

توقف (والتر)، وتلاشت ابتسامته. وتحاشى النظر إليها؛ أسقطت علبة الشوكولاتة بالقشدة، على رصيف المشاه.

قال لها "هل أنت.. (جنيفيف سلسور)؟" وشعر بطنين فى أذنيه.

سألته "هل أنت (والتر جريب)؟".

أجابها "نعم (جريب)".

قال بصوت أجش: "كيف حالك؟".

هزت رأسها وهى تقول: "كيف حالك؟".

كانت أصابعها لزجة بالشوكولاتة.

قال (والتر جريب) "حسنا".

سألت (جنفييف سلسور) "ماذا؟".

أجابها (والتر) قائلاً "لم أقل سوى حسناً".

"آوه".



FB@3abeth

كانت الساعة التاسعة مساء. لقد أمضت اليوم فى التنزه، وأعدت للعشاء شريحة "فيليه مينيون"(٧)، على الرغم من أنها لم تكن تحبها وذلك لندرتها، وشواها (والتر) كثيراً، وفى النهاية لم يبدو على قطعة اللحم إذا كانت مشوية أو مقلية!

ضحك (والتر) وقال: "دعينا نشاهد فيلماً سينمائيًا!" وافقت على طلبه، ووضعت أصابعها الملوثة بالشوكولاته فــوق مرفقــه. بيد أن كل ما أرادت مشاهدته فيلماً أنتج منذ خمسين عــامًا، بطــولة الممثــل (كلارك جيبل). ثم أخذت تقهقه وهى تقول: "يا له من شخص رائع! أفضل من كل الرجال!".

وانتهى الفيلم. فقالت بلهجة آمرة: "أعد عرض الفيلم من جديد".

تساءل فى دهشة "مرة أخرى؟".

قالت مؤكدة "أجل، مرة أخرى".

ذهب لإعادة عرض الفيلم، وعندما عاد التصقت به واستكانت واحتضنته بيديها.

همســت له معترفة: "لم تكن الإنسان الذى توقعته ولكنك شخص لطيـف".

رد عليها وهو يبتلع ريقه بمشقة "شكراً".

---

(٧) من أفضل شرائح لحم البقر تطبخ من الفطر وزيت الزيتون. (المترجم).



FB@3abeth

قالت وهى تقرص ساقه "أوه، إن (جبيل) رجل رائع".

شعر بألم فتأوه "آخ!".

بعد أن شاهدا الفيلم للمرة الثانية، ذهبا للتسوق عبر الشوارع الساكنة، كسرت نافذة عرض أحد متاجر الملابس، واختارت أكثر الأثواب تألقًا بالألوان، استطاعت العثور عليه. وسكبت زجاجة عطور فوق شعرها، وبدت مثل كلب راعٍ غريق!

تساءل "كم عمرك؟".

أجابته "خمن!".

كان جسمها البدين ينز غرقًا، وهى تقوده على طول الشارع، قال بعد برهة "أوه، ثلاثين عامًا". ردت عليه بلهجة جافة "إننى فقط فى السابعة والعشرين من عمرى.." ثم أردفت "... ها هو ذا متجر آخر للحلوى. لقد عشت حياة رائعة منذ أن رحل الجميع. لم أحب قط عائلتى، فقد كانوا مجموعة من الحمقى. لقد ذهبوا إلى كوكب الأرض منذ شهرين. وكان من المفترض أن ألحق بهم فى الصاروخ الأخير، لكننى فضلت البقاء فوق كوكب المريخ، أتدرى لماذا؟".

- "كلا.. لا أدرى".

تنهدت وهى تقول: "لأن كل شخص كان ينتقدنى. ولهذا فضلت البقاء، حيث يمكننى أن أسكب العطر فوق جسمى طوال اليوم وأشرب



FB@3abeth

عشرة آلاف كوب من شعير الجعة، دون أن يقول لى الناس: أوه، إنها مليئة بالسعرات الحرارية! وها أنا ذا!".

أغلق (والتر) عينيه وقال: "ها أنت ذى!".

نظرت إليه وقالت "لقد تأخر الوقت".

- "بالفعل".

قالت "إننى متعبة".

- "أمر غريب! إذ إننى فى قمة نشاطى".

ردت عليه قائلة "أوه".

قال "أشعر وى كأننى أستطيع البقاء يقظًا طوال الليل. اسمعى! هناك صندوق موسيقى عند (مايك). تعالى. سوف أجعله يعزف من أجلك".

رمقته بعينين براقتين خبيثتين "إننى متعبة".

قال "إننى يقظ ونشيط للغاية! يا له من أمر غريب!".

قالت "دعنا نعود إلى صالون التجميل، إننى أود أن أريك شيئًا".

وما إن وصلا حتى أخذته عبر الباب الزجاجى إلى الداخل، حيث يوجد صندوق أبيض كبير، وقالت "عندما قدت سيارتى من مدينة "نيوتكساس"، أحضرت هذا معى.." وحلت الشريط الوردى الذى يحيط بالصندوق.



FB@3abeth

استطردت قائلة: "لقد فكرت فى أننى السيدة الوحيدة فوق كوكب المريخ، وأنك الرجل الوحيد و.. حسنًا.." ورفعت غطاء الصندوق وأعادت طى طبقات الأوراق الرقيقة الوردية المجعدة التى يصدر عنها حفيف ثم ربتت عليها برقة وقالت "ها هو ذا".

حدق (والتر جريب) فى الصندوق. وتساءل وهو يرتعد "ما هذا؟".

أجابته قائلة: "ألا تعرف أيها الأحمق؟ إنه مصنوع بالكامل من الدانتيل[8] وكله أبيض اللون، غانه تحفة رائعة يحتوى على كل شيء".

- "كلا، لا أعرف ما هو!".

- "إنه ثوب زفاف، أيها الأحمق".

قال لها بصوت أجش "حقًا".

أغلق عينيه. وكان صوتها لا يزال ناعمًا وهادئًا ورخيمًا، كما سمعه من قبل فى الهاتف وعندما فتح عينيه ونظر إليها..

تراجع إلى الخلف خطوة وقال: "يا له من أمر رائع".

- "أليس كذلك؟".

حدق فى الباب وقال "(جنقييف)".

- "بلى؟".

---

(٨) قماش مخرم من خيوط الحرير أو الكتان أو النايلون. (المترجم).



FB@3abeth

- "(جنفييف)! أريد أن أخبرك بشىء ما".

- "تفضل" وتحركت بتؤدة ورفق نحوه. وكانت رائحة العطر النفاذة تحيط بوجهها الأبيض المكتنز.

قال: "إن الأمر الذى أود أن أخبرك به هو.....".

- "نعم؟".

- "وداعًا!".

وخرج من الباب مندفعًا واستقل سيارته على عجل، قبل أن تتمكن من الصراخ.

ركضت خلفه ووقفت عند حاجز أسمنتى، بينما كان ينطلق بسيارته بعيداً.

صاحت بصوت عال مدو وهى تلوح بذراعيها باهتياج "(والتر جريف)! عد إلى هنا". صحح لها الاسم على البعد "(جريب)".

صرخت "(جريب)!".

انعطفت السيارة بسرعة عبر الشارع الساكن، وكان (والتر) يضغط بعنف على دواسة البنزين، فتصدر السيارة صوتًا عاليًا كالصراخ. وكانت الغازات التى تنبعث من ماسورة عادم السيارة، قد لوثت ثوب الزفاف الأبيض التى مازالت تحتضنه (جنفييف) بين يديها المكتنزتين،



FB@3abeth

وكانت النجوم متألقة فى السماء، وبعد دقائق اختفت سيارة (والتر) فى الصحراء ثم ابتلعتها الظلمة.

قاد (والتر) السيارة لمدة ثلاثة أيام صباحًا ومساء دون توقف.

تصبب العرق من كل جسمه. بينما كان يسير فى طريق رئيسى آخر، ويتخذ طرقًا مختصرة عبر عالم المريخ الموحش. متجاوزًا مدنًا صغيرة لا حياة فيها. قاد سيارته باستمرار لمدة أسبوع آخر ويوم، حتى ابتعد عن قرية "مارلن"، بمسافة تبلغ نحو عشرة آلاف ميل. وأخيرًا توقف عند مدينة صغيرة تدعى "هولتفيل سبرنجز"، حيث كانت توجد متاجر صغيرة للغاية، يمكنه أن يقضى بها وقتًا ممتعًا خلال الليل ومطاعم يرتادها، ويطلب الوجبات الشهية.

وفكر فى أنه سوف يستقر فى هذه المدينة منذ الآن، ويقتنى مجمدتين[٩] مكدستين بالطعام، الذى يكفيه لمائة عام وكمية هائلة من السيجار تكفى لعشرة آلاف يوم بالإضافة إلى فراش مريح وحشية[١٠] ناعمة.

وإذا حدث ذات يوم خلال السنوات الكثيرة القادمة، أن رن جرس الهاتف، فإنه لن يرد عليه!

---

(٩) ثلاجتان سريعان التثليج وحفظ الطعام لفترات طويلة. (المترجم).

(١٠) مرتبة – فرشة. (المترجم).



FB@3abeth

## المؤلف فى سطور :

### راى برادبورى

- ولد فى ٢٢ أغسطس عام ١٩٢٠ فى مدينة (ووكيجان) بولاية (ألينوى) الأمريكية.

- وتخرج فى المدرسة الثانوية عام ١٩٤١، وبدأ عمله بائع صحف.

- فى عام ١٩٤١، باع (برادبورى) أول قصصه القصيرة إلى دار نشر اسمها "قصص رائعة من الخيال العلمى"، وعندئذ تفرغ تماماً للكتابة.

- فى عام ١٩٤٧، طبع أول مجموعة قصصية له فى كتاب تحت اسم "الكرنفال الرهيب". ومنذ ذلك الوقت بدأت بعض كتبه تحصد جوائز.

- ظهرت قصته الشهيرة "٤٥١ فهرنهايت" التى تحولت فيما بعد إلى فيلم سينمائى لاقى نجاحًا مذهلاً. وسرعان ما بدأ يكتب للراديو والتلفاز.



FB@3abeth

- وفى عام ١٩٥٧، تم طبع قصته "نبيذ الهندباء البرية" المستقاة من طفولته بولاية (ألينوى)، كما كتب سيناريو الفيلم السينمائى (موبى ديك).

- فى عام ١٩٦٨، تم اختياره مؤلفًا يصلح للقراءة فى المدارس والكليات، أى أنه أصبح واحداً من الكتاب الذين جعلوا الخيال العلمى مجالاً محترماً.

- تتميز أعمال (برادبورى) بالتنوع الكبير، وعمومًا هو يكتب قصصًا قصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح والخيال - قصص الغموض والأسرار - قصص الفانتازيا والخيال العلمى.

- أسلوب (برادبورى) يماثل أسلوب الشعر، فهو دائمًا واضح ومبدع، كما أنه دقيق للغاية فى اختيار أسلوبه وصوره، وهو أسلوب يزخر بالكثير من الأحداث المثيرة، ويتسم بالبلاغة والتنميق وبنمط قصصى وأفكار متفردة خاصة به فقط.

- توفى راى برادبورى فى ٥ يونيو ٢٠١٢ عن عمر يناهز الواحد والتسعين عاماً.



FB@3abeth

## المترجم فى سطور :

## رؤوف وصفى صبحى

- ولد فى القاهرة.
- عمل بالتدريس بجامعات مصر والعراق والكويت.
- نال جائزة تبسيط العلوم - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا وجائزة الثقافة العلمية - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا.
- عضو اتحاد الكتاب.
- ترجم العديد من الكتب العلمية وفى مجال الخيال العلمى منها: "الروبوت" و"الحاسب الآلى" و"كوكب الأرض" و"مذنب هالى" و"مؤسسة الكويت للتقدم العلمى" - ومسرحيات من الخيال العلمى (وزارة الإعلام - الكويت).
- وقام بترجمة "ثلاث رؤى للمستقبل" و"حرب العوالم" (طبعتان) و"الرجل الخفى" و"بشر كالأرباب" و"القصص الكاملة لـ هـ.جـ.و ويلز" (أربعة أجزاء) للمركز القومى للترجمة. كذلك ترجم مقالات علمية بمجلة الثقافة العالمية.



FB@3abeth

- شارك فى العديد من الندوات منها "ندوة الخيال العلمى"، وقام بإعداد البرنامج التلفازى "سؤال وجواب" وتقديمه بتليفزيون الكويت. ومسلسل "الخيال العلمى" (إذاعة الكويت).
- نشرت مقالاته وقصصه فى عدد كبير من الصحف والمجلات العربية، منها: جريدة الأهرام وجريدة الأخبار ومجلة العلم (مصر) ومجلة العربى الكويتية والعربى العلمى، ومجلة التقدم العلمى (مؤسسة الكويت للتقدم العلمى)، ومجلة دبى الثقافية (الإمارات).
- أحد رواد أدب الخيال العلمى والثقافة العلمية بالوطن العربى.
- المنسق العام لرابطة كتاب الخيال العلمى العرب.
- حاصل على شهادة تقدير وميدالية من نقابة العلميين.
- محاضر بالدورات التدريبية لإعداد المترجمين - المركز القومى للترجمة.
- نال جائزة مؤسسة هانز زايدل الألمانية.
- ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإيطالية.



FB@3abeth

تتميز أعمال "راى برادبورى" وقصصه بالتنوع الكبير، وعمومًا فهو يكتب قصصاًقصيرة من نوعيات كثيرة متباينة: قصص الحياة العادية - قصص الاضطرابات النفسية العميقة والمروعة - قصص الأطفال - قصص رحلات الفضاء التى تتميز بالرعب والمرح أو الخيال - قصص الغموض والأسرار التى تنطوى على توجيه أخلاقى أو شرح موضوعات غيبية أو خارقة.

أما عن الخيال العلمي، فلا شك أن حماس "برادبورى" له، يغزو عالم المستقبل ذاته، فهو يشعر بأنه مطالب بتحذير الناس من أية كوارث محتملة، وبث الرغبة فى تحقيق المجد والفخر، مادام ذلك فى الإمكان.

وأسلوب "برادبورى" يماثل أسلوب الشعر، ويتسم بالدقة فى اختيار أسلوبه وصوره؛ إذ يتسم بالبلاغة والتنميق وبنمط قصصي، وبأفكار متفردة خاصة به فقط.

FB@3abeth